

مدارك النُّظر

في السِّياسة

بين التطبيقات الشَّرعية
والانفعالات الحَماسية

تأليف

عبد المالك بن أحمد بن المبارك
رمضاني الجزائري

قرأه وقرّظه

العلامة الشيخ: محمد ناصر

الدين الألباني

والعلامة الشيخ: عبد

المحسن بن حمد العبّاد البدر



تجدد في هذا الكتاب

•0 تأصيلًا لقاعدة: الفتوى في النوازل السياسية قاصرة على المجتهد:

قال الله تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} وقال ابن القيم: "العالم بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة فهو المجتهد في النوازل، فهذا النوع الذي يسوغ لهم الإفتاء ويسوغ استفتاؤهم ويتأدى بهم فرض الاجتهاد، وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: ((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها))".

وبيان أنه لا يفتى في دقائق الجهاد إلا هو، وأنه يحترم استفتاء طلبة العلم فيها - فضلًا عن غيرهم - مهما زعموا أنهم فقهاء الواقع:

قال ابن تيمية: " وفي الجملة فالبحت في هذه الدقائق - أي دقائق أحكام الجهاد - من وظيفة خواص أهل العلم .. "

وبيان أنه لو أفتى فيها من ليس في رتبة العالم المجتهد أفسد البلاد وأرهق العباد؛ لأن

العالم يشتم الفتنة قبل وقوعها، وأما غيره فلا يعرفها إلا إذا وقع فيها، وقد لا يعرفها:

قال الحسن البصري: " إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كلُّ عالم، وإذا أدبرت عرفها كلُّ جاهل ".
 ¶ وتحذيراً من مسالك الحركيين من الإسلاميين الذين اتخذوا من السياسة جارية صيد، واتخذها الأعداء آلة كيد:

قال عبد الحميد بن باديس: " فإننا اخترنا الخطة الدينية على غيرها عن علم وبصيرة ... ولو أردنا أن ندخل الميدان السياسي لدخلناه جهراً ... ولقدنا الأمة كلها للمطالبة بحقوقها، ولكن أسهل شيء علينا أن نسير بها على ما نرسمه لها، وأن تبّلع من نفوسها إلى أقصى غايات التأثير عليها؛ فإن مما نعلمه، ولا يخفى على غيرنا أن القائد الذي يقول للأمة: (إِنَّكَ مَظْلُومَةٌ فِي حَقُوقِكَ، وَإِنِّي أُرِيدُ إِصْصَالِكَ إِلَيْهَا)، يجد منها ما لا يجد من يقول لها: (إِنَّكَ ضَالَّةٌ عَنَ أَصْصُولِ دِينِكَ، وَإِنِّي أُرِيدُ هِدَايَتَكَ)، فذلك تلبّيه كلها، وهذا يقاومه معظمها أو شطرها ... "

¶ وتحذيراً من الحزبية التي فزقت شمل المسلمين:

قال محمد البشير الإبراهيمي: " أوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزبيات التي تجم بالشّر ناجمها، وهجم - ليفتك بالخير والعلم - هاجمها، وسجم على الوطن

بالمِلح الأجاج ساجِمُها، إنّ هذه الأحزاب! كالميزاب؛
جمع الماء كَدْرًا وفَرَقه هَدْرًا، فلا الزُّلال جمع، ولا
الأرض نفع! "

¶¶ وتحذيراً من مسالك الثوار:

قال ابن خلدون: " ومن هذا الباب أحوال الثوار
القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء؛ فإن
كثيراً من المنتجلين للعبادة وسلوك الدين يذهبون
إلى القيام على أهل الجور من الأمراء، داعين إلى
تغيير المنكر والنهي عنه، والأمر بالمعروف رجاءً في
الثواب عليه من الله، فيكثر أتباعهم والمتشبهون بهم
من الغوغاء والدهماء، ويُعترضون أنفسهم في ذلك
للمهالك، وأكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين
غير مأجورين؛ لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم
... "

¶¶ وبيان مغيبّة الخروج على السلطان:

قال الحسن البصري: " والله! لو أنّ الناس إذا ابتلوا
من قبل سلطانهم صبروا، ما لبثوا أن يرفع الله ذلك
عنهم؛ وذلك أنهم يفرّعون إلى السيف فيوكّلوا إليه!
ووالله! ما جاؤوا بيوم خير قطاً! "، ثم تلا: { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ
رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ
يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ }.

تقرير الكتاب للعلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله تعالى

إلى الأخ الفاضل عبدالملك بن أحمد رمضاني
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته
أما بعد؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو،
وأسأله لنا ولك التوفيق فيما نقول ونذر.
وجواباً على خطابكم المؤرخ في:
15/10/1415 هـ، أقول:

أولاً أنا شاكرٌ لك حسن ثنائك عليّ بما لا
أستحقه، متذكراً وداعياً بقول الصديق الأكبر: "
اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً مما
يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون " ، ومذكراً لك بقوله
صلى الله عليه وآله وسلم: « **إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ
مَارِحاً أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ فليقل: أَحْسِبُ فَلاناً كذا
وكذا - إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ - وَلَا أَرْكِي عَلَى
اللَّهِ أَحَدًا** » رواه مسلم⁽¹⁾.

¹ () قال الشيخ - حفظه الله - هذا مع أنني ما زدت
على وصفه ببعض ما يجب على أمثالي تجاه أهل
العلم! وكذلك فعل الشيخ عبد المحسن العبادي

ثانياً: لقد رغبت في أن تعلم رأيي في كتابك:
)) السياسة بين فراسة المجتهدين وتكيس
 المراهقين ((⁽²⁾ قبل أن تطبعه.

ورغم ضيق وقتي، وضعف نشاطي الصحي،
 وكثرة أعمال العلمية، فقد وجدت نفسي مشدوداً
 لقراءته، وكلما قرأت فيه بحثاً مُعَلِّلاً نفسي أن
 أكتفي به، كلما ازددت مُضياً في القراءة حتى أتيت
 عليه كله، فوجدته بحق فريداً في بابه؛ فيه حقائق
 عن بعض الدعاة ومناهجهم المخالفة لما كان عليه

فقد كره لي تصدير اسمه
 بـ (العلامة الشيخ) على رأس تقريره الذي
 تجده هنا في ص (12) تواضعاً منه!
 أكتب هذا تذكيراً لطلبة العلم بمثل هذا الخلق،
 لِيَجْتَنِبُوا أَنفُسَهُم النَفخ الفارغ! فقد قيل: إِنَّ مَحَدَّثاً
 قرأ على العلامة إبراهيم بن سعيد الحبال فقال:
 ورضي الله عن الشيخ
 الحافظ.. "، فقال: "قُلْ: رضي الله عنك؛ إنما
 الحافظ الدارقطني وعبد الغني! "، انظر
 ((السير)) (18/498).

وفيه أيضاً (19/107) في ترجمة ابن خَيْرُون -
 الذي كان يُشَبَّه بـابن معين - أنهم كتبوا له مرّة:
 (الحافظ)، فغضب وضرب عليه، وقال: " قرأنا
 حتى يُكْتَب لي الحافظ؟! "

() كان عنوان كتابي ما أثبتته الشيخ أعلاه، ثم شاء
 الله أن يتغير مع بعض التصحيحات والزيادات.

السلف الصالح، واستفدت أنا شخصياً فوائد جمّة حول ثورة الجزائر وبعض الرؤوس المتسببين لها، والمؤيدين لها بعواطفهم الجامحة، والمبالغين في تقويمها ممن لا يهتمون بقاعدة التصفية والتربية.

ولقد سررتُ جداً من إشادتك بها، وندنتك حولها كثيراً، في الوقت الذي لم ينتبه لدورها الهامّ أكثر الدعاة في تحقيق المجتمع الإسلامي وإقامة حكم الله في الأرض، بل إنها الأساس في ذلك، فجزاك الله خيراً.

وأخيراً: ونظراً لتلهّفكم الشديد للجديد من مؤلفاتي، فإني أبشركم بأنّ تحت الطبع منها:

- 1- المجلد الثالث من ((مختصر صحيح البخاري)) .
- 2- المجلد الخامس من ((سلسلة الأحاديث الضعيفة)) .
- 3- المجلد السادس من ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) .

4- ((صحيح موارد الظمان)) .

5- ((ضعيف موارد الظمان)) .

6- ((الرد على ابن حزم ومقلّديه في إباحة

المعازف)) .

7- المجلد الثاني من ((صحيح الترغيب والترهيب

وختاماً أسأل الله تعالى أن يستعملنا في طاعته،
وأن يوفقنا جميعاً لخدمة سنة نبيّه، وأن يصرف عنا
شر الفتن، ما ظهر منها وما بطن.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب

محمد ناصر

الدين الألباني

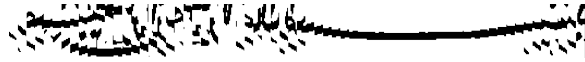
عمان / صباح

الثلاثاء

15 / 11 / 25 هـ.

هذه صورة تقرير الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

تقرير الكتاب
 للعلامة الشيخ عبد المحسن بن
 حمد العباد البدر
 حفظه الله تعالى



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على
 المبعوث رحمةً للعالمين، نبينا محمد وعلى آله
 وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
 أما بعد: فقد يسّر الله لي قراءة كتاب « **مدارك
 النظر في السياسة بين التطبيقات
 الشرعية، والانفعالات الحماسية** » الذي ألفه
 أخونا الشيخ عبد المالك بن أحمد بن المبارك
 الرمضاني الجزائري، فألفيته كتاباً مفيداً، مشتملاً
 على التأصيل للمنهج القويم الذي يليق بالمسلم
 الناصح لنفسه أن يسلكه، ومشتملاً أيضاً على
 تصحيح مفاهيم خاطئة لبعض الشباب في داخل
 البلاد السعودية وفي خارجها، وخاصة تصحيح
 مفاهيم بعض أصحاب الفقه الجديد: فقه واقع
 القصاصات من الصحف والمجلات، وتتبع الإذاعات
 الكافرة وغير الكافرة، وتلقّف أخبارها، وتحليلهم

إياها تحليلات اعتبروها أموراً مسلّمة، وقد أثبت الواقعُ في الغالب خطأ نتائج هذا التحليل، ولم يقف الأمرُ بهم عند هذا الحدِّ، بل تجاوز إلى النَّيل من أجلة علماء هذا العصر ذوي الفقه في الدين، وحملة ميراث النبي الكريم ﷺ، وفي مقدّماتهم سماحة شيخنا العلامة الجليل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - حفظه الله -، وفضيلة الشيخ العلامة الجليل محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله -، الذين نفع الله بعلمهم وفتاويهم، ويرحم الله الإمام الطحاوي إذ يقول في عقيدة أهل السنة والجماعة: "وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من اللاحقين أهل الخبر والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكَرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل"

وفي الكتاب فوائد عظيمة، ودفاع عن الحق وحملة العلم الشرعي، وتوضيح لبعض الحقائق من خبير بها، كالأوضاع في الجزائر بلاد المؤلف.

وفي الكتاب ذكرٌ كلامٍ في صفحتي: (243) و(351)⁽¹⁾ لاثنين من شباب هذه البلاد - هداهما الله - اتَّهَمَ كُلُّ منهما كبار علماء العصر في هذه البلاد بالقصور؛ لأنهم أفتوا بتسويق مجيء قوات أجنبية

¹() وهي في هذه الطبعة في صفحتي (271) و(391).

للمشاركة في الدفاع عن البلاد إثر الهجوم الغاشم من طاغية العراق على الكويت، وكانت نتيجة ذلك دحر العدو، والإبقاء بحمد الله تعالى على الأمن والاطمئنان، وكان الأليق بهما وقد أعجبهما الرأي المخالف لِمَا رآه العلماء أن يَتَّهَمَا رأيهما، ويتذكَّرا نتيجة الرأي الذي رآه بعض الصحابة ﷺ في أحد شروط صلح الحديبية، حيث تبين لهم أخيراً خطأ ذلك الرأي، فكان الواحد منهم يقول فيما بعد: " يا أيها الناس! اتَّهَمُوا الرَّأْيَ فِي الدِّينِ " ، وتسويغ كبار العلماء مجيء تلك القوات في حينه إنما كان للضرورة، وهو نظير استعانة المسلم بغير المسلم في التخلص من اعتداء لصوص أرادوا اقتحام داره وممارسة أنواع الإجرام فيها وفي أهلها، أَقْبَلُ لِهَذَا المَعْتَدَى عَلَيْهِ لَا يَسُوغُ لَكَ الاستعانة بكافر في دفع ذلك الضرر؟! ثم إن الخلاف حاصل في أكثر مسائل العلم منذ زمن الصحابة ﷺ، ولم يكن بعضهم يُسَفِّهُ بعضاً فضلاً عن أن يكون الصغار هم الذين يجترؤون على تسفيه رأي الكبار كما حصل من هذين الشابين أصلهما الله.

وفي صفحة (376)⁽¹⁾ ذكرُ كلامٍ لثلاثة من شباب هذه البلاد أتوا فيه بالغريب العجيب؛ ألا وهو التنويه

⁽¹⁾ وهي في هذه الطبعة في صفحة (419). 16

والإشادة بخروج النساء إلى الشوارع للمظاهرات، وقد أوضح المؤلف - جزاه الله خيراً - قبل هذه الصفحة فساد ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

وفي صفحة (287)⁽¹⁾ نقلُ كلامٍ لأحد الشباب في هذه البلاد يقرّر فيه خلاف مذهب أهل السنة والجماعة في معاملة ولاية الأمر وبهيج الغوغاء من الرجال والنساء على الإقدام على ما يثير الفتن وما يؤول بغير أهل العقل والثبات والرزانة إلى تعريض أنفسهم للضرر، ومنه إيداعهم السجون، ولا شك أن من عرّض غيره للضرر يكون له نصيب من تبعة ذلك.

وهذا الكلامُ المثيرُ للفتنة قد فاحت ريحُه منذ سنوات في حفل أقيم لتكريم حَفَظَةِ السُّنَّةِ أشرف عليه هذا الشابُّ؛ وقد سمعتُ تسجيلَ ذلك الحفل، ومع كون أحاديث الصحيحين تبلغ عدة آلاف فإن اختيار الأحاديث القليلة التي ألقيت على الطلبة لاختبار حفظهم ملفتٌ للنظر؛ لتعلق جملة منها بالولاية! يُضاف إلى ذلك كون هذا الشاب أصلحه الله عند ذكر هذه البلاد لا يصفها بالسعودية بل يعبر بالجزيرة! أخبرني بهذا من أثق به.

¹() وهي في هذه الطبعة في صفحة (318 - 319).

ومن الخير لهذا الشاب ومن يطاء عقبه من الشباب أن يكونوا مع الجماعة ويجتنبوا الشذوذ والخلاف والفُرقة، وأن يفيئوا إلى الرشد؛ فإن الرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل، كما قال ذلك المحدث الملهم عمر بن الخطاب .

وفي صفحة (269)⁽¹⁾ تجد كلاماً ساقطاً لمهيج الغوغاء المشار إليه آنفاً، ينعى فيه على خطيب لا يتكلم في الأحداث السياسية، ويُعنى في خطبته بذكر أحوال الآخرة والقبر والموت والجنة والنار والبعث والحساب وغيرها!! فإن مجرد اطلاعك على هذا الكلام يغنيك عن أي تعليق عليه، ولم يُخله المؤلف من التعليق.

وفي الكتاب صورة منشور لشخص حاقده موتور، لا علاقة له بالعلم الشرعي والفقهاء في الدين، احتضنته عاصمة الاستعمار، وفيها عُشُّ رُويضات الزمن - كما قال المؤلف - نال في منشوره من ثلاثة أعلام أفذاذ:

الأول: صاحب رسول الله ﷺ معاوية بن أبي سفيان ﷺ أمير المؤمنين وكاتب وحي رب العالمين، وأول ملوك المسلمين وخير ملوكهم، وهو أحد الخلفاء الذين قال فيهم النبي ﷺ: « لا يزال الإسلام

⁽¹⁾ وهي في هذه الطبعة في صفحة (299). 18

عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، أخرجه مسلم في ((صحيحه)) من حديث جابر بن سمرة ؓ، وقد دَوَّنْتُ جملةً من أقوال أهل الإنصاف في هذا الصحابي الجليل ؓ في رسالة مطبوعة بعنوان: ((من أقوال المنصفين في الصحابي الخليفة معاوية ؓ)).

الثاني: شيخ الإسلام مجدّد القرن الثاني عشر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

الثالث: شيخنا العلامة الجليل مفتي الأنام مجدّد القرن الخامس عشر الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله.

وليس بغريب أن يصدر من مثله هذا المنشور، وإنما الغريب أن يوجد في بعض شباب بلاد التوحيد - هداهم الله وأصلحهم - من يتلقّفه ويفرح به!

يُقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

اللّهم أرنا وإياهم الحق حقًا ووفقنا لاتباعه،
والباطل باطلاً ووفقنا لاجتنابه، ولا تجعله ملتبساً
علينا فنضلّ.

وقد أفصح صاحب المنشور عن حربه الذي ينتمي إليه، وأكد أنه سوف يظلّ وفياً لمبادئه { فإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي

الصُّدُورِ}.

وإذا كانت هذه الواقعة الشنيعة في ثلاثة من خيار الناس من الأموات والأحياء صدرت ممن زعم نفسه ناطقاً رسمياً للجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية المزعومة، فكيف سيكون الدفاع المزعوم؟! وهل هؤلاء الأخيار لا يستحقون أن يُذَبَّ عنهم أو أن تصيبهم من هذا الناطق الذمّ بوقاحة وَقَدْ حَيَاء، والله تعالى يقول: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا}، ويقول الرسول الكريم ﷺ: ((إنَّ مما أدرك الناسُ من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت))، أخرجه البخاري في ((صحيحه)).

وأقبح شيء تقيّاه في منشوره قوله في معاوية ﷺ وفي خلافته: " إنني أعتبر معاوية مغتصباً، وإنني أعتقد أنه سيلقى جزاءه من الله يوم القيامة على ما ارتكبه من جرائم!! "، {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا}، وخلافة معاوية ﷺ حصلت في قرن الصحابة خير القرون، وقد رضي الصحابة بخلافته، واعتُبر عام (41) عام ولايته عام الجماعة؛ إذ تحقّق فيه ما أخبر به النبي ﷺ عن سبطه الحسن بن علي رضي الله عنهما حيث قال: ((إن

ابني هذا سيِّدٌ، وسيصلح الله به بين فئتين
عظيمتين من المسلمين»، أخرجه البخاري في
(صححه) .

ومع هذا كله يجيء هذا الرويضة في القرن
الخامس عشر ويقول فيه هذا الإفك المبين
والبهتان العظيم.

وإذا كان هذا زعمه في معاوية ؓ وفي خلافته فأَيُّ
حاكم يعجبه؟ وأيُّ ولاية ينشُدُّها ويحلم بها؟ نعوذ
بالله من الخذلان! وقد قال الحافظ ابن حجر في
(فتح الباري) : « اتفق أهل السنة على وجوب منع
الطعن على أحدٍ من الصحابة بسبب ما وقع لهم
من ذلك، ولو عُرف المحقُّ منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا
في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالى
عن المخطيء في الاجتهاد، بل ثبت أنه يُوجَرُ أجراً
واحداً، وأنَّ المُصِيب يُوجَرُ أجرين » .

وما أحسن قول أبي زرعة الرازي - رحمه الله -
في الوالغين في أعراض الصحابة ؓ؛ إذ قال كما
رواه عنه الخطيب البغدادي في (الكفاية) : « إذا
رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ
فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أنَّ الرسول ﷺ عندنا حقٌّ،
والقرآن حقٌّ، وإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا الْقُرْآنَ وَالسَّنَنَ
أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ أَنْ يَجْرَحُوا

شهودنا ليبتلوا القرآن والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة».

وأثناء قراءتي للكتاب بدا لي ملاحظات يسيرة، ذكرتها للمؤلف، ووعد بتلافيها في الطبقات التالية. وفي الختام أوصي بقراءة هذا الكتاب والاستفادة منه، وأوصي شباب هذه البلاد السعودية أن يحذروا الأفكار الفاسدة الحاقدة الوافدة إلى بلادهم لإضعاف دينهم وتمزيق شملهم والتنكر لما كان عليه أسلافهم، وأن يأخذ كلُّ شابٍّ ناصحٍ لنفسه العبرة والعظة من قول عبد الله بن مسعود ؓ كما في

((الإبانة)) لابن بطة: ((إنها ستكون أمور مشتبهات! فعليكم بالتؤدة؛ فإِنَّك أن تكون تابِعاً في الخير خيرٌ من أن تكون رأساً في الشر)).

ولرغبة المؤلف كتابةً شيءٍ بعدَ قراءتي للكتاب، جرى تحريراً ذلك، وأسأل الله للمؤلف جزيل المثوبة وعظيم الأجر، ولمن نبه على أخطائهم الهداية لطريق الحق والهدى، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه:

عبد المحسن بن حمد

العباد البدر

المدّرس بالمسجد النبوي
وبالجامعة
الإسلامية بالمدينة المنورة
1418 / 3 / 25 هـ

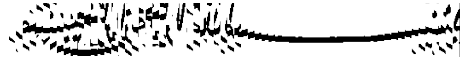
ملاحظتان

الأولى: اطلع العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين - حفظه الله - على فتاواه المدرجة في هذا الكتاب ووافق عليها في ليلة الأحد (22 ربيع الثاني 1416 هـ)، فجزاه الله خيراً.
توقيع الشيخ:

الثانية: قال كاتبه - عفا الله عنه - : لما كانت هذه الكتابة الخطيرة في موضوع الكتاب قد أقدم عليها العبدُ الضعيف - وهو قاصر عنها - فقد تأيَّنتُ في طبعه حتى يَطَّلِعَ عليه من أهل العلم مَنْ يُرَضَى، وقد كان هذا والحمد لله، ولا أعلم أحداً منهم إلا وأثنى عليه، منهم: الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، والشيخ صالح الفوزان عضواً هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ومن الأساتذة الكبار: الشيخ حماد بن محمد الأنصاري - رحمه الله -، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ محمد بن عبد الله بن سبيل الرئيس العامّ لشئون المسجد الحرام وإمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء، والشيخ عبد الله الزاحم رئيس المحاكم الشرعية بالمدينة وإمام وخطيب المسجد

النبوي، والشيخ صالح العبود مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وغيرهم كثير ... فضلاً عن كبار طلبة العلم الذين لا يُحصون كثرةً، فجزاهم الله خيراً جميعاً.

وقد ذكرت هذا - لا ليمدحني القارئ! - ولكن ليطمئن قلبه؛ فإن الفضل لله وحده، وهو الذي حمدُه رَينٌ، ودَمُّه شَينٌ على الحقيقة.



□

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ.

{يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد. فقد منَّ الله تعالى على أمة نبيه محمد □ بإكمال دينها، وإتمام نعمته عليها، ورضاه عنها بالإسلام الذي لا يقبل منها دينا سواه، قال الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا}.

عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود

إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين! إنكم تقرأون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأيُّ آية؟ قال: قوله: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} فقال عمر: "والله! إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ: عشية عرفة في يوم الجمعة" رواه أحمد والبخاري ومسلم.

قال ابن القيم - رحمه الله -: " فالنعمة المطلقة هي المتصلة بسعادة الأبد، وهي نعمة الإسلام والسنة ". ثم قال بعد ذكر النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين: " فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة، وأصحابها أيضاً هم المعنيون بقول الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً} " (1).

قال أبو العالية - رحمه الله -: " قرأت المحكم بعد وفاة نبيكم ﷺ بعشر سنين، فقد أنعم الله عليّ بنعمتين، لا أدري أيهما أفضل: أن هداني للإسلام، ولم يجعلني حروبياً " (2).

1 () (اجتماع الجيوش الإسلامية) ص (3) .

2 () رواه عبدالرزاق (10/153)، وابن سعد (7/114)، واللالكائي في (شرح أصول الاعتقاد) رقم ()

أي نعمة الهداية إلى الإسلام من بين الملل الكافرة، ونعمة الهداية إلى السنة من بين الطوائف المبتدعة؛ وكانت بدعة الخوارج الخرويين أشدها خطفاً للقلوب وترويعاً للمسلمين! والله العاصم.

ثم أما بعد، فقد أحكم الله ﷻ كتابه وأحسن تفصيله، وفصل لنا فيه كل ما ينفعنا ويضرنا، وهو القائل: {السر. كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} وقال: {وَكُلُّ شَيْءٍ فُصِّلْنَاهُ تَفْصِيلاً}، وقال: {وَتَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}، وقال: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً}، وقال: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا دُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ}.

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا قد أمرتكم به، ولا عمل يقرب إلى النار إلا قد نهيتكم عنه، لا يستبطن أحد منكم رزقه، إن جبريل عليه السلام ألقى في روعي أن أحدا منكم لن يخرج من الدنيا

(230)، وابن أبي زمنين في ((أصول السنة))
رقم (240)، والهروي في ((ذم الكلام)) (ق)
89/ب)، وذكره الذهبي في ((السير)) (4/212)،

حتى يستكمل رزقه، فاتقوا الله أيها الناس! وأجملوا في الطلب، فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية، فإن الله لا يُنال فضله بمعصية» رواه الحاكم وغيره وهو صحيح.

وإذا كان النبي ﷺ بين لنا الهدى وحثنا عليه، وبين لنا الضلال وحثنا منه، لم يبق لأحد عذر في الطمع في غير هذه الشريعة الكاملة، قال ابن القيم - رحمه الله -: "وأما الرضى بنبيّه رسولاً فيتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره ألبتة، لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه، لا يرضى في ذلك بحكم غيره، ولا يرضى إلا بحكمه، فإن عجز عنه كان تحكيمه غيره من باب غداء المضطر إذا لم يجد ما يقوته إلا من الميتة والدم، وأحسن أحواله أن يكون من باب التراب الذي إنما يُتيمّم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور.

وأما الرضى بدينه: فإذا قال أوحكم أو أمر أو نهى، رضى كل الرضى، ولم يبق في قلبه

خرج من حكمه، وسلم له تسليماً، ولو كان مخالفاً لمراد نفسه أو هواها، أو قول مقلده وشيخه وطائفته" (1).

وكما أن الله أكمل دينه علماً، فقد أكمله عملاً؛ إذ كما لا يخلو زمن من قائم لله بحجته، فلا يخلو زمن من طائفة مؤمنة تعمل بهذا الدين، فعن حميد بن عبد الرحمن قال: سمعت معاوية خطيباً يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: « من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال من هذه الأمة أمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك » متفق عليه.

ثم اعلم - أيها القاريء! - أن الذي دفعني إلى هذه الكتابة على الرغم من القصور، أنني رأيت شباب المسلمين يردون مواقع الحمام، يرشفون سمه بسقي أيديهم ولا يجسسون بلام، فدعوت إلى صون العمل السياسي عن العبث الذي هو أحد أسباب هذا الواقع المشؤوم، بتأصيل احترام التخصص انطلاقاً من قاعدة: {وما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ}، ثم تنقّلت بضرب المثل بتجربة الجزائر؛ زيادةً في البيان وإمعاناً في الإغذار لذوي البصائر.

1 () « مدارج السالكين » (2/172-173).

ولعلك واجد في هذه النافلة أخباراً لا تروُقك، أو لا يُصدِّقها ظنُّك، فتجاوزها! فإن ذلك لا يضرك؛ لأنني لست ممن يُحكَّم الواقع في الشرع الحنيف، ووقف عند القواعد العلمية؛ فإنها أصل هذا التصنيف، والله الموفق لسلوك هدي خير البرية.

ثم إنني شاكر للشيخ العلامة الألباني وللشيخ العلامة عبد المحسن العباد

- حفظهما الله تعالى - تفرُّغهما لقراءة هذا الكتاب المتواضع وحسن عنايتهما بالنصيحة للمسلمين، وشاكر لسائر المشايخ والإخوة الذين لم يبخلوا عليّ بإرشاداتهم وتنبيهاتهم القيِّمة، فجزاهم الله خيراً.

وقبل الخوض في الموضوع، إليك تنبيهات سريعة على أصول مهمة، لا أستقصي بحثها وجمع أدلتها، وإنما هي لفت انتباه وتذكير.



اعلم - رحمك الله! - أن الطريق الذي يضمن لك
نعمة الإسلام واحد لا يتعدد؛ لأن الله كتب الفلاح
لحزب واحد فقط فقال: {أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، وكتب الغلبة لهذا الحزب
وحده فقال: {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}.

ومهما بحثت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلن
تجد تفريق الأمة إلى جماعات وتحزيبها في تكتلات
إلا مذموماً، قال الله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ قَرَّوْا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعاً
كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قَرِحُونَ}، وكيف يُقر ربنا ﷻ أمة
على التشتت بعدما عَصَمَهَا بحبله، وهو يُبْرِئُ نبيه ﷺ
منها حين تكون كذلك وتوعدها عليه فيقول: {إِنَّ
الَّذِينَ قَرَّوْا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعاً لَسْتُ مِنْهُمْ فِي
شَيْءٍ إِنَّمَّا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ}.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: " خطَّ لنا رسول الله ﷺ
خطاً، ثم قال: « هذا سبيل الله »، ثم خط خطوطاً
عن يمينه وعن شماله، ثم قال: « هذه سبيل، وعلى
كل سبيل منها شيطان يدعو إليه »، ثم قرأ: {وَأَنَّ

هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا قَائِمِيغُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ } " رواه أحمد وغيره وهو
صحيح.

فدلَّ هذا الحديث بنصه على أن الطريق واحد،
قال ابن القيم: " وهذا لأن الطريق الموصل
إلى الله واحد، وهو ما بعث به رسله وأنزل به
كتبه، ولا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق،
ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من
كل باب، فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب
عليهم مغلقة، إلا من هذا الطريق الواحد،
فإنه متَّصل بالله موصل إلى الله " (1).

قلت: ولكن كثرة بُيَّاتِه العاديات تشكك فيه
وتُخذلُّ عنه، وإنما انحرف عنه من انحرف من
الفرق استثناساً بالتَّعدُّد، وتوحُّشاً من التفرد،
واستعجالاً للوصول، وجُبناً عن تحمُّل الطول؛ قال
ابن القيم: " من استطال الطريق ضُغف مشيُّه
" (2).

1 () « التفسير القيم » (14-15).

2 () « الفوائد » ص (90) ط. دار الكتب العلمية.





إِنَّ الذي لم يختلف فيه المسلمون قديماً وحديثاً هو أن الطريق الذي ارتضاه لنا ربنا هو طريق الكتاب والسنة، فإنه يَرِدون ومنه يصدرون، وإن اختلفوا في وجوه الاستدلال بهما.

ذلك؛ لأنَّ الله صَمِنَ الاستقامة لمتبع الكتاب فقال على لسان مؤمني الجن: { يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ }.

كما صَمِنَها لمتبع الرسول ﷺ الذي قال له ربه: { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }.

لكن الذي جعل الفرق الإسلامية تنحرف عن الصراط هو إغفالها ركناً ثالثاً جاء التنويه به في الوحيين جميعاً، ألا وهو قَهْمُ السلف الصالح للكتاب والسنة.

وقد اشتملت سورة الفاتحة على هذه الأركان الثلاثة في أكمل بيان:

فقوله تعالى: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } اشتمل على ركني الكتاب والسنة، كما سبق.

وقوله: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} اشتمل على فهم السلف لهذا الصراط، مع أنه لا يشكُّ أحد في أن من التزم بالكتاب والسنة فقد اهتدى إلى الصراط المستقيم، إلا أنه لما كان قَهْم الناس للكتاب والسنة منه الصحيح ومنه السقيم، اقتضى الأمر ركناً ثالثاً لرفع الخلاف، ألا وهو تقييد فهم الأخلاف بِقَهْم الأسلاف؛ قال ابن القيم: "وتأمل سرّاً بديعاً في ذكر السبب والجزاء للطوائف الثلاثة بأوجز لفظ وأخصره؛ فإن الإنعام عليهم يتضمن إنعامه بالهداية التي هي العلم النافع والعمل الصالح"⁽¹⁾.

وقال: " فكلُّ من كان أعرف للحق وأتبع له كان أولى بالصراط المستقيم، ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم هم أولى بهذه الصفة من الروافض ... ولهذا فسّر السلف الصراط المستقيم وأهله بأبي بكر وعمر وأصحاب رسول الله ﷺ ..."⁽²⁾.

¹ () ((مدارج السالكين)) (1/13).

² () المصدر السابق (1/72-73)، وقد صحَّ هذا التفسير موقوفاً على أبي العالية والحسن، ذكره ابن حبان في ((الثقات)) (6/229) تعليقا، ووصله ابن نصر في ((السنة)) (27) وابن جرير

وفي هذا تنصيص منه - رحمه الله - على أن أفضل من أنعم الله عليه بالعلم والعمل هم أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنهم شهدوا التنزيل، وشاهدوا من هدي الرسول الكريم ما فهموا به التأويل السليم، كما قال ابن مسعود ﷺ: " من كان منكم مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَبْرَهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقْلَهَا تَكَلُّفًا، قَوْمَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصْحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ، وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَدِينِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهَدْيِ الْمُسْتَقِيمِ " (1).

وقال أيضا: " إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ

في ((تفسيره)) (184) وابن أبي حاتم في ((تفسيره)) (21/1-22) والحاكم (2/259) وصححه هو والذهبي، وانظر أيضًا ((الإمامة والرد على الرافضة)) لأبي نعيم (73)، فقد ورد فيه مثله عن ابن مسعود ﷺ.

¹ () أخرجه بنحوه ابن عبد البر في ((جامع البيان)) (2/97) وأبو نعيم في ((الحلية)) عن ابن عمر (1/305).

فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيّه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء^(١).

إذا فالمسلمون المقصودون لابن مسعود هم الصحابة؛ قال الإمام أحمد - رحمه الله -: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتراء بهم"^(٢).

ومن حظي برضى الله من بعدهم فلاقتدائه بهديهم، قال الله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}^(٣).

وقد جاء تحديد زمن السلف الذين لا تجوز مخالفتهم بإحداث فهم لم يفهموه، في حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلوتهم، ثم الذين يلوتهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه

¹ () رواه أحمد وغيره وهو حسن.

² () ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة)) للالكائي رقم (317) وانظر ((الشريعة)) للأجري ص (14).

³ () انظر تخریج استدلال مالك بهذه الآية في « إعلام الموقعين » لابن القيم (4/94-95).

شهادته ^(١) متفق عليه.

ولهذا الأصل نظائر وأدلة من الكتاب والسنة،
 منها قول الله تعالى: { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ
 بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ
 نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }،
 والشاهد هنا في ضمّ مجانبة سبيل المؤمنين
 إلى مشاققة الرسول لاستحقاق هذا الوعيد
 الشديد، مع أن مشاققة الرسول ﷺ وحده كفيلاً
 بذلك كما قال الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا
 عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
 لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَصُحُّوا اللَّهُ شَئْنًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَالَهُمْ }
^(٢)

ومنها ما رواه عبد الله بن لحي عن معاوية بن أبي
 سفيان أنه قام فينا فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام
 فينا فقال: « ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب
 افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه
 الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان
 وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي
 الجماعة » رواه أبو داود وغيره وهو صحيح.

والشاهد هنا في وصف الفرقة الناجية

¹ () ومن ارتاب في عدد القرون فليرجع إلى «
 الصحيحة» للألباني رقم (700).

² () انظر « مجموع الفتاوى » لابن تيمية (19/194).

بالجماعة، والعدول عن إضافتها إلى الكتاب والسنة، مع أنها لا يمكن أن تخرج عنهما قط؛ والسر في ذلك يكمن في التنبيه على الجماعة التي فهمت نصوص الوحيين وعملت بهما على مراد الله ورسوله، ولم يكن يومئذ جماعة إلا أصحاب رسول الله ﷺ، ولذلك صحَّح أهل العلم - في الشواهد - اللفظ الآخر الوارد في هذا الحديث من رواية الحاكم وغيره وهو قوله ﷺ في وصف الفرقة الناجية: ((ما أنا عليه اليوم وأصحابي)).

ومنها ما رواه أبو داود وغيره بسند صحيح لغيره عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرّفت منها العيون ووجّلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مودّع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسّكوا بها وعصّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ».

والشاهد هنا في الجمع بين اتباع السنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، ثم تأمل كيف جعل النبي ﷺ كلمته هذه وصيّته

لأمته من بعده لتعلم صدق القول بأصالة هذا المنهج، ثم تأمل كيف قابل الاختلاف بالتزام هذا المنهج لتعلم أن ضابط (فهم السلف الصالح) سبب النجاة من التفريق، قال الشاطبي - رحمه الله -: " فقرن - كما ترى - سنة الخلفاء الراشدين بسنة، وأن من اتبع سنته اتبع سنتهم، وأن المحدثات خلاف ذلك، ليست منها في شيء؛ لأنهم - فيما سنوا: إما متبعون لسنة نبيهم عليه السلام نفسها، وإما متبعون لما فهموا من سنته - في الجملة والتفصيل علي وجه يخفى على غيرهم مثله، لازادة على ذلك" (1).

وقد جعلت هذه النصوص من النظائر والأدلة على تأصيل ما أنا بصدده؛ لأنني وجدت ابن أبي العز نزع بها عند شرحه قول الطحاوي: " ونسب السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة" (2).

تطبيق:

ليان ضرورة تقييد فهم الكتاب بالسنة، وتقييد فهم الكتاب والسنة بما كان عليه السلف الصالح، أورد هنا قصة جرّت أيام محنة الإمام أحمد - رحمه

1 () « الاعتصام » (1/104).

2 () ص (382 - 383) ط. المكتب الإسلامي.

الله -؛ لأبَيِّنَ بها المقصودَيْنِ في آني واحد، قال
الآجَرِّي - رحمه الله - ^(١) :

" بلغني عن المهدي - رحمه الله تعالى - أنه قال:
ما قطع أبي - يعني الواصلق - إلا شيخ جيء به من
المصيصة، فمكث في السجن مدة، ثم إن أبي ذكره
يوماً فقال: علي بالشيخ، فأتي به مقيداً، فلما أوقف
بين يديه سلم عليه، فلم يرُدَّ عليه السلام، فقال له
الشيخ: يا أمير المؤمنين! ما استعملت معي أدب
الله تعالى ولا أدب رسوله ﷺ؛ قال الله تعالى: { وَإِذَا
خُيِّئْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا }، وأمر
النبى ﷺ برُدِّ السلام؟! فقال له: وعليك السلام. ثم
قال لابن أبي دُوَادٍ سَلُّهُ، فقال: يا أمير المؤمنين!
أنا محبوس مقيد، أصلي في الحبس بتميم، مُنِعْتُ
الماء، فمُرَّ بقيودي تُحَلُّ، ومر لي بماء أتطهر
وأصلي، ثم سَلَّنِي، قال: فأمر فُحِّلَ قيده، وأمر له
بماء، فتوضأ وصلى، ثم قال لابن أبي دُوَادٍ: سَلُّهُ،
فقال الشيخ: المسألة لي، تأمره أن يجيئني، فقال:
سل، فأقبل الشيخ على ابن أبي دُوَادٍ يسأله فقال:
أخبرني عن هذا الأمر الذي تدعو الناس إليه، أشيء
دعا إليه رسول الله ﷺ؟ قال لا! قال: فشيء دعا إليه

¹ () في « الشريعة » مخطوطة تركيا ق (24) وما
بعدها، وفي المطبوع ص (63-64) وفيه
تصحيفات، لذا لم أعتمده إلا قليلاً.

أبو بكر الصديق ؑ بعده؟ قال :لا! قال: فشيء دعا إليه عمر بن الخطاب ؑ بعدهما؟ قال :لا! قال الشيخ: فشيء دعا إليه عثمان بن عفان بعدهم؟ قال :لا! قال: فشيء دعا إليه علي بن أبي طالب ؑ بعدهم؟ قال :لا! قال الشيخ: فشيء لم يدع رسول الله ؑ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي رضي الله تعالى عنهم تدعو أنت الناس إليه؟! ليس يخلو أن تقول: عليموه أو جهلوه؛ فإن قلت: عليموه وسكتوا عنه، وسبعنا وإياك ما وسع القوم من السكوت، فإن قلت: جهلوه وعلمته أنا، فيا لكع بن لكع! يجهل النبي ؑ والخلفاء الراشدون رضي الله تعالى عنهم شيئاً وتعلمه أنت وأصحابك؟! قال المهدي: فرأيتُ أبي وثب قائماً ودخل الحيرى⁽¹⁾، وجعل ثوبه في فيه يضحك، ثم

(1) هكذا في المطبوع! فلعلها (الحَيْرَى) من الحير، جاء في « لسان العرب » لابن منظور بتحقيق علي شيري (3/417): " والحير بالفتح: شبه الحظيرة أو الحمى " وأنشد عن بعض الهذليين: فيا رُبَّ حَيْرَى جمادِيَّة تَحَدَّرَ فيها الندى الساكِبُ

وقال: " فإنه عَنَى روضة متحيرة بالماء " (3/415). وفي المخطوط ما يقرأ: (الحبزي)، ولم أجد له معنى، فالله أعلم.

جعل يقول: صدق، ليس يخلو من أن نقول: جهلوه أو علموه، فإن قلنا: علموه وسكتوا عنه، وسبعنا من السكوت ما وسيع القوم، وإن قلنا: جهلوه وعلمته أنت، فيا لكع بن لكع! يجهل النبي ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم شيئاً تعلمه أنت وأصحابك؟! ثم قال: يا أحمد! قلت: لبيك، قال: لسْتُ أعنيك، إنما أعني ابن أبي دُؤاد، فوثب إليه فقال: أعط هذا الشيخ نفقةً وأخرجه عن بلدنا .

وفي رواية أوردتها الذهبي في « السير »: " .. وسقط من عينه ابن أبي دُؤاد، ولم يمتحن بعدها أحداً " ، وفي رواية: " قال المهدي: فرجعتُ عن هذه المقالة، وأظن أن أبي رجع عنها منذ ذلك الوقت " (١).

١ () قال الذهبي: " هذه القصة مليحة، وإن كان في طريقها من يُجهل ولها شاهد " « السير » (11/313).

قلت: وقد أسندها الآجري في ص (91)، وعنه ابن بطة في « الإبانة/ الردُّ على الجهمية » (452)، وأخرجها أيضاً من طرق أخرى ابن بطة تحت الرقم السابق و(453)، والخطيب في « تاريخ بغداد » (151/4-152) و(75/10-79)، وابن الجوزي في

« مناقب الإمام أحمد » ص (431-436)، وعبد الغني المقدسي في « المحنة » ص (169-174) (١٤٤).

قلت: تأمل! فإن ردَّ الشيخ هذا الأمر العظيم إلى سيرة السلف الصالح رفع الخلاف مباشرة وكان سبب هداية الواثق والمهتدي إلى ما جاء ذكره في القصة، فهذا يدلُّك على أنه تأصيل دقيق، فاحفظه!

تنبيه

إذا اختلف سلفنا الصالح في مسألة ما كان تحكيم الدليل من الكتاب والسنة هو المسلك الوحيد، لقول الله تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}، وكلمة {شَيْءٍ} هنا نكرة في سياق الشرط، فتعم كل اختلاف التضاد في الأصول والفروع، كما أشار إليه العلامة محمد الأمين الشنقيطي⁽¹⁾. وقال ابن القيم: "ولو لم يكن في كتاب الله وسنة رسوله بيانٌ حُكْمٌ ما تنازَعوا فيه ولم يكن كافياً، لم يأمر بالردِّ إليه؛ إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالردِّ عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فضلُ النزاع"⁽²⁾.

1 () « أضواء البيان » (1/333).

2 () « إعلام الموقعين » (1/49).



هذا الفصل من أنفس ما في هذه الأصول الستة؛ لأن الغرض منه هو تبيان أصل العمل الذي ينبغي أن تُكْرَس له الجهود، فإن قوما رأوا النشاط الرهيب الذي تجتهد فيه قُوى الكفر والضلال، فظنوا أن سيادتهم ترجع إليهم بمجرد مقابلة نشاطهم بنشاط أقوى منه، فَوَجَّهوا كل ما يملكون من وسائل لمجاراتهم، وأهملوا العلم الشرعي إهمالاً فاحشاً! والحقيقة أنهم مهما أحكموا التنظيم وأحسنوا التدبير وكثَّفوا النشاط وحفظوا من مكائد العدو، فلن يُكْتَب لهم سُودد ولا رِفعة حتى يُؤَسَّسوا عملهم على العلم ويعرفوا له ولأهله قدره؛ قال الله تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} وقال: {تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن تَشَاءِ}، قال مالك - رحمه الله -: " بالعلم " (١).

وهذه الرِفعة تكون في الدنيا قبل الآخرة؛ كما

١ () « شرح السنة » للبغوي (1/272)، وقد أسنده ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (1/194) من رواية مالك عن زيد بن أسلم به.

قال الله تعالى عن اصطفائه طالوت لسيادة الملائمة من بني إسرائيل: { وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَأَتَىٰ أُنثَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَةً مَّن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }.

وفي صحيح مسلم عن عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعُسفان، وكان عمر يستعمله على مكة⁽¹⁾، فقال: مَنْ استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبنى، قال: وَمَنْ ابن أبنى؟ قال: مولى⁽²⁾ من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟! قال: إنه قاريء لكتاب الله ﷻ وإنه عالم بالفرائض⁽³⁾، قال عمر: أَمَا إن نبيكم ﷻ قال: « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين ».

ولذلك أخبر الله ﷻ أنه رفع الربانيين من بني إسرائيل حتى جعلهم حكماً عليهم ينقذون فيهم أمر الله فقال: { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا

1 () أي جعله والياً عليها.

2 () أي عبد مملوك.

3 () أي عالم بالمواريث.

وَالرَّبَّانِيُونَ وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُخْفِطُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ
وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ}.

وهؤلاء الربانيون الممكّن لهم جاء وصفهم بالعلم
والتعليم، قال الله تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ
اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا
عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا
كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ}.

وفي كتاب الله ﷻ آيتان تشابهتا في اللفظ، يقول
الله في الأولى عن إبراهيم ﷺ: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا
إِبْرَاهِيمَ عَلَمًا قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن تَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ}، وفي الثانية يقول عن يوسف ﷺ:
{تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن تَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ
عَلِيمٌ}، وفي هذا سرٌّ بديعٌ من أسرار الكتاب
العزير، ذكره ابن تيمية في كلام نفيسٍ جدًّا، حيث
يقول:

" ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّهُ يَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن يَشَاءُ فِي
قِصَّةِ مَنَاظَرَةِ إِبْرَاهِيمَ وَفِي قِصَّةِ احْتِيَالِ
يُوسُفَ، وَلِهَذَا قَالَ السَّلَفُ: بِالْعِلْمِ؛ فَإِنِ
سِيَاقِ الْآيَاتِ يَدُلُّ عَلَيْهِ، فَقِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعِلْمِ
بِالْحُجَّةِ وَالْمَنَاظَرَةِ لِدَفْعِ ضَرَرِ الْخِصْمِ عَنِ الدِّينِ،
وَقِصَّةُ يُوسُفَ فِي الْعِلْمِ بِالسِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ لِتَحْصُلِ
مَنْفَعَةِ الْمَطْلُوبِ، فَالْأُولَى: عِلْمٌ بِمَا يَدْفَعُ الْمَضَارَّ فِي

الدين، والثاني: علم بما يجلب المنافع.
أو يقال: الأول: هو العلم بما يدفع المضرة عن
الدين ويجلب منفعته، والثاني: علم بما يدفع
المضرة عن الدنيا ويجلب منفعتها.
أو يقال: قصة إبراهيم في علم الأقوال النافعة
عند الحاجة إليها، وقصة يوسف في علم الأفعال
عند الحاجة إليها، فالحاجة جلب المنفعة ودفع
المضرة قد تكون إلى القول، وقد تكون...⁽¹⁾
ولهذا كان المقصرون عن علم الحجج والدلالات
وعلم السياسة والأمارات مقهورين مع هذين
الصنفين، تارة بالاحتياج إليهم إذا هجم عدوٌ يفسد
الدين بالجدل أو الدنيا بالظلم، وتارة بالاحتياج إليهم
إذا هجم على أنفسهم من أنفسهم ذلك، وتارة
بالاحتياج إليهم لتخليص بعضهم من شرّ بعض في
الدين والدنيا، وتارة يعيشون في ظلهم في مكان
ليس فيه مبتدع يستطيل عليهم ولا وال يظلمهم،
وما ذاك إلا لوجود علماء الحجج الدامغة لأهل البدع،
والسياسة الدافعة للظلم...⁽²⁾

فدار أمر الرئاسة الدينية والدينية على العلم؛
لأنه أصل لهما، ولذلك قال ابن تيمية - أيضا :- "

¹ () بياض بالأصل.

² () « مجموع الفتاوى » (493/14-494).

وذلك أن الله يقول في كتابه: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ}، فأخبر أنه أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنه أنزل الحديد كما ذكره.

فقوام الدين بالكتاب الهادي والسيف الناصر {وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا}، والكتابُ هو الأصلُ، ولهذا أول ما بعث الله رسوله أنزل عليه الكتاب، ومكث بمكة لم يأمره بالسيف حتى هاجر وصار له أعوانٌ على الجهاد⁽¹⁾.

إذن فالذين يتصوّرون قيام دولة الإسلام بمجرد عاطفة إسلامية، وفكرٍ مجرّد عن حجة الشرع يسمّونه فكراً إسلامياً! ونتفّ من العلم يسمونها (ثقافة إسلامية!)، وأن التعليم مرحلة قادمة بعدها، فهؤلاء طالبو سراب! لأنهم يتخيّلونها بلا قوة ولا أسباب، وأولى القوتين قوة الدين الذي عليه وعد الله المؤمنين بالنصر فقال: {وكان

¹ () « مجموع الفتاوى » (28/234).

وأحبّ أن أنبّه القاريء هنا إلى أنني وجدت من ابّئلي بفكر ثوري يبتتر كلام ابن تيمية هذا عند آية الفرقان؛ لأن ما بعدها يُحطّم له المراد من استغلال كلام الشيخ! فتنبه!

حَقًّا عَلَيْنَا تَضُرُّ الْمُؤْمِنِينَ}؛ ولهذا قال ابن القيم: " ولما كان جهادُ أعداء الله في الخارج فرعاً على جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال النبي ﷺ: « المجاهدُ من جاهدَ نفسه في طاعة الله، والمهاجرُ من هجرَ ما نهى الله عنه »⁽¹⁾، كان جهادُ النفس مُقَدِّماً على جهاد العدو في الخارج وأصلاً له؛ فإنه مَنْ لم يجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه ويحاربها في الله، لم يَمَكِّنْهُ جهادُ عدوِّه في الخارج، فكيف يمكنه جهاد عدوِّه والانتصاف منه، وعدوُّه الذي بين جنبيه قاهرٌ له، متسلطٌ عليه، لم يجاهده ولم يحاربه في الله؟! بل لا يمكنه الخروج إلى عدوِّه حتى يجاهد نفسه على الخروج.

فهذان عدوان قد امْتَحِنَ العبدُ بجهدهما، وبينهما عدوٌّ ثالثٌ، لا يمكنه جهادهما إلا بجهداه، وهو واقفٌ بينهما يُثَبِّطُ العبدَ عن جهادهما ويُخَدِّلُهُ ويُرَجِّفُ به، ولا يزال يخيل له ما في جهادهما من المشاقِّ وترك الحظوظِ وَقَوْتِ اللذاتِ والمشتهيات، ولا يمكنه أن يجاهد دَيْنَكَ العدوِّينِ إلا بجهداه،

¹ () رواه أحمد (3/21) وغيره وهو صحيح. 52

فكان جهاده هو الأصل لجهادهما، وهو الشيطان، قال تعالى: { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا }، والأمر باتخاذهُ عدوًّا تنبيهٌ على استفراغ الوسع في محاربتة ومجاهدته، كأنه عدوٌّ لا يفتر ولا يقصر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس^(١).

هذا الكلام في غاية الجودة والوضوح، وهو تصحيح لمنهج الذين يرمون غيرهم بالحجارة وبيوتهم من زجاج! وفي الوقت نفسه يُعظِّمون الأسباب المادية حتى يروا أن عدوهم تمكن لقوته، والحق أنه لا يدخل عليهم العدو بيوتهم إلا إذا وهى بنائها؛ أي لا ينهزم المسلمون لقوة عدوهم ولكن لضعف إيمانهم، حتى ولو عرّيت أيديهم من الأسباب - بعد بذل الوسع - كفاهم الله ما نابهم، قال ابن تيمية - رحمه الله -: "ومن سنة الله أن من لم يُمكن المؤمنون أن يعيدوه^(٢) من الذين يؤذون الله ورسوله؛ فإن الله سبحانه ينتقم منه لرسوله ويكفيه إياه، كما قدّمنا بعض ذلك في قصة الكاتب المفترى، وكما قال سبحانه: { فاصدع بما تؤمر }

¹ () « زاد المعاد » (3/6).

² () تصحّف في المطبوع إلى: (أن يعذبه)، وهو غير مستقيم، وما أثبتّه أعلاه هو الموافق للأصول المخطوطة؛ كما في المطبوع حديثاً (2/357).

وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ {^(١)}

وقال ابن القيم: " تالله! ما عَدَا عليك العدوُّ إلا بعد أن تَوَلَّى عنك الوَلِيَّ، فلا تظنَّ أن الشيطان غَلَبَ ولكن الحافظ أَعْرَضَ " ^(٢) .
وقد عرفت أنك تُحَرِّم ولاءَ ربك إذا تركت المأمور وركبت المحذور، كما أنك منصور بحفظك الله في أمره ونهيه، فعاد الأصل إلى العلم؛ لأنه لا يُعْرَف الأمر والنهي إلا به.

¹ () « الصارم المسلول » ص (164).

² () « الفوائد » ص (79).

لطيفة

روى البخاري ومسلم عن الزبير بن عدي قال: دخلنا على أنس بن مالك قال: فشكونا إليه ما تلقى من الحجاج، فقال: « ما من عامٍ إلا والذي بعده شرُّ منه حتى تلقوا ربكم »، سمعتُ هذا من نبيكم.

قال ابن حجر: " وقد استشكل هذا الإطلاق مع أن بعض الأزمنة تكون في الشرِّ دون التي قبلها، ولو لم يكن في ذلك إلا زمن عمر بن عبد العزيز، وهو بعد زمن الحجاج بيسير، وقد اشتهر الخير الذي كان في زمن عمر بن عبد العزيز ... وأجاب بعضهم أن المراد بالتفضيل تفضيل مجموع العصر على مجموع العصر، فإن عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة في الأحياء، وفي عصر عمر بن عبد العزيز انقرضوا، والزمان الذي فيه الصحابة خير من الزمان الذي بعده لقوله ^(١): « خير القرون قرني ... » وهو في الصحيحين ^(١).

ثم قال: " ثم وجدت عن عبد الله بن مسعود التصريح بالمراد وهو أولى بالاتباع، فأخرج يعقوب

¹ () لفظ « الصحيحين » : « خير الناس قرني ... »، وقد أشار الشيخ الألباني في تعليقه على « التنكيل » للمعلمي (2/223) إلى أنه لا أصل للفظ الذي ساقه الحافظ هنا.

بن شيبه من طريق الحارث بن حصيرة عن زيد بن وهب قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: " لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شرٌّ من اليوم الذي قبله حتى تقوم الساعة، لست أعني رخاء من العيش يصيبه، ولا مالا يفيدته، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقلُّ علماً من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس، فلا يأمرن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون "، ومن طريق الشعبي عن مسروق عنه قال: " لا يأتي عليكم زمان إلا وهو شرٌّ مما كان قبله، أما إنني لا أعني أميراً خيراً من أمير، ولا عاماً خيراً من عام، ولكن علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفاء، ويجيء قوم يُفتون برأيهم " (١).

قلت: رفع الإشكال بالأثر هو قرّة عيون أهل الأثر، خاصة وهو جارٍ على الأصول؛ لأن غالب الخلق لرحم المال والسلطان ووصول، ألم تسمع الله تعالى يخبر عن أهل الشمال حسرتهم قائلين: { ما أَعْتَى

١ () « الفتح » (21 / 13) والأثر صحيح؛ رواه الفسوي كما في آخر « المعرفة والتاريخ » (3/393) له، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (2/136) وغيرهما.

عَنِّي مَالِيَه. هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه}.

ولو تأملت فتنة الحركات الإسلامية - فضلاً عن غيرها - لوجدتها مجموعة في هاتين النعرتين: تصوّر أن خيرية أمة على أخرى تابعة لخيرية حكامها، أو وفرة اقتصادها؛ ألا ترى أن أكثرهم لا يُرَدُّون من عرش الملك يدّ لامس، ولو كانت طماعة من ديمقراطية الوسوس! وآخرين يرون أن عودة عزّ المسلمين مرهونة بالتفوق الحضاري، ولذلك لا يبترحون عليه عاكفين!

وهذا يبيّن لك سرّ عناية ابن مسعود بمعالجتهما دون غيرهما، وتالله إنه لفقه النفس الذي فتح الله به عليه، فلتعرف - أبا الإسلام - للسلف فضلهم، واستمسك بغرزهم تسترح من شبهات بنيات الطريق.

وأخيراً: إلى العلم! يا من ينشد عز الإسلام، فعن تميم الداري قال: تطاول الناس في البناء في زمن عمر، فقال عمر: " يا معشر العريب! الأرض الأرض! إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة، فمن سوّده قومه على الفقه كان حياة له ولهم، ومن سوّده

قومه على غير فقهه كان هلاكاً له ولهم^(١) .
 وعن الحسن قال: " كانوا يقولون: موت العالم
 ثُلْمَةٌ في الإسلام لا يَسُدُّها شيء ما اختلف
 الليل والنهار "^(٢) .
 وعن هلال بن خباب قال: سألت سعيد بن جبیر
 قلت: يا أبا عبد الله! ما علامة هلاك الناس؟ قال: "
 إذا هلك علماءهم "^(٣) .

1 () رواه الدارمي رقم (241).
 2 () المصدر السابق رقم (324) وفي « شرح السنة
 » للبغوي أنه من قول ابن مسعود.
 3 () المصدر السابق رقم (251).



لست أعني بهذا الفصل ظاهره المتبادر إلى الذهن فحسب؛ لأنه شيء معلوم للمسلمين علماً نظرياً على الأقل، ولكنه كلمة إلى أولئك الذين لم يقنعوا بدعوة الكتاب والسنة، حين رأوا تألب قُوى الكفر والنفاق على ديار المسلمين، من يوم الأندلس وفلسطين الفقيديتين، إلى يوم البوسنة والهرسك الجريحتين، وازداد المسلمون وهناً على وهن حين قلت عنايتهم بمصدر قوتهم: الكتاب والسنة، وهانوا على الله حين ساء ظنهم بهما، إذ تصوّروا ضعف أثرهما في النفوس، وأن دعوة المسجد قاصرة عن بعث الأمة إلا ببطء لا يكافيء النشاط الرهيب والمتنوع الوسائل الذي يقوم به الشيوعيون واليهود والنصارى ...

وهذه الدعوى - إن كان فيها حق - فيكفي أصحابها إثماً أن صرفوا وجوه النشء عن العكوف على الوحيين حفظاً وتعلماً وتعليماً، ولئن حبسوا أنفسهم لتعليم الناس دينهم، فقلماً ينزعون بآية أو حديث إلا تبرُّكاً، وإلا فحسن ظنهم بكلامهم زهّدهم في كلام الله

وكلام رسوله ﷺ، ووالله ثم والله ثم والله إن أحدهم ليجد في أنشودة من الخشوع، ما يفقده مع كلام ربّ الأرباب، ولو كانت الطير لكانت محشورة كل له أوّاب.

أين هم الذين يعلمون القرآن بتفسيره الأثري؟

أين هم الذين أحيوا طريقة السلف في تسميع الحديث النبوي والتقليل من الكلام البشري؟

ألا تعلمون أن الكفار لا يقدرّون عليكم ما دمتم تتلون الوحيين؟ قال الله تعالى: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ نُنظِئُهَا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ. وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}، وفي هذا السياق الكريم فائدتان هما:

الأولى: عصمة أتباع الوحيين من الكفر، قال ابن كثير - رحمه الله -:

" يعني أن الكفر بعيدٌ منكم وحاشاكم منه؛ فإن آيات الله تنزل على رسوله ليلاً ونهاراً، وهو يتلوها عليكم ويبلغها إليكم"⁽¹⁾.

¹ () « تفسير القرآن العظيم » (1/597) ط. دار

والثانية: أن الله تعالى اقتصر على ذكر أعظم كيد يدبّره الكفار للمسلمين وهو إرادة تكفيرهم، كما قال سبحانه في الآية الأخرى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَزُدُّوَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا خَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ}، فكأن الله يقول: مهما كان مكرهم الكبار الذي تزول منه الجبال قال تعالى: {وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِلتَّزْوَلِ مِنْهُ الْجِبَالُ}، فإن إيمانكم لا يزول ما أقمتم على تلاوة الوحي كتابا وسنة.

وليس هذا غريبا على من أيقن بقلبه أن الله جعل معين الحياة في الوحي فقال: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}. وأعظم الحياتين حياة القلب، وأحيا الناس أتبعهم للوحي، وهو آمتهم من الضلال، وبهذا يدقّ فهمك لقول الرسول ﷺ: «تركك فيكم شيئين لن تضلّوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» رواه الحاكم ومالك وهو حسن.

وقال أبو بكر الصديق ﷺ: "لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني

أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ " رواه البخاري ومسلم.

فهذا صديق الأمة يخشى على نفسه الانحراف عن الصراط المستقيم إن هو فرّط في شيء من هدي النبي ﷺ - مع أنه كان شديد التمسك بما دَقَّ وَجَلَّ من سنة نبيّه ﷺ - فكيف قرّرت أعين المبتدعة وهدأت جفونهم، وقد روى الشيخان عن أبي هريرة أنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستُخلف أبو بكر بعده، كفر من كفر من العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله »، فقال:

" والله! لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه "، فقال عمر: " فوالله! ما هو إلا أن رأيتُ الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفتُ أنه الحق ".

فتأمل هذا الحرص الشديد على أداء الواجب بكل تفاصيله التي كانت على عهد رسول الله ﷺ، ولو كانت في تقديم أحقر شيء.

ولما كان الرسل عليهم الصلاة والسلام أتبع

الخلق للوحي اقترن بهم من تأييد الله أكمله، كما قال الله تعالى: { كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي } وقال: { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ. وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ } وقال: { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ }⁽¹⁾.

ومن كان لهم متبوعاً كان له مثل ما لهم من التأييد والنصرة، قال الله تعالى لموسى وهارون صلى الله عليهما وسلم ولأتباعهما: { أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكُمْ مِنَ الْغَالِبِينَ }، وقال لعيسى ﷺ ولأتباعه: { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ كِتَابَكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ }.

قال ابن القيم - رحمه الله -: " فلما كان للنصارى نصيب ما من أتباعه كانوا فوق اليهود إلى يوم القيامة، ولما كان المسلمون أتبع له من النصارى كانوا فوق النصارى إلى يوم القيامة "⁽²⁾.

وقال ابن تيمية: " ولهذا كل من كان متبوعاً

¹ () انظر « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » لابن تيمية (2/179) ط. دار العاصمة.

² () « إغاثة اللفهان » (2/197-198) وانظر « الجواب الصحيح » (2/178).

لِلرَسُولِ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ بِحَسَبِ هَذَا الْاِتِّبَاعِ،
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ
 اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}، أَي حَسْبُكَ وَحَسْبُ مَنْ
 اتَّبَعَكَ، فَكُلُّ مَنْ اتَّبَعَ الرَّسُولَ مِنْ جَمِيعِ
 الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ حَسْبُهُ، وَهَذَا مَعْنَى كَوْنِ اللَّهِ
 مَعَهُ، وَالْكَفَايَةُ الْمَطْلُوقَةُ مَعَ الْاِتِّبَاعِ الْمَطْلُوقِ،
 وَالنَّاقِصَةُ مَعَ النَّاقِصِ، وَإِذَا كَانَ بَعْضُ
 الْمُؤْمِنِينَ بِهِ الْمَتَّبِعِينَ لَهُ قَدْ حَصَلَ لَهُ مَنْ
 يَعَادِيهِ عَلَى ذَلِكَ فَاللَّهُ حَسْبُهُ، وَهُوَ مَعَهُ وَلَهُ
 نَصِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرُنْ إِنَّ
 اللَّهَ مَعَنَا}، فَإِنْ هَذَا قَلْبُهُ مُوَافِقٌ لِلرَّسُولِ وَإِنْ
 لَمْ يَكُنْ صَحْبَهُ بِبَدَنِهِ، وَالْأَصْلُ فِي هَذَا الْقَلْبِ،
 كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

((إِنَّ بِالْمَدِينَةِ رَجَالًا مَا سِزْتُمْ مَسِيرًا وَلَا
 قَطَعْتُمْ وَاذْيَا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ))، قَالُوا: وَهُمْ
 بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: ((وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ
 الْعَذْرُ))^(١)، فَهَؤُلَاءِ بِقُلُوبِهِمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ
 وَأَصْحَابِهِ الْغَزَاةَ، فَلَهُمْ مَعْنَى صُحْبَتِهِ فِي
 الْغَزَاةِ، فَاللَّهُ مَعَهُمْ بِحَسَبِ تِلْكَ الصَّحْبَةِ
 الْمَعْنَوِيَّةِ^(٢).

^١ () وفي « صحيح مسلم » زيادة « شَرِكُواكُمْ فِي
 الْأَجْرِ ».

^٢ () « منهاج السنة » (487/8-488) ط. جامعة الإمام

وقد صدق - رحمه الله -؛ فإن في القرآن ما يدل على أنهم صحبوهم بباطنهم، وذلك أنهم حين أتوا ليحملهم النبي ﷺ معه إلى الجهاد ردهم؛ لأنه لا يملك ما يحملهم عليه، رجعوا وقلوبهم متحرقة وعيونهم دامعة على ذلك حتى وصفهم الله بقوله: { وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرْنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ }.

ثم قال - رحمه الله -: " ولو انفرد الرجل في بعض الأمصار والأعصار بحق جاء به الرسول، ولم تنصُرْه الناس عليه، فإن الله معه، وله نصيب من قوله: { إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا }، فإن نصر الرسول هو نصر دينه الذي جاء به حيث كان ومتى كان، ومن وافقه فهو صاحبه عليه في المعنى، فإذا قام به ذلك الصاحب كما أمر الله فإن الله مع ما جاء به الرسول ومع ذلك القائم به، وهذا المتبع له: حسبه الله، وهو حسب الرسول كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }

وعن ابن مسعود قال: صلى رسول الله ﷺ العشاء ثم انصرف فأخذ بيد عبد الله بن مسعود حتى خرج به إلى بطحاء مكة فأجلسه ثم حَطَّ عليه خطاً ثم قال: « لا تَبْرَحَنَّ خَطِّكَ فَإِنَّهُ سَيَنْتَهِي إِلَيْكَ رِجَالٌ، فَلَا تَكَلِّمَهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَلِّمُونَكَ »، قال: ثم مضى رسول الله ﷺ حيث أراد، فبينما أنا جالس في خطي إذ أتاني رجال كأنهم الزُّطُّ^(٢): أشعارهم وأجسامهم، لا أرى عورة ولا أرى قشرا، وينتهون إليّ لا يجاوزون الخط، ثم يصدرون إلى رسول الله ﷺ، حتى إذا كان من آخر الليل، لكن رسول الله ﷺ قد جاءني وأنا جالس، فقال: « لقد أراني^(٣) منذ الليلة »، ثم دخل علي في خطي فتوسّد فخذني فرقد، وكان رسول الله ﷺ إذا رقد نفخ، فبينما أنا قاعد ورسول الله ﷺ متوسّد فخذني، إذا أنا برجال عليهم ثياب بيض، الله أعلم ما بهم من الجمال، فانتهوا إلي، فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ وطائفة منهم عند رجليه، ثم قالوا بينهم: ما رأينا عبدا قط أوتي مثل ما أوتي هذا النبي: إنَّ عينيه

1 () المصدر السابق.

2 () الزُّطُّ: قوم من السودان أو الحبشة في سوادهم.

3 () أراني منذ الليلة: أي لم أنم منذ الليلة.

تنامان وقلبه يقظان، اضربوا له مثلاً مَثَلٌ سَيِّدٌ بنى قصرًا، ثم جعل مَأْدِبَةً فدعا الناس إلى طعامه وشرابه، فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه، ومن لم يجبه عاقبه أو قال عَدَّبَهُ، ثم ارتفعوا، واستيقظ رسول الله ﷺ عند ذلك فقال:

« سمعت ما قال هؤلاء؟ وهل تدري من هؤلاء؟ » قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: « هم الملائكة، فتدري ما المثل الذي ضربوا؟ » قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: « المثل الذي ضربوا: الرحمن تبارك وتعالى بنى الجنة ودعا إليها عباده، فمن أجابه دخل الجنة، ومن لم يجبه عاقبه أو عَدَّبَهُ ⁽¹⁾ .

فأنت ترى في هذه القصة العظيمة أن استجابة ابن مسعود لرسول الله ﷺ حين أمره بلزوم مكانه دفعت عنه شر قوم جاؤوه في أبشع صورة، مع أنه لم يكن بينه وبينهم سوى خطٍّ لو جاءت عليه الريح لعفى أثره، لكنه ليس كبقية الخطوط، إنه خط السنة: من لزمه كفاه الله ما نابِه.

وإذ قد بيَّنتُ أدلة تثبت الله لأمة المتابعة ونصره إياها، فلا بأس أن أسوق هنا قصة تشهد للأمرين جميعاً، وفيها منقبة عظيمة

¹ () « صحيح سنن الترمذي » للألباني رقم (2296).

لأبي بكر الذي حفظ الله به الدين ونصره بعد رسول الله ﷺ، حتى قال أبو هريرة: "والله الذي لا إله إلا هو لولا أبو بكر استُخلف ما عُبد الله"، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقيل له: مه يا أبا هريرة! فقال: "إن رسول الله ﷺ وَجَّه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام، فلما نزل بذي خشب قُبض رسول الله ﷺ وارتدت العرب حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا بكر! رُدَّ هؤلاء، تُوجَّه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدَّت العرب حول المدينة؟! فقال: "والذي لا إله غيره، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشا وجَّهه رسول الله ﷺ، ولا حلَّلت لواء عَقَّده رسولُ الله ﷺ، فوجَّه أسامة، فجعل لا يمرُّ بقبيلٍ يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أنَّ لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندَّعهم حتى يَلقوا

الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام" (١).

١ () « العواصم من القواصم » لابن العربي ص (63)، وانظر إن شئت التوسع ((تاريخ الطبري)) و((سيرة ابن هشام)) و« الإمتاع » للمقرئزي. 68

هذا هو تمسك أبي بكر بالسنة على الرغم من فاجعة موت رسول الله ﷺ وفاقرة ارتداد العرب، أضف إليهما تثبيط الناس له انطلاقاً من العقل الذي يقضي بما قضا به، ولكن الشرع الذي تعلمه أبو بكر من النبي ﷺ هو الذي هداه إلى ما شئت به قرائحهم؛ ألا وهو خوفه ﷺ من تأخير ما قدّمه رسول الله ﷺ، فكانت عاقبة التمسك بالسنة الانتصار على العدو والثبات على الإسلام.

تنبيه:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله -: " وقد حقق العلماء أن غلبة الأنبياء على قسمين: غلبة بالحجة والبيان، وهي ثابتة لجميعهم، وغلبة بالسيف والسنان، وهي ثابتة لخصوص الذين أمروا منهم بالقتال في سبيل الله ... " (1).

ولهذا قرر العلماء أن المؤمنين المستضعفين اليوم في مجتمعاتهم؛ الذين لا يؤمرون بالقتال، هم منتصرون بالحجة العلمية التي تدمغ كل باطل وجدال، وأما الذين لهم القوة والسلطان فيؤمرون به لتأييد الحجة بالسنان، وعلى هذا فالحجة العلمية غالبية

1 () انظر « أضواء البيان » (1/353) وما بعدها.

في كل زمان، والحمد لله
على هذا.

ولما كان أهل الحديث أقوى الناس حجة؛ لأنهم
أعلمهم بالقرآن كما قال عمر بن الخطاب: " إن
ناسا يجادلونكم بشبه القرآن، فخذوهم بالسنن؛
فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله ⁽¹⁾ ، ولما
كانوا أعلمهم بهدي النبي ⁽²⁾ ، كانوا أتبعهم للكتاب
والسنة، فلا يستغربون خلفي أن تجتمع كلمة أهل
العلم على تفسير الطائفة المنصورة بأهل الحديث
في قوله ⁽³⁾ : « من يُرد الله به خيرا يفقهه في
الدين ... ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين
على الحق ... » ⁽²⁾ ،

مع أنه لا يخفى على الحصيف ارتباط الجملة
الأولى - التي هي الفقه في
الدين - بالأخرى - التي هي انتصار هذه
الطائفة - وهو من جوامع كلمه ⁽³⁾ .

1 () رواه الآجري في « الشريعة » ص (48) وغيره.

2 () « الجواب الصحيح » (2/180).

3 () راجع: « شرف أصحاب الحديث » للخطيب
البغدادي، و« الصحيحة » للألباني (270)، و« أهل
الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية » للشيخ
ربيع بن هادي المدخلي.

تهديد مخالف الرسول بالزيغ أو الكفر

ما دام قد كتب الله لأتباع نبيّه ﷺ الثبات على الدين، فقد جعل مخالفه على خطر من دينهم فقال: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَأَفِّقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا. فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا }، قال ابن القيم: "توعدهم بأنهم إذا أصابتهم مصيبة في عقولهم وأديانهم وبصائرهم وأبدانهم وأموالهم بسبب إعراضهم عما جاء به الرسول وتحكيم غيره والتحاكم إليه كما قال تعالى: { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ دُذُوبِهِمْ } اعتذروا بأنهم إنما قصدوا الإحسان والتوفيق ... " (1).

وثالثة الأثافي أن هذه المصيبة قد تصيب من دين المرء مقتلاً حتى يكفر، قال ابن تيمية عند قول الله ﷻ: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } : " أمر من خالف



أَمْرَهُ أَنْ يَحْذَرَ الْفِتْنَةَ، وَالْفِتْنَةُ: الرُّدَّةُ وَالْكَفْرُ، قَالَ سُبْحَانَهُ: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} ... قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةِ الْفَضْلِ بْنِ زِيَادٍ: "نَظَرْتُ فِي الْمَصْحَفِ فَوَجَدْتُ طَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ مَوْضِعًا"، ثُمَّ جَعَلَ يَتْلُو: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، وَجَعَلَ يَكْررها وَيَقُولُ: "وَمَا الْفِتْنَةُ؟ الشَّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضُ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّبِغِ فَيَزِيبُ قَلْبُهُ

فِيهِلِكُهُ"، وَجَعَلَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: {قَلَّا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}.

وَقَالَ أَبُو طَالِبِ الْمَشْكَانِي: وَقِيلَ لَهُ: إِنْ قَوْمًا يَدْعُونَ الْحَدِيثَ وَيَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سَفِيَانَ، فَقَالَ: "أَعْجَبَ لِقَوْمٍ سَمِعُوا الْحَدِيثَ وَعَرَفُوا الْإِسْنَادَ وَصَحَّتْهُ، يَدْعُونَهُ وَيَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سَفِيَانَ وَغَيْرِهِ، قَالَ اللَّهُ: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}! وَتَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ؟ الْكَفْرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ}، فَيَدْعُونَ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَغْلِبُهُمْ أَهْوَاؤُهُمْ إِلَى الرَّأْيِ، فَإِذَا كَانَ الْمَخَالَفُ عَنْ أَمْرِهِ قَدْ حُدِّرَ مِنَ الْكَفْرِ وَالشَّرْكِ أَوْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مَفْضِيًّا إِلَى الْكَفْرِ أَوْ الْعَذَابِ

الأليم ... " (١)

ومن الكلمات السائرة عند السلف قولهم: "أسرع الناس رِدَّةً أصحابُ الأهواء" (٢).
ولما كان أصل كفر أهل الكتاب من جهة مخالفة الرسل قال الله تعالى: { اِتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ }، وفي هذا السياق الكريم فائدتان:

الأولى: أن سبب كفرهم هو تعظيمهم علماءهم حتى غصّوا من حق الله ورسوله في التحاكم إليهما، فعن عدي بن حاتم قال: أتيتُ النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: « يا عدي! اطرح عنك هذا الوثن »، وسمعه يقرأ من سورة براءة { اِتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ }، قال: ((أمّا إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئاً استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه)) (٣).

١ () « الصارم المسلول » ص (56-57) والأثر الأول عن أحمد تجده في « الإبانة » لابن بطة رقم (97).

٢ () صح عن ابن سيرين كما في ((المعرفة والتاريخ)) للفلسوي (388/3-389) و« الإبانة » لابن بطة (353) و((شرح أصول الاعتقاد)) لللكائي (234).

٣ () « صحيح سنن الترمذي » للألباني رقم (2471).

والثانية: أن في الاقتصار على التنديد بصنيع اليهود والنصارى تنبيها على قسمي المخالفة للرسول لا ثالث لهما، وهما:

- التفريط: الذي هو النصيب الأوفر لليهود مؤذي الأنبياء وقتلتهم.

- الإفراط: الذي هو النصيب الأوفر للنصارى ذوي الغلو.

وهذا من إعجاز القرآن العظيم. وقد جاء التحذير منهما مقترنين في حديث واحد، هو قول الرسول ﷺ: « دعوني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم » متفق عليه. فقوله: « بكثرة سؤالهم » في الإفراط والغلو.

وقوله: « واختلافهم على أنبيائهم » في التفريط والتقصير.

ولذلك أورده البخاري في " كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة " (1)، وهو من جوامع كلمه ﷺ.

1 () انظر « الفتح » رقم (6858).



ولما كانت المتابعة بهذه الدقة لم يمدح الله تعالى المؤمنين بمجردھا، بل بإحسانھا فقال: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}، أي هي متابعة ظاهرة وباطنة، ومن كان كذلك فأخذ منه الشيطان نصيبا من الطاعة، أسرع الأوبة ونفعته التوبة؛ كما وصف الله المهاجرين والأنصار بذلك؛ لأن مخالفتهم لم تكن متصلة في قلوبهم، وسرّ هذه العناية الربانية بهم ما عُرفوا به من المتابعة التامة، فتأمل إخبار الله عن حفظ قلوبهم من الزيغ بسبب صدقهم في المتابعة في وقت العسرة قال الله: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ}، فليحذر الذين هم على ظاهر السنة دون باطنها، وكذا العكس.

تعجيل الهزيمة لمخالف الرسول

كما أنّ أتباع الرسول منصورون، فإنّ مخالفهم
مخذولون قال الله
تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُخَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي
الْأَذَلِّينَ }، وقال رسول الله ﷺ:
) ... وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلِيمًا خَالَفَ
أَمْرِي « رواه أحمد وهو حسن.

وتفسيره مقاله ابن تيمية: " والبدعة مقرونة
بالفُرقة، كما أنّ السنة مقرونة بالجماعة
فيقال: أهل السنة والجماعة: كما يقال: أهل
البدعة والفرقة " (١).

وقد أجمع العقلاء على أنّ أعظم أسباب الهزيمة
هو التنازع، وأشدّه - ولا شك - التنازع في الدين،
ولما كان التنازع ناشئاً عن التقصير في طاعة الله
ورسوله قرن الله بينهما في آية واحدة، فقال:
{ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعُوا فَتَفْشَلُوا
وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } ولما كان الالتزام بالسنة هو
سفينة النجاة في بحر الاختلاف، أمر النبي ﷺ بلزومها
عند وقوعه فقال: « ... وإِنَّهُ مِنْ يَعِشْ مِنْكُمْ

١ () « الاستقامة » (1/42) وانظر إن شئت « اجتماع
الجيوش الإسلامية » لابن القيم ص(6).

بعدي فسيري اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي
وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا
بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات
الأمور » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه
وغيرهم وهو صحيح، وقال الله تعالى: { وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْبَيِّنَاتِ }، أي جاءهم من الوحي ما جمعهم، فلما
تركوه اختلفوا. وهذا مبين في سيرة اليهود
والنصارى مع رسلهم، فالنصارى اتبعوا رهبانية
ابتدعوها وتركوا بعض ما أمروا به فأعزى الله بينهم
العداوة والبغضاء، كما قال تعالى: { وَمِنَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا
دُكِّرُوا بِهِ فَأَعَزَّ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ }، قال ابن تيمية: " فهذا نص في أنهم
تركوا بعض ما أمروا به فكان تركه سبباً
لوقوع العداوة والبغضاء المحرمة ⁽¹⁾ ".
وكذلك اليهود تركوا بعض ما أمروا به كما قال
تعالى: { يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا
مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ }، لكن تركهم له كان ناشئاً عن
تقصيرهم المعروف بسبب كراهيتهم لما أنزل الله،
كما قال تعالى: { وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ

1 () « مجموع الفتاوى » (20/109).

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ {⁽¹⁾

وقال ابن تيمية: " والخلاف الواقع في غير أهل
الملل أكثر منه في أهل الملل، فكل من كان إلى
متابعة الأنبياء أقرب كان الخلاف بينهم أقل؛
فالخلاف المنقول عن فلاسفة اليونان والهند
وأمثالهم أمر لا يُحصيه إلا الله، وبعده الخلاف عن
أعظم الملل ابتداعا كالرافضة فينا، وبعد ذلك
الخلاف الذي بين المعتزلة ونحوهم، وبعد ذلك
خلاف الفرق المنتسبة إلى الجماعة، كالكلابية
والكرامية والأشعرية ونحوهم، وبعد ذلك اختلاف
أهل الحديث، وهم أقل الطوائف اختلافا في
أصولهم، لأن ميراثهم من النبوة أعظم من
ميراث غيرهم، فعصمهم حبل الله الذي
اعتصموا به، فقال: {واعتصموا بحبلِ الله
جَمِيعاً} " {⁽²⁾

ومن الدرر الغوالي لأبي المظفر السمعاني
قوله: " ومما يدلُّ على أن أهل الحديث هم
على الحقِّ أنك لو طالعت جميع كتبهم
المصنَّفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم

1 () انظر « مجموع الفتاوى » أيضا (13/227).

2 () « منهاج السنة » (6/311).

وحدثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعدهما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار، وحدثهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟ قال الله تعالى:

{ أَقْلًا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } وقال تعالى:

{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا }.

وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعاً وأحزاباً؛ لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدع بعضهم بعضاً، بل يرتقون إلى التكفير؛ يكفر الابن أباه، والرجل أخاه، والجار جاره، تراهم أبداً في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارهم ولم تنفق كلماتهم { تَخْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ } " (١).

والغرض من هذا كله بيان لحوق الهزيمة بمن خالف الرسول ﷺ وتعجيلها لهم، بسبب الاختلاف المضروب عليهم، وقد روى ابن سعد والبيهقي وأحمد وغيرهم بأسانيد عن جمع من الصحابة دخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا: وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي، وهو أحد الستة، إلى كسرى يدعو إلى الإسلام وكتب معه كتابا، قال عبد الله: فدفعتُ إليه كتاب رسول الله ﷺ، ثم أخذه فمزَّقه، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: « اللهم مزِّق ملكه » (٢)، وكتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن أن ابعث من عندك رجلين جُلدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز فليأتياني بخبره، فبعث باذان قهرمان ورجلا آخر، وكتب معهما كتابا، فقدمَا المدينة، فدفعَا كتاب باذان إلى النبي ﷺ، فتبسم رسول الله ﷺ ودعاهما إلى الإسلام وفرائصهما ترعد، وفي رواية: فلما رأى شواربهما مفتولة وخدودهما مخلوقة، أشاح عنهما وقال: « وَيَحْكُمَا مَنْ أَمْرُكُمَا بهذا » قالوا: أمرنا ربنا - يعنينا كسرى - فقال النبي ﷺ: « ولكنني أمرني ربي ﷺ أن أعفيَ لحيتي وأن أحفي

1 () من « الحجة » لِقَوَامِ السَّنة (2/225).

2 () إلى هنا رواية البخاري في « صحيحه »، لكن

زيادة هذا الدعاء هي عنده مرسلة.

شاربي»، وقال:
 ((ارجع عني يومكما هذا حتى تأتياني الغد فأخبركما
 بما أريد))، فجاءاه
 من الغد فقال لهما: ((أبلغا صاحبكما أن ربي قد
 قتل ربه كسرى في هذه الليلة))، فوجدوه
 كما قال⁽¹⁾.

وفي هذه القصة أن النبي ﷺ علم هلاك كسرى لما
 تجرأ على رسالته، ولم يُراع له حرمة؛ لأن الله
 قضى بقطع دابر شانيء رسوله وتعجيل بتره فقال:
 {إِنَّ شَانِيئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}. ومن حسن الموافقة أن
 قاتل كسرى ابنته، كما ذكر ذلك الحافظ في «
 الفتح»⁽²⁾، وهو من تمام الإعجاز في إلقاء العداوة
 بين أفراد الأمة الواحدة، كيف وهي عداوة أهل بيت
 واحد؟! تحقيقاً لقول الله تعالى: {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ
 الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}.

وقارن قصة كسرى هذه بقصة قيصر التي رواها
 البخاري وغيره، وفيها قول قيصر لأبي سفيان في
 رسول الله ﷺ: "... فإن كان ما تقول حقا فسيملك
 موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم
 أكن أظن أنه منكم، فلو أنني أعلم أنني أحلص إليه

¹ () انظر «الصحيحة» للألباني (1429)، وتخرجه
 على «فقه السيرة» للغزالي (388-389).

² () (733-734).

لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، ولو كنتُ عنده لغسلتُ عن قدمه

قال ابن تيمية: " وقد كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، وكلاهما لم يُسلم، لكن قيصر أكرمَ كتاب النبي ﷺ وأكرم رسوله، فثبت ملكه، فيقال: إن الملك باقٍ في ذريته إلى اليوم، وكسرى ممزق كتاب رسول الله ﷺ واستهزأ برسول الله ﷺ، فقتله الله بعد قليل ومزق ملكه كل ممزق ولم يبق للأكاسرة ملك، وهذا - والله أعلم - تحقيق لقوله تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}، فكلُّ مَنْ شَتَّاهُ وَأَبْغَضَهُ وعاداه فإن الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره، وقد قيل: إنها نزلت في العاص بن وائل أو في عقبة بن أبي معيط أو في كعب بن الأشرف، وقد رأيتُ صنيع الله بهم، ومن الكلام السائر:

(لحوم العلماء مسمومة)، فكيف بلحوم الأنبياء عليهم السلام؟! (١)

قلت: تأمل قوله: " إن المُلْك باقٍ في ذرِّيَّته إلى اليوم "، مع قول هرقل بعد قراءته

١ () « الصارم المسلول » ص (164-165)، وانظر

((الفتح)) لابن حجر (1/44).

كتاب رسول الله ﷺ في الرواية السابقة: " يا
معشر الروم! هل لكم في الفلاح والرشد
وأنْ يثبت مُلْكُكُمْ فُتُبَايَعُوا هذا النبي؟..".

وقال ابن تيمية: " ونظير هذا ما حدَّثناه أعداد من
المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جرَّبوه
مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي
بالسواحل الشامية، لما حَصَرَ المسلمون فيها بني
الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نحصر الحصن أو
المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا
حتى نكاد نياس، إذ تعرَّض أهله لسبِّ رسول الله ﷺ
والوقية في عرضه فعجلنا فتحه وتيسر، ولم يكد
يتأخر إلا يوما أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان
عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا حتى إن
كنا لتتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه،
مع امتلاء القلوب غيظا عليهم بما قالوه فيه، كما
حدَّثني بعض الأصحاب الثقة أنَّ المسلمين من أهل
الغرب حالهم مع النصارى كذلك، ومن سئة الله أن
يعدِّب أعداءه تارةً بعذاب من عنده، وتارةً بأيدي
عباده المؤمنين⁽¹⁾ .

وقال ابن تيمية: " سورة الكوثر: ما أجلُّها
من سورة! وأغزر فوائدها على اختصارها!

¹ () المصدر السابق ص (117).

وحقيقة معناها تُعلم من آخرها، فإنه سبحانه وتعالى بتر شانيء رسوله من كل خير، فيبتر ذكره وأهله وماله فيخسر ذلك في الآخرة، ويبتر حياته فلا ينتفع بها، ولا يتزود فيها صالحا لمعاده، ويبتر قلبه فلا يعي الخير، ولا يؤهله لمعرفته ومحبته والإيمان برسله، ويبتر أعماله فلا يستعمله في طاعة، ويبتره من الأنصار فلا يجد له ناصرا ولا عوناً، ويبتره من جميع القرب والأعمال الصالحة فلا يذوق لها طعماً ولا يجد لها حلاوة، وإن باشرها بظاهره فقلبه شارد عنها، وهذا جزاء من شتأ بعض ما جاء به الرسول ﷺ وردّه لأجل هواه أو متبوعه أو شيخه أو أميره أو كبيره، كمن شتأ آيات الصفات وأحاديث الصفات، وتأولها على غير مراد الله ورسوله منها، أو حملها على ما يوافق مذهبه ومذهب طائفته، أو تمنى ألا تكون آيات الصفات أنزلت، ولا أحاديث الصفات قالها رسول الله ﷺ ... ومن أقوى علامات شنائه لها وكراهته لها أنه إذا سمعها حين يستدل بها أهل السنة على ما دلت عليه من الحق اشمأز من ذلك، وحاد ونفر من ذلك، لما في قلبه من البغض لها

والنفرة عنها، فأى شانيء للرسول أعظم من هذا ... وكذا من أثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة، فلولا أنه شانيء لِمَا جاء به الرسول ما فعل ذلك، حتى إن بعضهم لينسى القرآن بعد أن حفظه، ويشغل بقول فلان وفلان ...

فالحذر الحذر! أيها الرجل من أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ أو تردّه لأجل هواك، أو انتصاراً لمذهبك أو لشيخك، أو لأجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا؛ فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله والأخذ بما جاء به، بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ما سأله الله عن مخالفة أحد، فإن من يطيع أو يطاع إنما يطاع تبعاً للرسول، وإلا لو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ما أطيع. فاعلم ذلك واسمع وأطع، واتبع ولا تبتدع، تكن أبتى مردوداً عليك عملك، بل لا خير في عمل أبتى من الإِتباع، ولا خير في عامله، والله أعلم^(١).

1 () « مجموع الفتاوى » (526/16-529).

احتجّت إلى أن أوصل لبحثي بهذا الفصل؛ لأنني تعرّضت فيه لانتقاد بعض من بان لي خطؤه في الدعوة إلى الله عموماً، وفي موضوع الكتاب خصوصاً. ولما كان جلّ الأحزاب الإسلامية يعمل على واد ما يسمّى (بالنقد الذاتي)، وإجهاض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإخلاء أعظم ثغور المسلمين من مرابط، بحجّة السّتر على المسلمين تارة، وجمع الكيد للكافرين تارة أخرى، وغيرها من الحجج العاطفيّة التي تجعل العقول تُتخطف من أصحابها في زمن الوهن العلميّ، كان لابدّ من ردّ الحق إلى نصابه { لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ }.

" والذين يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِاسْتِنكَارٍ نَقْدِ الْبَاطِلِ وَإِنْ كَانَ فِي بَعْضِهِمْ صَلَاحٌ وَخَيْرٌ، وَلَكِنَّهُمُ الْوَهْنُ وَضَعْفُ الْعِزَائِمِ حِينًا، وَضَعْفُ إِدْرَاكِ مَدَارِكِ الْحَقِّ



والصّواب أحيانا، بل في حقيقته من التّولي يوم الزحف عن مواقع الحراسة لدين الله والدّب عنه، وحينئذ يكون الساكت عن كلمة الحق كالنّاطق بالباطل في الإثم، قال أبو علي الدّقاق: " الساكت عن الحق شيطان أخرس، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق ". والنبيّ ﷺ يخبر بافتراق هذه الأُمَّة إلى ثلاث وسبعين فرقة، والنّجاة منها لفرقة واحدة على منهاج النّبوة، أيريد هؤلاء اختصار الأُمَّة إلى فرقة وجماعة واحدة مع قيام التّمايز العقديّ المضطرب؟! أم أنها دعوة إلى وحدة تصدّع كلمة التّوحيد، فاحذروا.

وما حجّتهم إلا المقولات الباطلة :

لا تصدّعوا الصّفّ من الدّاخل!

لا تثيروا الغبار من الخارج!

لا تحرّكوا الخلاف بين المسلمين!

" نلتقي فيما اتّفقنا عليه ويعذر بعضنا

بعضا فيما اختلفنا فيه! " وهكذا.

وأضعف الإيمان أن يقال لهؤلاء : هل

سكت المبطلون لنسكت، أم أنهم يهاجمون

الاعتقاد على مرأى ومسمع، ويُطلب

السّكوت؟ اللهمّ لا...

وُعيذ بالله كل مسلم من تسرّب حجة اليهود، فهم مختلفون على الكتاب، مخالفون للكتاب، ومع هذا يظهرون الوحدة والاجتماع، وقد كذبهم الله تعالى فقال سبحانه : {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}، وكان من أسباب لعنتهم ما ذكره الله بقوله : {كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ} ⁽¹⁾ .
 " ولهذا فإذا رأيت من ردّ على مخالف في شذوذ فقهيّ أو قول بدعيّ، فاشكر له دفاعه بقدر ما وسّعه، ولا تخذّله بتلك المقولة المهينة (لماذا لا يرّد على العلمانيّين؟!)، فالناس قدرات ومواهب، ورّد الباطل واجب مهما كانت رتبته، وكل مسلم على ثغر من ثغور ملّته ⁽²⁾ .
 وأصل هذا الباب النصوص الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كقوله تعالى : {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} قال ابن تيمية: " والأمر بالسنة والنهي عن البدعة هو أمرٌ بمعروف ونهيٌ عن منكر، وهو

¹ () كتبه الشيخ بكر أبو زيد في « الردّ على المخالف من أصول الإسلام » ص (75-76).

² () المصدر السابق ص (57).

من أفضل الأعمال الصالحة ... " (3) ، ولا ينبغي للجماعات الإسلامية اليوم أن تضيق صدورها بالنقد؛ لأنه من القيام بالقسط والشهادة لله اللذين أمرنا بهما ولو مع أنفسنا وأهل ملتنا كما قال تعالى: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوثُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُؤُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} واللي هو الكذب، والإعراض هو الكتمان كما قال ابن تيمية (4) ، فكيف يطيب لمؤمن دعوة مع كتمان الأخطاء تسيراً بالمجاملات السياسية بعد هذا؟!

ولا شك أن الغيرة التي أودعها الله في قلب كل مؤمن على محارمه هي التي تحركه إلى القيام بهذا الواجب، كما قال النبي ﷺ: « إِنْ اللَّهَ تَعَالَى يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ » متفق عليه. وإذا كان كلما أراد المؤمن أن يقوم المسار قيل له: ليس ذا الوقت والكفار متربصون! فمتى يعرف أخطاءه؟ ومتى

3 () « منهاج السنة » (5/253).

4 () « مجموع الفتاوى » (28/235).

يحجم عنها؟ ومتى يصح المريض ويُقَوَّى الضعيف؟
وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: ((
المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو
المؤمن، يكفُّ عليه صيغته، ويخوطه من
ورائه))⁽¹⁾. وليس من المولاة للمؤمنين في
شيء أن تنظر أخاك في باطله محتجاً
بمواجهته الشيوعيين، فعن أنس أن رسول
الله ﷺ قال: ((انصر أخاك ظالماً أو
مظلوماً))، قيل: يا رسول الله! هذا ننصره
مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: ((تمنعه
من الظلم))، رواه البخاري ومسلم، وفي رواية
لمسلم من طريق جابر بلفظ: ((إن كان ظالماً
فلينهره؛ فإنه له نصر)).

قال ابن تيمية في هذا المعنى: " ويجب عقوبة
كل من انتسب إليهم أو ذبَّ عنهم أو أثنى عليهم أو
عظَّم كتبهم أو عُرف بمساعدتهم ومعاونتهم أو كره
الكلام فيهم أو أخذ يعتذر لهم، بأنَّ هذا الكلام لا
يُدري ما هو؟ أو من قال إنَّه صَفَّ هذا الكتاب؟
وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلا جاهل أو
منافق، بل تجب عقوبة كل من عَرَف حالهم ولم
يعاون على القيام عليهم، فإنَّ القيام على هؤلاء من

¹ () رواه أبو داود (2/304) وهو صحيح. 90

أعظم الواجبات لأنهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من المشايخ والعلماء والملوك والأمراء، وهم يسعون في الأرض فسادا ويصدُّون عن سبيل الله^(١)

وفي الردّ على المخالف دفاع عن الإسلام من جبهتين:

" الأولى: الخطر الخارجي وهو الكافر المتمخّض، الذي لم يعرف نور الإسلام، بما يكيده للإسلام والمسلمين من غزو يحطم في مقوّماتهم العقديّة والسلوكيّة والسياسية والحكميّة ...

الثانية: مواجهة التصدُّع الداخليّ في الأمة بفشوِّ فرق ونحل طاف طائفها في أفئدة شباب الأمة ... إذ التصدُّع الداخليّ تحت لباس الدين يمثّل انكسارا في رأس المال : المسلمين، وقد كان للسالكين في ضوء الكتاب والسنة

- الطائفة المنصورة - الحظّ الوافر والمقام العظيم في جبر كسر المسلمين بردهم إلى الكتاب والسنة، وذلك بتحطيم ما قامت عليه تلك الفرق المفرّقة من مأخذ باطلة في ميزان الشرع"^(٢)
ومن ضنائن العلم ما قرأته لابن تيمية في التمييز

1 () « مجموع الفتاوى » (2/132).

2 () اختصار لما كتبه الشيخ بكر في كتابه « حكم الانتماء إلى الأحزاب » ص (53-54).

أنهم شرُّ على المسلمين من غيرهم؛ فإنَّهم لم يكن أحد شرًّا على المسلمين منهم : لا اليهود ولا النَّصارى؛ فإنَّهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم^(١) مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم، مكفِّرين لهم، وكانوا متديِّنين بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المضلَّة...^(٢) أي أن الخوارج أقلُّ جريمة من الكفار في الميزان العامِّ الأخير، يكفي أنهم " من الكفر فرّوا " ، لكن بالنسبة لما يعاني منهم المسلمون وما يقعون بهم من المحن والبلايا فهم أعظم شرًّا من الكفار، بل لا يخلص الكفار إلى المسلمين كما يخلص إليهم هؤلاء، ولذلك قد تُقدِّم عقوبتهم في الدنيا قبل غيرهم، وتأمل فقه ابن تيمية حين قال بعد كلامه السَّابق بصفتين: " والعقوبة في الدنيا تكون لدفع ضرره عن المسلمين، وإن كان في الآخرة خيرا ممَّن لم يُعاقب، كما يُعاقب المسلم المُتعدِّي للحدود ولا يُعاقب أهل الدِّمة من اليهود والنَّصارى، والمسلم في الآخرة خير

((□ □ □ □ □)) .

¹ () أي أنهم يُجهدون أنفسهم في قتل المسلمين كما سيأتي.

² () « منهاج السنة » (5/248).

منهم " .

فاحفظ هذا، وعضَّ عليه بالتَّواجذ تتهاوى بين
يديك عساكر الباطل المعطَّلة لمجاهدة البدع
وأهلها، كأولئك القائلين: " إن لم تكونوا معنا
فأنتم معهم!! " ، أو كأولئك القائلين: "
توجَّهون سهامكم إلى إخوانكم، والعلمانيون
والشيوعيون أنشط ما يكونون في نشر
الخلافات بينكم؟! " .

قال ابن تيمية^(١): " إذ تطهير سبيل الله ودينه
ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على
ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا
من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان
فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من
أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم
يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً،
وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً، وقد
قال النبي ﷺ: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم
وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم
...))^(٢) .

1 () « مجموع الفتاوى » (28/232).

2 () رواه مسلم.

لماذا عُنيَت جمعية العلماء
المسلمين الجزائريين بالرد على
الفرق المنحرفة - كالطرق
الصوفية - أكثر من عنايتها بالرد
على الإلحاد، مع وجود الاستعمار
الفرنسي؟

هذه شبهة تَرِد كثيرا على لسان من لم يتضلع
بمنهج السلف يجب عنها الشيخ محمد البشير
الإبرهيمي - رحمه الله - بقوله: " وإنك لا تُبْعِد إذا
قلت: إن لفشو الخرافات وأضاليل الطرق
بين الأمة أثرا كبيرا في فشو الإلحاد بين
أبنائها المتعلمين تعلما أوروبيا جاهلين
بحقائق دينهم، لأنهم يحملون من الصغر
فكرة أن هذه الأضاليل الطرقية هي الدين،
وأن أهلها هم حملة الدين، فإذا تقدم بهم
العلم والعقل لم يستسغها منهم علم ولا
عقل، فأنكروها حقا وعدلا، وأنكروا معها
الدين ظلما وجهلا، وهذه إحدى جنائيات
الطرقيه على الدين. رأيت أن القضاء على
الطرقيه قضاء على الإلحاد في بعض معانيه



وحسم لبعض أسبابه. وقد قرأت في هذه الأيام لكاتب تونسي مقالاً ينعى فيه على جمعية العلماء إهمالها لهذه الجهة من جهات الفساد وهي الإلحاد، واعتذر عن علماء جامع الزيتونة بأنهم - وإن قعدوا في نواحي الإصلاح التي تخبّ فيها جمعية العلماء وتضع - قاموا في حرب الإلحاد بما شكرهم عليه، ولكنه حصر عملهم في هذا السبيل في خطب جمعية ينددون فيها بالإلحاد ويحذرونه، وفات هذا الكاتب الفاضل أن جمعية العلماء لم تسكت عن الإلحاد، بل هاجمته في أمنع معاقله، ونازلته في أضيق ميادينها، كما فاته أن صرعى الإلحاد لا يغشون المساجد، فما تأثير الخطب الجمعية التي تلقى على المصلين؟ وهل يداوى المريض بتحذير الأصحاء من المرض أو أسباب المرض؟ إلا أن العالم المرشد كالطبيب لا ينجح في إنقاذ المريض من الموت إلا بغشيان مواقع الموت ومباشرة جرائم الموت^(١) فالله أكبر ما أقوى المنهج السلفي! وما أبخس الأحزاب لقدره!

¹ () « آثار محمد البشير الإبراهيمي » (1/132-133) 96

إذن فمواجهة هؤلاء حماية لديار المسلمين من أن تُغتال من تحتها، بجهاد المنافقين الذين يتسللون الصفوف لـِوِاذا، قال الله تعالى: {يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ} قال ابن القيم: " وكذلك جهاد المنافقين إنما هو بتبليغ الحجة .. " إلى أن قال: " فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار، وهو جهاد خواص الأمة وورثة الرسل. والقائمون به أفراد في العالم، والمشاركون فيه والمعاونون عليه - وإن كانوا هم الأقلين عدداً - فهم الأعظمون عند الله قَدْرًا .. " (١)

ولما كان هؤلاء منضوين تحت صفوف المسلمين، فإن أمرهم قد يخفى على كثير من الناس، فكان بيان حالهم - لمن ولاؤنا لهم فرض علينا - أكد، ولذلك قال ابن تيمية: " وإذا كان أقوام ليسوا منافقين ولكنهم سمّاعون للمنافقين، قد التبس عليهم أمرهم حتى ظنوا قولهم حقا، وهو مخالف للكتاب، وصاروا دعاة إلى بدع المنافقين، كما قال تعالى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْصَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُوتَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ}، فلا بد من بيان حال هؤلاء، بل

1 () « زاد المعاد » (3/5).

الفتنة بحال هؤلاء أعظم، فإن فيهم إيماننا يوجب موالاتهم، وقد دخلوا في بدع من بدع المنافقين التي تفسد الدين، فلا بد من التحذير من تلك البدع، وإن اقتضى ذلك ذكْرهم وتعيينهم، بل ولو لم يكن قد تَلَقَّوْا تلك البدعة عن منافق، لكن قالوها ظانين أنها هدى وأنها خير وأنها دين، ولو لم تكن كذلك لوجب بيان حالهم^(١).

وأما مواجهتهم من الخارج؛ فلأن العدو لا يدخل عليك بيتك إلا إذا كانت منافذه مفتوحة أو ضعيفة، والفرق الإسلامية المنحرفة عن الناجية هم منافذ الكفار، وهل يجهل المسلمون أثر المتصوفة في استعمار البلاد الإسلامية وإعانتهم الكفار على ذلك؟ وقد قال ابن تيمية في الشيعة الروافض: " وهم يستعينون بالكفار على المسلمين، وقد رأينا ورأى المسلمون أنه إذا ابتلي المسلمون بعدو كافر كانوا معه على المسلمين، كما جرى لجنكزخان ملك التتر الكفار، فإن الرافضة أعانتهم على المسلمين، وأما إعانتهم لهولاكو ابن ابنه لما جاء إلى خراسان والعراق والشام فهذا أظهر وأشهر من أن يخفى على أحد، فكانوا بالعراق وخراسان من أعظم

أنصاره ظاهرا و باطنا، وكان وزير الخليفة ببغداد الذي يقال له ابن العلقمي منهم، فلم يزل يمكر بالخليفة والمسلمين، ويسعى بقطع أرزاق عسكر المسلمين وضعفهم، وينهى عن قتالهم ويكيد أنواعا من الكيد، حتى دخلوا فقتلوا من المسلمين ما يقال: إنه بضعة عشر ألف ألف إنسان أو أكثر أو أقل ... ولما انكسر المسلمون سنة غازان أخذوا الخيل والسلاح والأسرى وباعوهم للكفار النصارى بقبرص، وأخذوا من مَّرَّ بهم من الجنود، وكانوا **أضروا على المسلمين من جميع الأعداء ...**⁽¹⁾

قلت: ولذلك كان أئمتنا أفقه من أن يداهنوا المنحرفين عن منهج السلف، بل رأوا جهادهم أكبر الجهادين، كما قال يحيى بن يحيى شيخ البخاري ومسلم: " **الذَّبُّ عن السنة أفضل من الجهاد**"⁽²⁾، رواه الهروي بسنده إلى نصر بن زكريا قال سمعتُ محمد بن يحيى الذهلي يقول سمعتُ يحيى بن يحيى يقول: " **الذَّبُّ عن السنَّة أفضل من الجهاد في سبيل الله، قال محمد: قلتُ ليحيى: الرجلُ ينفقُ ماله ويُنْعِبُ نفسه ويجاهد، فهذا**

¹ () « منهاج السنة » (5/155-159)، وانظر « مدارج

السالكين » لابن القيم (1/72).

² () « مجموع الفتاوى » (4/13).

أفضلُ منه؟! قال: نعم بكثيراً! ⁽¹⁾.
وقال الحميدي شيخ البخاري: "والله! لأن
أغزو هؤلاء الذين يَرُدُّون حديث رسول الله ﷺ
أحبُّ إلي من أن أغزو عِدَّتَهُم من الأتراك" ⁽²⁾،
يعني بالأتراك: الكفار. وقد وجدتُ مثل هذا عند من
هو أعلى طبقةً من الحميدي؛ قال عاصم بن
شُمَيْخ: فرأيتُ أبا سعيد - يعني الخدري - بعد ما كبر
ويداه ترتعش يقول: "قتالهم - أي الخوارج -
أجلُّ عندي من قتال عِدَّتَهُم من
الترك" ⁽³⁾.

1 ((ذمُّ الكلام)) ق (111 - أ).

2 (رواه الهرويُّ بسنده في « ذمُّ الكلام » (228 -
الشبل).

3 (رواه ابن أبي شيبة (15/303) وأحمد (3/33)،
هكذا وقع عنده: عاصم بن شُمَيْخ **بالخاء** وهو
الصحيح، وقد رواه ابنه عبد الله في « كتاب
السنة » (2/635) بإسناد أبيه نفسه إلا أنه جاء في
المطبوع بتحقيق محمد بن سعيد القحطاني:
عاصم بن شُمَيْخ **بالجيم**، وقد كنت حسبته خطأ
مطبعياً لولا أنني وجدته مُثَبَّتاً كذلك مرتين! قال
محققه في أولاهما (2/634): " عاصم بن شُمَيْخ!
بمعجمتين مصغراً، **وتشديد الجيم!!** الغيلاني ...
التقريب (1/384)!!!". فرجعت إلى « التقريب »
فإذا فيه: " عاصم بن شُمَيْخ بمعجمتين مصغراً،
أبو الفَرَجَل بفتح الفاء والراء وتشديد الجيم ٤٥٥"

استعمال الشدة في الإنكار على المبتدعة لا يعني الولاء للكفار

من وجد في بحثي هذا شيئاً من القسوة على المخالف فلم يستسغه، بل ربما قال: "يتكلم في إخوانه ويسكت عن أعدائه"! فليعلم أن الأصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللين والرفق كما قال الله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} وقال لموسى وهارون صلى الله عليهما وسلم: {ادْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}، وقال النبي ﷺ: « ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع الرفق من شيء إلا شانه » رواه مسلم.

لكن إذا كان المنكر لا يغيّر إلا بنوع من الخشونة فلا بأس باستعماله، ولو كان مع المسلمين، ألا ترى أن الله أباح القتال لذلك، وليس فوق القتال خشونة، فقال سبحانه: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ}. وقد يشتد المؤمن في إنكاره على أخيه أكثر منه مع عدوه، ألم تر كيف لَانَ

موسى ﷺ مع فرعون، واشتد على أخيه هارون ﷺ، حتى كان منه ما قصه الله تعالى بقوله: {وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ}، فهل لأحد أن يحتج عليه بالولاء والبراء، متيها له بأنه يبسط لسانه ويده على أخيه ويلطف بالطواغيت؟!

بل ربما كان النبي ﷺ يُعْتَفُّ العلماء من أصحابه إذا أخطأوا أكثر من غيرهم، وخذ على سبيل المثال قوله لمعاذ حين أطال الصلاة بالناس: « أفْتَان أنت يا معاذ؟! » متفق عليه، ويقابله تلاففه بالأعرابي الذي بال في المسجد كما في صحيح البخاري وغيره. وقال لأسامة بن زيد حين قتل في المعركة مشركا بعد أن نطق بكلمة التوحيد: « يا أسامة! أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟! » قال أسامة: " فما زال يكررها حتى تمنيتُ أنني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم ".

وقد استفاد أسامة من هذا التعنيف في النصح أيام الفتنة التي كانت بعد مقتل عثمان ﷺ، فأورثه تَوَرُّعا عن دماء المسلمين، قال الذهبي - رحمه الله

:-
" انتفع أسامة من يوم النبي ﷺ، إذ يقول له: « كيف بلا إله إلا الله يا أسامة؟! » فكفَّ

يده، ولزم بيته، فأحسن" ^(١). قلت: الله أكبر! ما أعظم التربية النبوية! وما أحقر التربية الحزبية! التي من يوم أن حرّمت أصل (الرد على المخالف) وأبناؤها لا يتورّعون عن دماء المسلمين، اتّخذوها هدرا باسم الجهاد، ولا تكاد تقوم فتنة إلا وهم وقودها أو موقدوها، هذه نتيجة مدهنة بعضهم بعضا لوهم الاشتغال بالكفار!! ولذلك قال ابن تيمية: " المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما تحمد معه ذلك التخشين" ^(٢). إذن فهذا اللين الذي تستعمله كثير من الجماعات الإسلامية مع أفراد أو جماعات من حمقى المتهورين - الذين كثيرا ما يتسبون في استعداد الأعداء على المسلمين - ليس من الولاء في شيء؛ لأنه يزيدهم إغراقا في ضلالهم لعدم شعورهم بعظم الجناية. ثم إن الشدة المسلوكة مع المسلمين أحيانا، باعثها الغيرة عليهم من أن يُروا ملطخين بشيء من القاذورات، والسعي في تمتين الصف وسدّ خروقه حتى لا يُؤتى من قبله، فليعلم.

1 () « السير » (2/500-501).

2 () « مجموع الفتاوى » (28/53-54).

ولهذا قال العلامة عبد العزيز بن باز تحت عنوان: «الأدلة الكاشفة لأخطاء بعض الكتاب»: " ولا شك أن الشريعة الإسلامية الكاملة جاءت بالتحذير من الغلو في الدين، وأمرت بالدعوة إلى سبيل الحق بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ولكنها لم تهمل جانب الغلظة والشدة في محلها حيث لا ينفع اللين والجدال بالتي هي أحسن؛ كما قال سبحانه: {يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} وقال تعالى: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُوتَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاغْلُظُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} وقال تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} الآية، أما إذا لم ينفع واستمر صاحب الظلم أو الكفر أو الفسق في عمله ولم يبال بالواعظ والناصح، فإن الواجب الأخذ على يديه ومعاملته بالشدة وإجراء ما يستحقه من إقامة حدٍّ أو تعزير أو تهديد أو توبيخ حتى يقف عند حدّه وينزجر عن باطله" (١).

مع أن الذي يظهر من مجاملات الأحزاب الإسلامية لأهل البدع والسكوت عن أخطائهم هو

١ () « مجموع فتاوى ومقالات متنوعة » للشيخ عبد العزيز بن باز (202/3-203).

أنهم لما حصروا طريق عودة عزّ المسلمين في صندوق الانتخابات تدمّروا من النقد، لأنه ربما أتلّف لهم الأصوات، وهكذا السيئة تتبعها أخوات.

هذا ومن أجل أن الله فرض علينا قَدْرًا وجود المخالف - الذي يُحسب على الإسلام - سلكنا طريق التصفية؛ لأن الله فرض علينا شرعاً الرد عليه

- كما بيّنته في هذا الأصل -، ومن أجل أن الله كتب الرفعة لأهل العلم والتعليم - كما بيّنته في الأصلين اللذين قبل هذا - سلكنا طريق التربية، وشرحه يأتي في الورقات الآتية.



إذا تبيننا أن رفعة الأمة مرهونة بالعلم والعمل، وأن الأمة قد اختلفت فيهما اختلافاً كثيراً، وأنه قد علق بالإسلام ما ليس منه، وأنه لا سبيل إلى التخلص من الذل المضروب علينا من قرون إلا بالرجوع إلى الدين الصحيح، كما روى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: « إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم »⁽¹⁾، وجب المسارعة إلى تحقيق ما يرفع عنا الذل، وهو الرجوع إلى صفاء الوحيين: الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح: أهل القرون الثلاثة الأولى.

وإذ قد امتدت يد التحريف إلى صفاء الإسلام حتى لوّثته، وإلى جماله حتى شوّهته، كانت تصفيته من كل دخيل من أوجب الواجبات، ما دام الحق الذي بعث الله به نبيه ﷺ مضمون البقاء إلى يوم تبدل الأرض والسماوات، بضمان الله القائل: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }.

¹ () رواه أبو داود وهو صحيح، انظر « الصحيحة » للألباني رقم (11).

وإذا دبَّ التحريف إلى قوم، وشحَّت مناهجهم عن التصفية، أصابتهم حيرة لا يفرِّقون معها بين حلال وحرام، كما روى مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علَّمني يومي هذا: كل مالٍ تحلُّه عبداً حلالاً، وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحزَّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم: عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب.»

ولما كانت الجاهلية على هذا الوصف الذي في الحديث، بعث الله نبيه محمداً ﷺ مخلصاً لها دينها من الشوائب، ومربياً لها على الإسلام الذي ارتضاه لها ربها، وعلى قاعدة (التصفية والتربية) وإن شئت قل (التخلية والتحلية) كانت دعوة الإسلام، ففي التوحيد لا يتربى المرء عليه سليماً حتى يتخلص من رواسب الشرك، ولذلك قال الله تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا}، وفي التشريع لا يتربى المرء

عليه سليماً حتى يتخلص من البدع، ولذلك كان النبي ﷺ في كل خطبة جمعة يأمر بلزوم الدين الصحيح المتمثل في الكتاب والسنة ويحذر مما يَغشُّه ويُكَدِّرُ صفاءه وهو البدع؛ فقد روى مسلم عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش، يقول:

« صَبَّحكم ومَسَّاكم »، ويقول: « بعثت أنا والساعة كهاتين » ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: « أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة »، وتكراره لهذه الجملة دليل تأصيلها وشدَّ العناية إليها. وخلاصة هذه القاعدة أنها تعني تصفية الإسلام من كل دخيل، وتربية الناس على هذا الإسلام الأصيل؛ أي تسمية التوحيد من الشرك، والسنة من البدعة، والفقهاء من الآراء الحادثة المرجوحة، والأخلاق من سلوك الأمم الهالكة المقبوحة، والأحاديث النبوية الصحيحة من الأحاديث المكذوبة المفضوحة ... وهكذا⁽¹⁾.

¹ () مَن أراد بسطاً في الموضوع فليرجع إلى

تطبيق:

اجتمع الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بعلي بن حاج القائد الروحي - كما يقولون - للحزب الجزائري: الجبهة الإسلامية للإنقاذ وكان الشيخ على دراية دقيقة بحوادثهم، وبلغه أن مؤيديهم يُعَدُّون بالملايين، فكان مما سأله عنه ما أثبتّه هنا اختصاراً أن قال له الشيخ: " أَكُلُّ الَّذِينَ مَعَكَ يَعْرِفُونَ أَنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ؟ " وبعد أخذ وردّ، وتهرّب وصدّ، قال المسئول: نرجو ذلك! قال له الشيخ: " دَعَكُ مِنَ الْجَوَابِ السِّيَاسِيِّ! "، فأجابه بالنفي، فقال الشيخ: " يَكْفِينِي مِنْكَ هَذَا! " (١)

هذا السؤال تفرضه قاعدة التصفية والتربية التي هي أدق ميزان تعرف به الدعوات الجهادية اليوم؛ لأن من عجز عن تصفية عقائد مؤيديه ومحبيه وتربيتهم على العقيدة السليمة، يكون أعجز عن تصفية ثمراتها من أخلاق وأحكام أمة فيها مبغضوه ومحاربوه، فكيف بتربيتهم بعد ذلك؟! والله يقول:

كتاب « التصفية والتربية » لأخينا علي بن حسن ابن عبد الحميد في طبعته الجديدة لعام (1415) هـ.

١ () شريط مسجل من « سلسلة الهدى والنور » رقم (475/1) و(476/1).

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ }،
ثم الجهاد نفسه لا يكون إلا بأمة مؤتلفة القلوب؛
لأن الائتلاف رافد النصر كما قال الله تعالى: {هُوَ
الَّذِي أَيْدِكَ بِتَضَرِّهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَاللَّفَ بَيْنَ
قُلُوبِهِمْ}، والقلوب إن لم تجتمع على العقيدة
السلفية كان أصحابها في شقاق لا يجبره
اجتماعهم في صناديق الاقتراع، قال الله ﷻ
مخاطباً أصحاب النبي ﷺ: { فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا
ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي
شِقَاقٍ } . ومهما تكن عليه الغنائية السياسية
من تجميع، فإن بداية أمر عقيدتها إلى تجميع،
ونهاية تجميعها إلى تفرق وتبديع؛ لأن اجتماع
الأبدان لن يكون إلا مؤقتاً، إذا كان عقد
القلوب مشتمتاً، ولم أجد لهؤلاء أصدق وصف
من قول الله تعالى في اليهود: { بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ
شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى } .

وجماع الأمر أن الله وعد بالاستخلاف الحسن
من عبده وحده بلا إشراك فقال: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ
لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا } ، ولا

يجوز أن يُدفع في صدر هذا النص بضرب الأمثال التاريخية على نقضه؛ لأن المسلم وقَّاف عند النص، وقد قال الله تعالى: { فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }.

وأما تحديد الشيخ سؤاله في مسألة الاستواء؛ فلأنها مفترق الطرق بين أهل السنة وأصحاب الأهواء، ولأنها العقيدة السهلة التي كان يعرفها مجتمع النبي ﷺ الذي فتح الدنيا وقاد الأمم، حتى الجواري من رعاة الغنم. وامتحان الشيخ بها جبهة الإنقاذ، مسلك سلفي وإن رغم أنف كل خلفي، فقد روى مسلم وغيره عن معاوية بن الحكم السلمي قال: كانت لي غنم بين أحد والجوانية فيها جارية لي، فاطلعتها ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة، وأنا رجل من بني آدم، فأسفت، فصككتها، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فعظم ذلك عليّ، فقلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها؟ قال: ((ادعها))، فدعوتها فقال لها: ((أين الله؟)) قالت: " في السماء "، قال: ((من أنا؟)) قالت: " أنت رسول الله "، قال: ((أعتقها؛ فإنها مؤمنة)).

فتأمل - يرحمك الله - هذا المجتمع الذي كان يجاهد به النبي ﷺ؛ اكتمل في عقيدته حتى عند رعاة الغنم الذين تقلُّ صحبتهم للنبي ﷺ - كهذه الجارية!-

وتأمل حقيقة المجتمعات الإسلامية اليوم التي يُطَمَع تسلُّق عرش الحكم بها، لتدرك البون الشاسع بين جهاد أولئك وجهاد هؤلاء، فهل استطاعت الدعوات الجهادية أن تجمع الأتباع، فضلاً عن الرعاع على « أين الله؟ » أم هو سؤال أضحى أضحوكةً تتندَّر بها الأحزاب في زمن تأثير الحضارات، ومحل سخرية عند منظر الجماعات؟ أم أنهم فهموا ضرورة الحكم بما أنزل الله ولو أنهم ضيَّعوا الله؟! فمتى يأذن الله بعثق رقابهم ممن استذلَّوهم، كما عتقت الجارية بعد أن عرفت الله؟ { وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }.

لكن حقيقة هذا السؤال هي استخراج حقيقة الدعوات، وتبيِّن مدى خلوص النيات؛ لأن في الاهتمام بالحكم بالشرعية، وفي الاهتمام بمسألة الاستواء اهتماماً بحق الله تعالى، لكن بين الأولى والثانية فرق، وهو أن للعبد في الأولى حظاً لنفسه، وهو ما يتكرر على الألسن من استرجاع المظالم واستيفاء الحقوق، والعيش الرغد الموعود به حقاً في قول الله تعالى: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } أي أن حظَّ العبد خالط حقَّ الرب، وأما الاهتمام

بصفة الاستواء لله فهو اهتمام بحق الله الخالص، ليس للداعي إليها أدنى نصيب من حظ نفسه، فتأمل هذا الفرق تدرك عزة الإخلاص؛ لأن الدندنة حول قضية الحكم بما أنزل الله، مع إهمال قضايا صفات الرب الخالصة أو تأخيرها أو تهميشها - وهي أشرف ما أنزله الله؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم - لأكبر دليل على أن في الأمر شائبة، تؤكد ضرورة الرجوع إلى دعوة الأنبياء الذين قالوا لقومهم: {اغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}، فقدّموا الاهتمام بشرك القبور على الاهتمام بشرك القصور - إن صح هذا التعبير -، لهذا لم تكن الإمامة من أصول الإيمان⁽¹⁾.

تنبيه:

أرسل علي بن حاج رسالة سرية بتاريخ: (20 صفر 1415 هـ) إلى الجماعات المسلحة يقول في ق (2) منها: " ولذلك رأينا في تاريخ علماء المسلمين أنه يكون بينهم خلاف حتى في بعض المسائل العقائدية فضلا عن الفرعية،

¹ () لابن تيمية كلام نفيس في ذلك في « منهاج السنة » (1/106-110) فراجع، وفي قتال الولاة من أجل الدنيا والتباسه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في (5/152)، ومثله عنه في « العقود الدرية » لابن عبد الهادي ص (147).

ولكن يَخرجون في الجهاد صفّاً واحداً أمام العدو الكافر، فكان الجيش يَضمُّ في جنباته من شتى المذاهب الفرعية ومجاهدين من الفرق الإسلامية! ... " .

بل قعد بعدها قاعدة غريبة ادّعى فيها الاتفاق، وهي قوله: " إن المسائل المختلفة لا إنكار فيها!! " (1) .

قلت: أولاً: لا ريب أن المسلمين - بعد الرعيل الأول - قد اختلفوا في أعظم ما في هذا الدين، ألا وهو اختلافهم في ربهم: في أسمائه وصفاته، فيكون حينئذ إنكار السلف على المخالفين في ذلك جهداً ضائعاً عند هذا؛ لأنه خلاف الاتفاق المدّعى!

ثانياً: ليس غريباً أن يخالف ابنُ حاج العلامة الألباني في عدم اشتراط المعتقد الصحيح للنهوض بالأمة؛ للفوارق العلمية والمنهجية التي بينهما، ولكن الغريب ألا يصدع ابن حاج برأيه عند الشيخ! وأن يكتّم عنه (كلمة الحق هذه!) ويُظهر الوفاق له تمويهاً على السلفيين! ثم يكتبها في الظلام!!

{ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ } .

(1) قد تكلمتُ على بعض ما في هذه الرسالة في حاشية ص (359 - 361) من هذا الكتاب.

لما كان حديثي عن أوضاع الجزائر في هذا الزمن، لزمني أن أقدم للقارئ إلماحة عنها ليفهم ما يأتي بيانه، وقد أوجزْتُ في ذلك جداً حرصاً على تصغير حجم الكتاب، ولذلك فقد تلحظ أنني خنقتُ الكلمات خنقاً! إلا أنني حرصتُ على الأهم فيما أظن. ثم لعلك تارك بعض ما كتب ههنا في انتقاد بعضهم بأسمائهم وضائقُ به صدرك أن يقال: إنما هي غيبة وأكل لحم جيفة؟! فاطمئنن! فإن نيتي في ذلك الدفاع عن الدين، وما كان كذلك فذكاته شرعية شريفة. وقد اكتفيت في ذلك بالإحالة على الأحياء، والذمة تبرأ بالإسناد، وما تدَّ عنه قلمي أو شرد عنه ذهني فعذر الاختصار فيه باد، فأقول وعلى الله الاعتماد:

عَرَفَت الدعوةُ السلفية نشاطها الكبير في الجزائر أيام الاستعمار الفرنسي على يد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان يرأسها الشيخ عبد الحميد ابن باديس - رحمه الله - وكان من علمائها المبرزين الشيخ الطيب العقبي، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والشيخ مبارك الميلي، والشيخ العربي التبسي، وغيرهم ... وتوفي

جلهم - رحمهم الله - أيام الاستعمار، ومن بقي منهم فقد انحسر نشاطه السلفي جدا من يوم أن حُلَّت الجمعية بعد الاستقلال، وأضحت الدعوة لدى الإخوان المسلمين موضع استغلال، على حين جهل الأمة، وقلة المعارض من أهل البدعة وأهل السنة. مع العلم أنه لتصلب الجزائريين في دينهم لم ينجح فيهم التهويد ولا التنصير، ولا كان للقاديانية وجود ولا لجماعة الهجرة والتكفير، ولا سُمع فيها بدعوة رافضية، بل كل ما هنالك دير تصوف وصوامع إباضية.

بدأت الدعوة ساذجة على نشاط ملحوظ من أتباع فكر مالك بن نبي
- رحمه الله - يرون أن العمل الأكبر يكمن في مسابقة الحضارة، ثم لأسباب الإمارة انقسم الإخوان المسلمون إلى إخوان عالميين وآخرين إقليميين اشتهروا باسم (الجزارة)¹، بينهم بأس شديد وتبديع، ثم عن

¹ (الجزارة) بَعَلَم على المحليين من (الإخوان المسلمين)، انشقوا عنهم بسبب أن هؤلاء يرون عالمية الإمارة، وهم يرون جزارة الدعوة أي أنها جزائرية العمل والإمارة، وعقيدتهم أشعرية يدافعون عنها بقوة، وهم أشد تعصبا لها من تميّع الإخوان العالميين، وقد كان لهم مجلة «النفير»

العالميين انشقت جماعة النهضة وهي أبعدّها عن التمييع، وأقربها عناية بالتربية، لكن بلا تصحيح ولا تصفية، وظهرت دعوة جماعة التبليغ، على ضعف حيث برّز العلم، وقوة حيث ضعف، إلا أن انتشارها ليس

وغيرها، بل لهم اليوم جريدة « العقيدة » التي وقفت أقلامها لحرب العقيدة السلفية بلا هوادة، ومذهبهم الفقهي مالكي على احتراق شديد في التعصب له، وهم ك (الإخوان) في تهميش السنّة والاستخفاف بدعاتها، والتساهل مع البدعة وأهلها إلا من خالفهم في الوجهة السياسيّة، وتصوفهم كتصوف سعيد حوى، صاحب الكتاب المشنوم « تربيتنا الروحية » وغيره من الكتب الغوية. وهم - مع تظاهرهم بالسماحة مع المخالف - من أسرع الناس لجوءاً إلى العنف مع المخالف من المسلمين وغيرهم؛ إذ يبدوون بالظن في نيّته للوصول إلى إبعاده من المجتمع، فيقولون: هو عميل أو يُلصقونه بذيل السلطان! فإن أعياهم ذلك وكان للمخالف لسان صدق في الناس، قذفوه بأيّ سيّئة خلقية من الفواحش المنقّرة! فإن أعياهم ذلك أغرّوا به السلطة التي يحاربونها في الخفاء! فإن أعياهم ذلك سلطوا عليه سفهاءهم بالضرب والتنكيل...! هذا ولهم تأييد قويّ للشيعة الإيرانيّة، ولئن زعموا أنه مجرد تأييد سياسيّ، وليس تأييداً عقديّاً! قلنا: هو عين التفريق بين الدّين والدّولة؛ وهل

بذاك. ولما كان جميع الإخوان بعقد السياسة يتناكحون، وبماء التصويت يتناسلون، وفي علم الكتاب والسنة يتزاهدون، وولد لهم مولود عاق، سمّوه بالهجرة والتكفير كيلا يكون بينه وبين نسبهم إلحاق، وادّعوا أنه خريج السلفية وأهل الأثر، ولكن الحق أن « الولد للفراش وللعاهر الحجر »، وقد شهد العدول يوم كان يُلقم بأيديهم ثدي التكفير من صحف سيد قطب، كما قيل:

فإن لم تكُنْهُ أو يكُنْها فإِنَّهُ أخوها عَدَتْهُ
أُمّه بلبانها

وهم جميعا وإن كانوا لا يرصّون بحسن البنا بديلاً، فلا يقبلون في سيد قطب جرحاً ولا تعديلاً أما تفرقهم فنتيجة حتمية لمن غاب عنده أصل (التصفية والترية).

الدين إلا العقيدة؟! وهل السياسة الرشيدة إلا ثمرة العقيدة السليمة؟! قال ابن القيم: " وتقسيم بعضهم طرق الحكم إلى شريعة وسياسة كتقسيم غيرهم الدين إلى شريعة وحقيقة، وكتقسيم آخرين الدين إلى عقل ونقل، وكل ذلك تقسيم باطل، بل السياسة والحقيقة والطريقة والعقل كل ذلك ينقسم إلى قسمين: صحيح وفاسد ... " ((إعلام الموقعين)) (4/375). 120

عاش هؤلاء آنذاك في صراع ضائع مع الشيوعية،
أمضى سلاحهم: المسرحيات والأناشيد ورياضة
ركض كركض الوحشي في البرية.

ولغياب أصل الرد على المخالف، مع ظهور قرن
الشیطان في إيران وتتابع التأييد المجازف، تلقى
هؤلاء - عن بكرة أبيهم - دعوة الخميني بكل ترحاب
وتحنان، ولغياب أصل السلفية عندهم لم يشعروا
بأدنى إثم وهم يجتمعون بمن يكيل لأصحاب رسول
الله ﷺ أفطع السباب وأقذع الشنآن، فما أوسع
صدورهم لكل خلاف عقدي ما لم يكن سلفياً!
وما أضيقتها على كل خلاف حزبي خاصة إذا
كان النقد سلفياً! وتراهم من كل حذب ينسلون،
وإلى محاضرات الرافضي رشيد بن عيسى يتنادون،
في عقر دارهم وبدعوة منهم، لا يفتر عن التفكه
بأعراض السلف الصالح وهم يضحكون! {وَسَوْفَ
يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} ^(١).

^١ () أخبرني الثقة أنه حضر محاضرة له بفرنسا،
فلما سمعه كثير السخرية بأئمة السلف وأتباعهم
سأله: أليس الإمام مالك عالماً؟! قالها باللغة
الفرنسية:

(- ce pas un savant?! l'imam Malek, n'est)

فأجابه بصيغة تَهْكِيمِيَّة قائلًا (oui! oui! c'est un savon!)
ومعنى جوابه: " نعم! نعم! هو صابون!! "، وأشار
بإيديه كالذي يغسلهما!! والحضور المساكين

العدو متربص بكم!! وكانوا من قبل هذا يرمون السلفيين - إذا حذروهم من الشيعة الروافض - بتفريق الصف!! وأيم الله! إنه لبسبب تأييد هؤلاء لهم سياسياً صار للروافض في الجزائر وجود، وإلا فمن الذي فتح لهم الباب غير ذلك الحزبي، وكل حزبي للمبتدعة ودود! فهل يرجعون بنا إلى تشيع بني عبيد؟ وليس فيهم من يقطع دابرهم كالقيرواني ابن أبي زيد؟ أم لم يعرفوا فقيهم هذا إلا بالمالكي صاحب الرسالة؟ فلم يكتفون حربه للتشيع وأشاعرة الضلالة؟! ولما كان العمل السياسي طاغياً على هذه الأحزاب، لم تجد العقيدة بها في دعوتهم محلاً من

العدو متربص بكم!! وكانوا من قبل هذا يرمون السلفيين - إذا حذروهم من الشيعة الروافض - بتفريق الصف!! وأيم الله! إنه لبسبب تأييد هؤلاء لهم سياسياً صار للروافض في الجزائر وجود، وإلا فمن الذي فتح لهم الباب غير ذلك الحزبي، وكل حزبي للمبتدعة ودود! فهل يرجعون بنا إلى تشيع بني عبيد؟ وليس فيهم من يقطع دابرهم كالقيرواني ابن أبي زيد؟ أم لم يعرفوا فقيهم هذا إلا بالمالكي صاحب الرسالة؟ فلم يكتفون حربه للتشيع وأشاعرة الضلالة؟! ولما كان العمل السياسي طاغياً على هذه الأحزاب، لم تجد العقيدة بها في دعوتهم محلاً من

الإعراب، ومن كان يَعْلَمُها يومذاك - كعلي بن حاج - كان يَعْلَمُها على الطريقة الأشعرية، وعلى رِسْلِكُمْ قبل أن تجيء قلوبكم ناكرة؛ فإن كراريس تلاميذه الأولين شاهدة سافرة.

وقبيل سنة (1400 هـ)، تَعَلَّمَ شيئاً من السلفية، ودعا إليها على تقصير ملحوظ في جنب العقيدة، وكان بينه وبين عباسي مدني ردود عنيدة، أوشكت على تحبيب السنة للشباب لولا أن أذهبَ بركتها تدخّلاته السياسية، منها: دخوله في الصراع المستمر في الجامعات بين الطلبة الإسلاميين والشيوعيين.

وفي السنة التي بعدها نشب اقتتال بين هؤلاء، حمل على إثره مصطفى أبو يعلي وجماعته الإسلامية السلاح، وورّطوا معهم علي بن حاج مع أنه كان يتظاهر بنهيهم عن مثل هذا الكفاح. وقامت هذه الجماعات كلها - ولم تبرز الفرقة بينها بعد - بمظاهرة في الجامعة المركزية بالجزائر العاصمة، يطالبون فيها بتحكيم الشريعة، وكان - يومها - علي بن حاج يقول: " أعطوني دليلاً واحداً من الكتاب أو السنة على مشروعية المظاهرات وأنا معكم !! " لكن مشكلته أنه إذا خطب أظهر الوفاق للمتظاهرين، والله أعلم بما هو في قلبه دفين.

من أجل ذلك ضيق عليه النظام، حتى خطب في الناس قائلاً: " لقد خُيِّرْتُ بين ترك الخطابة أو السجن، وأنا أختار ما اختار يوسف عليه الصلاة والسلام حين قال: {رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ}!! " وكانت هذه الدروشة مضرب المثل في الشجاعة لدى الرعاع، إلا أن أحد الفطناء اعترض عليه بعد ذلك قائلاً: " لقد تلوت في خطبتك آية في غير محلها؛ وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام قال ذلك حين خُيِّرَ بين الفاحشة والسجن، أما أنت فحُيِّرْتَ بين ترك وسيلة من وسائل الدعوة وبين السجن، وقد علمنا مرارا أن الحكومة لو منعتك من كلمة المسجد، فلن تحوّل بينك وبين الدعوة، فلك الكلمة في المقهى والوليمة والمأتم وغيرها، فلا أظنك بهذا الخطأ تدخل السجن إلا عقوبة من الله .. "

وأدخل السجن هو وكثير من الدعاة، وأرغم بعضهم على الإقامة الجبرية، وصُيِّق على الدعوة بعدما كانت في غنى عن ذلك.

ولا بدّ من التذكير ههنا أن عباسي مدني من غلاة حزب (الجَزْأرة)! وهو كذلك إلى الآن! وإنما الذي جمعه بعلي بن حاج هو أمران:

الأوّل: أن المتظنّين الحقيقيين للجزارة منعه

من القيادة بعد نازلة الجامعة المركزية آنفة الذكر؛
يوم أن أجمعوا في السجن على أنه - بحمقه
وتسرّعه - أوردتهم شرّ الموارد!! فنكايّة منه بهم
انضمّ إلى ابن حاج.

الثاني: النزعة السياسية الغالبة عليهما لم تُبق
للولاء العقديّ محلاً



المرحلة الذهبية للدعوة

أقول بصراحة: إن أزهى أيام الدعوة التي عرفتها عندنا هي السنوات الخمس التي تلت هذه النازلة، وقد كانت قبلها الجماعاتُ أنفة الذكر تجمع غناءً بلا علم ولا تربية، ثم تفرّقه؛ إما أن تفرّقه هي بتحزباتها، وإما أن تُرَجَّح به في مغامرات خطيرة لتقدّمه في الأخير للأنظمة قرايين سياسية، ولا يَرَعَوُونَ! وكان دعوتهم لا تزيد على تجميع هذا الغناء السياسي، وبطن السياسة بأضعاف أمثاله وُلود، وبعد كل عملية إجهاض يعلّق بعضهم لبعض وسام المجاهد ويُنادي عليه بالخلود!!

لكن بعد أن ولّت الدعوات السياسية إلى انحسار، تعلّمنا على أيدي طلبة العلم علماً جمّاً، وكثرت المساجد وازدحمت بأهلها، وكادت العقيدة السلفية تتبوّأ من الديار الجزائرية مَبوّأ صدق، وأخفيت مظاهر الشرك في كثير من المدن، وعصّت الطرقية الأنامل من الغيظ، حتى رأينا منهم مَنْ لا يلبس عباءته إلا متخفياً في زاويته، فإذا خرج منها خلعها! وطُمِس على كثير من البدع، بل ربما دخلت مسجدا فلم تصادف فيه بدعة، لا في بنائه، ولا في تزويقه، ولا في صلاة إمامه، وتعلّم الناس كثيرا من الآداب الإسلامية التي شحّت بها

التخطيطات السياسية! وعظمت ثقة الناس بدعاتهم، الذين كان الواحد منهم ينتقل من قرية إلى قرية في أنصاف الليالي لا يخاف إلا الذئب على نفسه، بل كان ينتقل بين الثكنات العسكرية يُعلم الهدى حتى انتشر الوعي في أوساطها.

والسر في ذلك هو أن هذه المرحلة كانت أكثر الأزمنة نشرًا للعلم الشرعي منذ الاستقلال، ومن عجيب الموافقات أن هذا العمل قد اجتمع عليه ثلاث فئات هي:

1 - السلفية: لأن العلم أصل دعوتها، ونشر كتب السنة أكبر تشوّتها، خاصة من قبل بعض خرّيجي الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الذين لم تغلّ عقولهم الدعوات الحزبية، كما كان لرسائل الدعوة التي يرجع بها المعتمرون أثر بالغ في نشر العلم الصحيح؛ لأن جلّها في أبواب العقيدة وأنعم بها عقيدة! وأعظم منه قيام الملحق الثقافي السعودي بتوزيع «مجموع فتاوى ابن تيمية» في الأوساط العلمية عن طريق بعض الفضلاء بوزارة الشؤون الدينية، واستفاد الأئمة منه استفادة عظيمة لولا أن منعه بعدها يد طرقيّة مذهبية شقيّة.

وأعظم من هذا كله أن الديار الجزائرية

حظيت بعناية أكبر محدثي هذا العصر، ألا وهو الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - حفظه الله -؛ فقد أخبر الثقة أنه حضر عنده في بيته، فجاءته خمسون مكالمة هاتفية من الجزائر في مجلس واحد! فكان - حفظه الله - غرسه بالأردن، وثمار دعوته ممتدة إلى الجزائر، فسبحان الله الهادي! أقول هذا لأن الكثير ظن أن سلفية الجزائر هي مولود (الجبهة الإسلامية للإنقاذ)، كلا! فإنه لا وجود لهذه الجبهة يومئذ، بل كان علي بن حاج في السجن الأول نسيًا منسيًا.

2 - جلّ الجماعات الأخرى التي سبق الحديث عنها: وهي وإن كانت لاتوصّل دعوتها إلا على السياسة، فقد أرغمتها سياسة الحديد والنار - بعد نازلة الجامعة - على احترام العلم وترك السياسة إلا في الظلام. وقد كنت انبهرت يوم دخلت مساجد بعض الجامعات، فرأيت فيها لأول مرة لوحة منصوبة على الجدار، كتب عليها في يوم: أحكام التجويد، وفي آخر: فقه، وفي ثالث: علوم القرآن ... الخ، مع أنني لم أكن أسمع فيها من قبل إلا قال المودودي، وقال سيد قطب، وقال سعيد حوى ... وأقرب علم إلى الشرع عرفته عنهم

هو السيرة النبوية، لكن دراستهم لها كانت لأغراض سياسية، حتى لكأنهم لا يعرفون منها إلا الغزوات! ولذلك فإن أشد ما يكرهون عند تدريسها هو أن يشوِّش عليهم بدراسة أسانيد الروايات، خاصة إذا كانت تُقوّت عليهم استنباطات حركية!! أو توقفهم عند أحكام فقهية قد تقيّد حرّيتهم الحركية أو تأخذ من وقتهم، والقطار السياسي لا (يبرمج) لتوقّفه مثل هذه المحطات، إنه لا يرضى إلا بمحطة البرلمان! المهم أنه مَهْمَا تكن نيّتهم في تحوّلهم العلمي، فقد كانت مرحلة أفضل من سابقتهما^(١).

3- وافق هذا إقامة الدولة معارضَ كبيرة للكتاب، مع إقبال على المؤلفات الإسلامية يفوق الوصف، وربما بيع ألف ألف كتاب في أسبوعين

¹ () وإنما اخترت التمثيل بمساجد الجامعات؛ لأنها عُشُّ الإخوان والنهضويين والإقليميين، لا يسمحون فيها لغيرهم بنصف كلمة ولو كانت تلاوة إمام في صلاة سرّية! وهم يُركّزون على الجامعات لظنهم أن الدعوة تنتصر بالماديات والشهادات لا بالمستضعفين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «...»

فقط.

وظهرت ثمرة الدعوة العلمية في سرعة فائقة، وكانت الصدارة فيها للدعوة السلفية التي لقيت في العاصمة حفاوة رائقة، وبدأت تبسط أجنحتها خارجها على الرغم من قلة دعواتها وكثرة عِداتها، وقلة مراجعها العلمية، وكثرة محاربيها بالمؤتمرات الرسمية، لكن مساجدها هي المطروقة، ونشراتها هي الموثوقة، فقد كان الطلبة يحضرون دروسها بانتظام ومواظبة، وربما بلغ عددهم الألفين في المجلس الواحد، ليس في الجمعة، بل في درس الليل، أما الجمعة فيسافر لها من مئات الأميال، وظهر من الشباب السلفي مَن عُلقَت عليه آمال وآمال: في شغفه العلمي، والتزامه العملي، واشتهر بحفظ القرآن، حتى كان مَوْئِل الباحثين عن أئمة رمضان، مع التنبيه على أنه الوقت الذي أفلست فيه الجماعات الأخرى، وكل من أضحى سلفياً من رموزهم ففي هذه المدة القصيرة، وفيها برز انقسام الإخوان بجلاء إلى الكتل الثلاثة التي ذكرتها في أول هذا الفصل.

وإذا رأيتني هنا أنحى باللوم الشديد على بعض الدعاة وأغضّ الطرف عن حسناتهم؛ فلأنني لا أرى من تسبّب في واد هذا الخير

العظيم إلا جانبا على الإسلام والمسلمين
أعظم جناية، ولو رأيت ما رأيت لقلت: ليس
الخبر كالمعاينة.

ومن بركة العلم أن كثيرا من القوانين الوضعية
أخذ في انحسار سريع، على الرغم من ندرة
التعرض لنقضها، فقد أدرك الناس - بتعلم السنة -
مناهضتها للشرع، حتى الإداري الذي يحفظها
أضحى لا يعرفها إلا جبرا على ورق؛ لأنه يسمع في
مسجده أو في مكتبه ما يُضعف قناعته بها. وأعرف
من هدم ستين قبة في منطقة واحدة من الغرب
الجزائري، ووجد من المسؤولين من يدعمه على
الرغم من إرجاف الصوفية القبوريين، وأضحت
المحافظة على الصلوات في العمل لا تقبل الجدل،
بل قرص القانون بناءً مسجد في كل مؤسسة، وكاد
يُقضى على مشكلة الصيام بالحساب، بل قُضي
عليها لولا تقصير بعض الثقات الموكّنين بترقب
الهلال، كما قلت بيوت الفساد والخمارات وعوقب
المفطر في رمضان بلا عذر عقوبة رسمية، بل لقد
نوقش في البرلمان لأول مرة بشكل مفتوح: منع
الخمور، ورياضة المرأة، وغيرها من القضايا وفق
الأحكام الشرعية.

أما المظاهر الإسلامية كالجلباب للمرأة والنزي

الإسلامي للرجل، فلم تُعد محل نقاش، حتى اللحية التي يمنعها القانون العسكري على الجنود، قد رُئيَ منهم أنفسهم من يوقِّرها، وحظيَ ذوو المظاهر الإسلامية بتوقير كبير لدى الناس.

وأما من الناحية الأمنية فقد كانت الجزائر من آمن بلاد الله؛ وقد كان الواحد منا يمكث سنوات متتابعات لا يحمل معه أوراقه الثبوتية! وكانت الشرط نادراً ما يحملون معهم السلاح، بل دُكر لي أن بعضهم كان يضع في حزامه خشبةً تُشبه المسدس بدله!

أكتب هذا تذكيراً بأصل (نيل السؤدد بالعلم)، ليَقْضُر الدعاة من زهدهم في نشر العلم الصحيح؛ لأنهم إن لم يَحْرِمُوا الناس من بركته، وظهر في الأمة الإخلاص لله في العمل به، غيَّر الله ما بهم من بأس. وإنما عربون الفتنة في انصراف العلماء عن تعليم أمتهم الكتاب والسنة أي العلم الذي يعني الجميع، إلى الجهد الضائع في السياسات العصرية التي لا تعني إلا فئة محصورة على أكبر تقدير، وهذا خلاف سيرة النبي ﷺ، فعن جابر قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين، يتبع الناس بعكاظ ومجنة، وفي المواسم بمنى يقول: « من يُؤويني؟ من ينصرنى

حتى أَبْلَغ رسالة ربي وله الجنة؟»، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر - كذا قال - فيأتيه قومه فيقولون: " احذر غلام قريش لا يفتنك "، ويمشي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله إليه من يثرب، فأويناها وصدّقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن، ويُقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيُسلمون بإسلامه، حتى لم يَبْقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها من المسلمين يُظهرون الإسلام، ثم ائتمروا جميعاً، فقلنا:

" حتى متى نترك رسول الله ﷺ يُطرد في جبال مكة ويخاف؟ "، فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قَدِموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين حتى تَوَافينا، فقلنا: يا رسول الله! نبايعك؟ قال:

« تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله، لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني، فتمنعوني إذا قَدِمْت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة ... »⁽¹⁾.

¹ () رواه أحمد والبيهقي والحاكم وهو صحيح³⁴ كما

من مظاهر رفع الله لأمة العلم أن الشيوعيين - الذين كانوا يحاولون التسلّل في الدولة التي كانت لهم بالمرصاد آنذاك - قَلُّوا بصفة مدهشة! واعتزلهم الناس، إلا أنهم لم ييأسوا، فحاولوا بكل وسيلة ضرب الإسلام، فلم يجدوا أنفع لهم من استفزاز شخصية إسلامية ثورية، يستطيعون التحكم فيها بالتهيج السياسي، ويبدو أنهم لم يجدوا أحسن من علي بن حاج في شبابه وقوة نشاطه، وسحر بيانه وشدة نقمة سجين على نظامه، فأخرج من السجن قبل انتهاء مدته، ثم هُيئت له ثورة شعبية! عُرفت بثورة (5 أكتوبر 1988م)، وُزِعَ أنها شعبية شعبية!! وُزِعَ أن أمن الدولة مُنِعَ من التدخل!! وقُرِّرَ في أذن علي بن حاج أن (الشعب) ينتظر كلمة المسجد!! فجعل يقذف بلسانه ذات اليمين وذات الشمال، وكان جلّ حديثه بل قُلْ كل حديثه عن السجن والحكومة، فنصح له الدعاة السلفيون بل وغيرهم لكن بلا جدوى. ثم نُصِبَ له الفخّ السياسي: التعددية الحزبية، وقيل للناس هل أنتم متحرّبون؟! لعلنا نتّبع الكثرة إن كانوا هم الغالبين؟! فاستجاب لهم أصحاب الوعي

السياسي عن بكرة أبيهم !! ومن الجماعات الإسلامية التي هي على مستوى تحديات العصر!!! لأنهم يكثرون عند الطمع، ويقفلون عند الفزع، و(اليد الشعبية!) تتصيدهم حزباً حزباً، وخطبت العدو دعاء الحماسة، وتمّ النكاح حتى تخلقت الحزبية في ظلمات ثلاث: ظلمة الجهل بالشريعة، وظلمة إغلاق العقل عند شباب حديد بالطبيعة، وظلمة الاستفزاز الخارجي الذي لا يألوهم خبالاً ولا مكراً ولا خديعة! وكوّن علي بن حاج حزبه في ليل من السياسة غاسق، وسمّوه: (جبهة الإنقاذ الإسلامية)، ومن يومها والجزائر تستغيث: هل من منقذ؟!!

حقيقة! إنّ فتنه هؤلاء الخطباء في قومهم أعظم فتنه؛ لأنهم ملقّحوها! ويا عجباً! كيف لا يُقلّدون عارها وقد أضرموا نارها؟! وهم أدوات في أيدي عدوّهم يحركها كيف يشاء، قال خبير الفتن حذيفة بن اليمان: " إنّ الفتنه وُكِلت بثلاث: بالحادّ النحرير الذي لا يرتفع له شيء إلا قمعه بالسيف، وبالخطيب الذي يدعو إليها، وبالسيّد؛ فأما هذان فتبطحهما لوجوههما،

وأما السيّد فتبيّحه حتى تبلو ما عنده" (١).
 وطبيعة التحزب تغنيك عما يتبعها من عنف،
 كانت تُستدرج إليه الجبهة في سرعة جعلت
 (الأحزاب الإسلامية) الأخرى مقبوضة اليد،
 توجس من التحزب خيفة، ولكن ما دام لا بد -
 عندهم - من البديل ولو لم يكن مشروعاً، فقد
 أنشأوا لهم: (رابطة الدعوة الإسلامية)، لتكون لها
 الوصاية الدعوية على غيرهم، وأوغلوا فيها عباسي
 مدني وعلي بن حاج ليكونوا تحت عينهم، وتوجوا
 الإقليمي الشيخ أحمد سحنون كرئيس شرفي،
 والرئاسة الحقيقية ترجع إلى حَرْفِيّ الاحتيال في
 حلبة النطاح الحزبي: إما إقليمي، أو إخواني، أو
 نهضوي، أو رافضي...! وما سُمِّيت رابطة إلا لأنهم
 يربطون عقدها، وكلُّ فيها بسحر السياسة نافث،
 فنعود بالله من شر النفاثات في العقد.

لكن رُقيتها لم تفلح طويلا في علي بن حاج رغم
 اجتماع النافخين فيه، فكان كلما أراد أن يخالفهم
 فعل ولم يبال بمخالفه، من أجل ذلك استشارني

١ () رواه نعيم بن حماد في ((الفتن)) (352) وابن
 أبي شيبة (15/17-18) وأحمد في
 ((الزهد)) (2/136) وأبو نعيم في ((الحلية)) ()
 (1/274) واللفظ له وأبو عمرو الداني في ((السنن
 37 الواردة في الفتن)) (28).

بعض الإقليميين في أن يتخللوا صفوف جبهة الإنقاذ، فقلت: ولم؟ قال:

" لُنْحَفِّفْ من جنون الرجلين: مدني وابن حاج! "، فقلت: " إذن سيؤرطانكم فيما تكرهون "، فلم يقبلوا النصيحة، وانخرط كبيرهم محمد سعيد الوئاس، وزعموا: " أنه لا يزيد على وظيفة الحماية المدنية {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ} بأيدينا! "، واتخذ الجميع من السياسة جارحة صَيدٍ يَجْمَعُونَ بها الرغوة، واتخذها أعداؤهم آلة كَيْدٍ يَجْهَضُونَ بها الدعوة، ولذلك لم يمض إلا زمن يسير، وإذا بالجميع بحمأة الفتن يُكْوَى، والله يهديهم.

أما الإخوان العالميون فقد أظهروا بقوة رفضهم للتحزب، وتظاهروا بسلوك طريق التربية، وأعلن ذلك أميرهم محفوظ نحاح في الجرائد بلا خفاء، وهم يترقَّبون يوم مذبحة الجبهة ليقال لهم: يا لكم من حكماء!، ولكن ذلك لم يحصل، بل هالهم أن نجحت الجبهة في الانتخابات البلدية وامتد سلطانها، وظنوا المُلْكُ غنيمة باردة، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى قصروا عمر الحكمة وخلعوا برقع التربية، وقالوا: " السياسة من الدين ولا بد من الحزبية! "، لكن قطار الجبهة حشد الحشود ولم يُبقِ لهم من

الأصوات ظهراً مركوباً إلى الحكم إلا بحة شيوعية ووطنية، فكانوا كالشاة العائرة بين غنمين، وأخيراً تحالفوا مع الأحزاب الشيوعية والوطنية! نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

وفي آخر سنة (1411هـ) غيّر النظام الحاكم قانون الانتخابات، ورأت جبهة الإنقاذ أنها مكيدة مدبّرة، فدعت إلى إضراب عام عن العمل، واعتصموا ببعض الساحات العامة، وبدأ الجدد يظهر بعد هذه (المسرحية)، فمن الجبهة عنف اللسان، ومن مخالفهم عنف السنان. وبينما أنا في بيتي في حيّ يقال له: جسر قسنطينة، إذ سمعت صارخاً من مكبر صوت المسجد يتدد بفعل بعض عسكر الدولة، لكنه أرشد إلى الصبر، فحمدت الله. ولم ألبث إلا قليلاً فإذا بصارخ آخر من مسجد ثان يكرّر التنديد، لكنه مصحوب بالنداء إلى الجهاد!! فقلتُ في نفسي: " هذا (حزب إسلامي) يريد إقامة دولة الإسلام وقد عجز عن توحيد كلمة مسجدين في هذا الظرف العصيب؟ يا لها من مغامرة يُساق إليها بلد مسلم! قد فعلتها بهذه الأمة يا ابن حاج!" ففزعت إلى الصلاة، ولم أشعر حتى فاضت عيناى بالدمع، وجال في مُخَيَّلَتِي قصة حماة بسورية، { وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }.

وفي سنة (1412هـ) دخلت الأحزاب
الترشيحات البرلمانية، وفازت جبهة الإنقاذ في
الدور الأول منها، ثم تغيّرت الأوضاع فجأة،
واستقال رئيس الجمهورية ابن جديد، واستبدلت
الحكومة بأخرى ...

فلجأ خطباء الجبهة إلى منابر المساجد
مستنفرين الأمة إلى الجهاد؛ يتلّم الخطيب كما
يُعرّف، فيشتّم ثم يصلي بالناس الجمعة ثم يفرّ!
وربما فرّ قبل الصلاة!! وإذا حضرت الشرطة لم
تجد إلا الأبرياء، فتأخذهم بجريرة أولئك الأبطال!
أبطال هذه اللعبة الصبانية - وإن رأوها مناورة
حركية!-!! ودخلوا في (مضاربة بلا رمح، وليل بلا
صبح) .



علي بن حاج والعلماء

لم يتعلم هذا الشابّ على أيدي أهل العلم، فتكوينه العلمي حصيلة دراسته على الكتب، ومن زعم أنه تتلمذ على أيدي الشيخ عبداللطيف سلطاني أو الشيخ العرباوي - رحمهما الله - فقد غلط، بل ماتا وهما ساخطان عليه، وهذا شيء يعرفه كل من يسكن عاصمة الجزائر، ثم كل ما هنالك أن الرجل حضر بصفة متقطعة جداً بعض الدروس التي كان يُلقِيها الشيخ العرباوي في مسجد

« جنان المبروك » في شرح كتاب « بداية المجتهد لابن رشد⁽¹⁾ .

وقد بدا لي من خلال معرفتي به الطويلة أن السجن الأول - قبل فتنة الأحزاب هذه - أثر فيه أثراً بالغا، وذلك من ناحيتين:
الأولى: أنه أخبرني هو أنه عكف على كتب

¹ () كان يحضرها للمناقشة، لا الفائدة! وأما الشيخ سلطاني فكان شديد التحذير منه؛ بل كان ينهى الناس عن حضور دروس هذا الشابّ؛ وسمعته مرّة يقول: كيف يُفْتِي الناس مَنْ لا يُحْسِنُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ؟! ومثّل لذلك بآية: {وَبِتُّ مِنْهُمَا رَجَالًا...}، ويقول: " إنه يقرؤها بمدّ الثاء: 41 (وَبِتُّ)!!

الإخوان المسلمين وَقَلَّاهَا قَلِيًّا، بغرض انتقادها - كما زعم - وسمى لي منها كتب محمد الغزالي والقرضاوي وسيد قطب، لكنه لم يلبث أن تأثر بها؛ يدلُّ عليه انقباضه من العلماء بعد خروجه من السجن الأول، ومن العلماء السلفيين خاصة! ولئن قلتَ كيف يستقيم هذا ونحن نسمع أنه سلفيٌّ؟

قلت: إن الذي لم يقنع بما عليه السلفيون منذ عهدهم الأول حتى يبتدع سلفية حركية، لن يجيء - مهما طَوَّرَ الأسلوب وحوَّرَ في العبارات - إلا بنت الإخوانية! ولو قرأت لهذا الرجل ما كتب لما استغربت، كيف وجلَّ نقولاته عن الإخوان، من سيد قطب وأخيه محمد وعبدالقادر عودة وصلاح الخالدي وحسن البنا وحتى من محمد عبدالقادر أبي فارس وغيرهم ممن تقرأ أسماءهم في كتبه مثل كتاب « فصل الكلام في مواجهة ظلم الحكام »، ولئن أخذ ومضت من كتب ابن تيمية فمن باب قوله تعالى: { وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ }، مع ذلك فيُفصِّل كلامه على قدّه بتر نصوصه، وقرأ إن شئت ما كتبه في حكم الإضراب، ينكشف لك ما قلته بلا ارتياب.

وهذه عاقبة من لم يسعُه ما وسع السلف،

وشبّهتُ حاله في تأثره بالإخوان - وهو يريد انتقادهم فيما زعم - بحال الغزالي الذي قال فيه أبو بكر بن العربي: " شيخنا أبو حامد: بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع!"⁽¹⁾

ولا يخفى على من جرّب الجماعات المعاصرة ما في منهج (الإخوان) من الازدراء بأهل العلم، وإلا فخبّروني من أول من نبزهم بعلماء الحيز والنفاس؟! وبعلماء القشور؟! وبعلماء البلاط؟! وبالذين يعيشون القرون الوسطى؟! وبعلماء الكتب الصفراء؟! وبعلماء البدو؟! ...⁽²⁾

¹ () « السير » للذهبي (19/327)، وانظر « مجموع الفتاوى » لابن تيمية (13/238).

² () انظر مثلا كتاب « لا إله إلا الله عقيدةً ومنهجاً ... » ص (174) لترى كيف يغمز مؤلفه محمداً قطب من قناة علماء الكتاب والسنة، ويستهن بعمل من يقوم بتحقيق المخطوطات! ويستنكف أن يسمّيهم علماء!! مع ذلك فهو عند قوم: " من الإخوان المعتدلين! بل من السلفيين!!"، لكنه - عندهم - سلفيُّ المعتقد، عصريُّ المواجهة!!! لأنه لا يُضَيِّع وقته في مواجهة الفرق العقديّة القديمة بزعم اندراسها! وهي - كما يقال :-

(شنشنة أعرفها من أخزم)؛ وإلا فلماذا إصراره على الردّ على المرجئة - وهي فرقة قديمة - لولا

الثانية: ما لقيه في السجن ورثه الانتقام للنفس، وكثره إليه أهل العلم الذين لا يشاركونه الرأي في مصادمة الحكومات، وعلى هذا أمارات ظاهرة، أذكر منها:

1 - عند خروجه من السجن نهاية سنة)

أنه وجماعته يريدون تنفير الشباب السلفي من علمائهم بسبب أن هؤلاء يُفَصِّلون في قضية الحكم بغير ما أنزل الله ولا يُكفِّرون مطلقاً؛ بل لا أدري هل تنبّه القارئ إلى أن هذا الرجل ضاعف حديثه عن الإرجاء في كتبه الأخيرة بعد أن استوطن السعودية!! فانظر مثلاً كتبه: «الصحوة الإسلامية» و«التفسير الإسلامي للتاريخ» و«واقعا المعاصر» ... مع أنك لا تكاد تعثر على هذه الكلمة - الإرجاء - في كتبه القديمة، مما يدل على أنه استلها من قاموس السلفيين بعد أن سكن ديارهم ليحاربهم بها، ولعله لم يسمع بها من قبل! وقد كان نائب علي بن حاج في الجبهة الجزائرية المسمّى الهاشمي سحنوني يُلقب كل مَنْ لا يُكفِّر الحكام بهذا اللقب: (مرجيء!) فلما سأله عن مصدره قال: محمد قطب وعبد الرحمن عبد الخالق!!

ولم يقف محمد قطب عند هذا حتى أغرى أحد أبناء الجزيرة العربية ليكتب في ذلك، كل ذلك توكيداً منه للاهتمام بمعالجة داء الإرجاء المسيطر على علمائها في زعمه!! ولا تكاد تجد كتاباً ألف اليوم في الإرجاء إلا وعليه بصماته؛ من تقديم أو

1407هـ)، ألقى دروساً في موضوع الكبائر من الكتاب المنسوب للذهبي - رحمه الله - في ذلك، فقال في أول درس له: " درج العلماء على البدء بكبيرة الشرك، وأنا أرى البدء بكبيرة (كتمان العلم)؛ لأنَّه لولا كتمان العلماء الحقّ

استشهاد مؤلّفه بأقواله؛ فانظر مقدّمته الحافلة لكتاب تلميذه الحميم سفر الحوالي « ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي »، ثم هي حُدِّقَت الآن في طبعته الرسمية!! بل تجد هذا الأخير في كتابه

« العلمانية » يأتي بآية الحكم بغير ما أنزل الله من غير تعريج على تفسير السلف لها، وعلى رأسهم التفسير المشهور والصحيح الإسناد عن حبر الأمة عبد الله بن عباس

رضي الله عنهما وغيره! فهل يعني هذا أنه غير راض بالتفصيل السلفي الماثور في المسألة؟ انظر ص (685) وما بعدها لترى كيف يُتْرَلُ الحكم من ظاهر الآية السابقة على عموم حكّام المسلمين حتى يُحَيَّلَ إلى القاريء أن لا تأويل للآية عند السلف إلا ذلك التعميم! وتأمل في كتابه هذا عدد النقولات الهائلة عن شيخه إلى جنب نقولاته الهزيلة عن السلف تفهم ما قلّته! وقد وجدتُ عند الشيخ **الألباني** كلاماً رصينا في المسألة، فقد سئل عما يأتي:

" فضيلة الشيخ! لا يخفى عليكم ما احتوته **الساحة الأفغانية** (في ذلك الوقت) من

ببعض علماء السعودية قائلا: "بدليل أنني كتبت إلى أحدهم بعشرة أسئلة أو أكثر، فلم يُجب إلا على اثنين منها!!" (١).

ثم بعد أن طالت مناقشة الحضور له من بعد صلاة الليل إلى أن كاد يفوتنا الفلاح قال: "نزولاً

بعض علماء السعودية قائلا: "بدليل أنني كتبت إلى أحدهم بعشرة أسئلة أو أكثر، فلم يُجب إلا على اثنين منها!!" (١).

ثم بعد أن طالت مناقشة الحضور له من بعد صلاة الليل إلى أن كاد يفوتنا الفلاح قال: "نزولاً

بعض علماء السعودية قائلا: "بدليل أنني كتبت إلى أحدهم بعشرة أسئلة أو أكثر، فلم يُجب إلا على اثنين منها!!" (١).

كان يحزّمه! فعرفوا أنها فتاوى ضغط الواقع، ولذلك لا يُعرَف له أي استفتاء لأهل العلم لا مقروء ولا مسموع، ف { تَبَيَّنُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }.

4 - زار الجزائر الشيخ الفاضل أبو بكر جابر الجزائري قبل أيام الإضراب، واستدعى عليّ

... : " ... !! " ...
 ... !! ...
 ... !!! ...
 ...
 ... (...) ... !! ...
 ... !! ...
 ... !! ...
 ... (...) ...
 ... !!

...
 ... « ... » ...
 ... : " ... ! ...
 ... « ... » ... !...
 ... !! ...
 ... !! ...
 ... !! ...
 ... { ... }
 ... ! ...
 ... ! ...

في تكتم مجرب عنه مع السلفيين. وفي هذه الزيارة عرّج على الأردن في جولة سياسية - كما يقولون - ولم يزر الشيخ الألباني! وأنا أعرف عن الجزائريين عيبتهم الشديد على السلفي الذي يُحرّم من زيارة هؤلاء العلماء، نظرا لندرة أمثالهم عندنا، ولذلك لاموه كثيرا؛ لأنه دليل على أنه غير سلفي أو في نفسه منهم شيء خفي!⁽¹⁾

¹ () في « تاج العروس » (3/43): " وعور الراعي الغنم تعويرا: عرّضها للضياع ".

¹ () التكتّم والانقباض الذي يلتزمه ابن حاج مع السلفيين أمر عرفته عنه كل هذه المدة التي كنت وإخواني نلقاه فيها؛ بل لا أكاد أعرف عنه كلما ناقشته - على كثرة ما ضيعتُ من وقت في عتابي له - معارضة قط، إلا مرة واحدة - فيما أذكر - صرّح بالمخالفة بعد استفزاز طويل..! قال فضيلة الشيخ صالح اللحيدان - حفظه الله -: " جلسنا مع عباسي مدني وعلي بن حاج أيام أزمة الخليج، فكان ابن حاج - طول الجلسة - ساكتا؛ فإما أن يكون سكوته سكوته سياسيا، وإما يكون تأدبا مع رئيسه مدني! وأنا أرجح الأول؛ لأنه ليس لعباسي تكوين علمي شرعي، وإنما هو في علم النفس والتربية!!"، قلت: لقد صدقتُ فِراسةُ الشيخ؛ فإن ابن حاج أخذ على نفسه أن يكتّم الشقاق ويتظاهر بالوفاق تعجيلا للفراق! وأصدق وصف يليق به أنه وسواس إذا خلا بجماعته من العوامّ الهوامّ أو الحزبيين التكفيريين والحركيين،

7 - عند سفره الثاني إلى الأردن في مسيره إلى القتال مع العراق، اضطره بعض السلفيين إلى زيارة الشيخ الألباني، ووقع منه ما يُدهش.

8 - وهو ما أخبرنا به الشيخ نفسه ومن كان حاضرا كالشيخ علي بن حسن بن عبد الحميد والشيخ محمد شقرة، أنه زارهم في بيت الشيخ ليعتذر إليهم عن ضيق وقته، وأنه يرجو تقصير مدة المجلس!

9 - كما أخبرونا جميعا أنه أبى تسجيل المناقشة في جدل عقيم طال بلا عائدة إلا عائدة خوف الرجل من انتشار الحق⁽¹⁾.

10 - كما أخبرونا أنه حين أقنعه الشيخ بضرورة التسجيل، قِيلَ على شرط غريب، وهو عدم نشر الشريط حتى يأذن هو به للشيخ!!! وهذا أقبح تصرف يصدر من طالب مع شيخ، ورحم الله زمانا

خّاس إذا حضر عنده السلفيون!! وهو يعرف حق المعرفة أنه بجانب لهدى السلف - كما صرح بذلك في بعض المجالس -، وأن الذي دفعه إلى ما هو فيه إنما هو ردود فعل نفسية! ولقد صدق من قال: نحن في زمن يصدق عليه وصف القائل: لئن كانت أفة الملوك سوء السيرة، فإن أفة الدعاة خبث السريرة!

¹ () قاله الشيخ الألباني في شريط مسجل له من «سلسلة الهدى والنور» رقم (438/1). 168

كان فيه السلف يطمعون في السماع من شيوخهم ولو بتحمّل الضرب، قال الذهبي: " قال يعقوب بن إسحاق الهروي عن صالح بن محمد الحافظ سمعت هشام بن عمار يقول: دخلت على مالك فقلت له: حدّثني، فقال: اقرأ، فقلت: لا، بل حدّثني، فقال: اقرأ، فلما أكثرت عليه، قال: يا غلام تعال! اذهب بهذا فاضربه خمسة عشر، فذهب بي فضربني خمس عشرة دِرَّة، ثم جاء بي إليه، فقال: قد ضربته، فقلت له: لِمَ ظلمتني؟ ضربتني خمس عشرة درة بغير جرم، لا أجعلك في جِلٍّ، فقال مالك: فما كفارته؟ قلت: كفارته أن تحدّثني بخمسة عشر حديثاً، قال: فحدّثني بخمسة عشر حديثاً، فقلت له: زد من الضرب وزد في الحديث، فضحك مالك وقال: اذهب ⁽¹⁾.

11 - بهذه النفرة التي كان يجدها علي بن حاج من العلماء تفهم سرّ تكراره في غير ما شريط مسجّل أنه ألف كتاباً أسماه: « بين علماء السجون وعلماء الصحون! »، مع كثرة إيرادها لأحاديث القُصّاص في مواجهة الحكام على طريقة الخوارج، ولو كان أبطاله من شرار المبتدعة، كعمرو بن عُبيد المعتزلي، فينشأ في نفوس الناشئة

أنه لا عالم إلا من دخل السجن؟! وبهذا التنفير من العلماء فسد سلوك الشباب تجاههم، وظهر لأول مرة في الجزائر فُرقة بين السلفيين؛ إذ أصبحت تسمع بسلفية علمية وسلفية حركية! ووصف بالإرجاء كل من دعا إلى الحكمة والصبر والأخذ بسيرة الرسول ﷺ في جهاده، وهذه هي بركة التحزب!

وأخيراً لا بدّ من كلمة مختصرة جداً عن هذا الرجل، أرى أنها تُعرّف به جيّداً، وهي أن علي بن حاج يعيش بنفسية متوترة؛ يثور على المألوف، ويستثير الغريب المخوف، وتراه لا يثبت على مذهب؛ بل يُكثر التنقل من غريب إلى أغرب؛ يتتبع الجديد الذي يثير الانتباه، ويملّ العتيق ولو لم يكن به اشتباه⁽¹⁾؛ فحين كان تهريج عبد الحميد كشك مطلب الشباب كان

(كشكياً!)، ويوم⁽²⁾ أن تمكّن الخميني من الحكم مدحه مدحاً كبيراً!⁽²⁾ وحين برّزت الدعوة السلفية -

¹ () من غرائب كلماته التي كان يتعمّد تكثير الجماهير بها أنني سمعته مرة في درس عامّ يقول: " بعد خمسة عشر يوماً أخبركم هل الرئيس الشاذلي بن جديد كافر أو لا؟!!!! ".

² () وذلك في أول درس ألقاه في مسجد الإمام

في مجتمع قد أنهكته المذهبية - ولّى إليها وجهه، لكنه حصر عنايته بها في الحرب على المذهبية، وصحب ذلك حماسة لطلب العلم، فشجع على الدعوات السياسية وتسجّى بالحلم، ثم اشترأبت الأعناق إلى إيران، فثار عليهم ثورة الثيران! وحين جاء التحزّب يركض، ركبه ولم يُعقّب! فما زال سياسياً يُحاور، حتى إذا سالت من دماء التكفير عيون انقلب إلى العنيفِ المعابر، وهنا وضع رحله، وربط فرسه، وشلّ منه التفكير، ورضي في سبيل ذلك بالمعاطب، واستأنسَ بوحوش التكفير، واستقرّت به المراكب، والله وحده أعلم بالذي يتلوه.

ويَعرف هذا مَنْ تذكّر تنقله السريع في موضوعات دروسه؛ فهو لا يكاد يفتح كتاباً إلا تركه وقفز إلى غيره؛ فمن ((شرح السنة)) للبعوي إلى ((الكبائر)) للذهبي، فتفسير القرآن، فتبسيطه، فتزكية النفوس، فالسياسة الشرعية ... كل هذه الدروس وقف فيها عند بدايتها بالتداول، وفي كل

الشافعي بالحراش في عاصمة الجزائر، ولئن بقي من أصحابه الأقدمين مَنْ لم يحصده الرصاص بعد ليذكرنّ ذلك - إن شاء الله - وذلك يوم أن وصف الخميني بصاحب اللحية البيضاء

١٧٦ توقيراً! ف { قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ }!

مرة يسمع الحضور وعدًا قصير العمر يقول: اليوم نبدأ درس كذا من كتاب فلان! وهكذا ...

وقد بين الماورديُّ هذه النفسية الغريبة التي عرفها من أهلها، وكأنه يعيش بين أظهرنا فقال: "مع أن لكل جديد لذة، ولكلِّ مستحدّث صَبْوَةٌ؛ وقال النبيّ ﷺ: ((إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مَنَافِقُ عُلَمَاءِ اللِّسَانِ))⁽¹⁾، فتصير البدعُ فاشية، ومذاهب الحقِّ واهية، ثم يُفضي الأمرُ إلى التحزّب والعصبة؛ فإذا رأوا كثرة جمعهم وقوّة شوكتهم داخلهم عزّ القوّة ونخوة الكثرة، فتضافر جهالٌ نسّاكهم وفسقة علماءهم بالميل على مخالفيهم! فإذا استتبّ لهم ذلك زاحموا السلطانَ في رئاسته، وقبّحوا عند العامة جميلَ سيرته، فربما انفتق ما لا يرتق؛ فإنّ كبار الأمور تبدو صغاراً"⁽²⁾.

وسرّ هذه التناقضات المتعاقبة عليه والتنقلات المتناوبة عليه ثوريته المتأصّلة في نفسه، وبعض من لم يخبر الرجل يقول: إنه ذو شخصيتين! والحقيقة أن له شخصيّة ثابتة؛ ألا وهي الثورية التي

¹ () رواه أحمد وهو صحيح.

² () ((درر السلوك في سياسة الملوك)) ص (120).

تحدّثت عنها أنفا وطول نفسه في الخصومات،
وأخرى متغيّرة؛ لأنها تعبير عن هذه الثورية على
حسب ما يحدّ في الدعوات، وشبيه بحاله من قال
فيه عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: "مَنْ جَعَلَ
دينه عَرَضاً لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلِ"⁽¹⁾، قال
الدارمي بعد هذا الأثر:

" أي ينتقل من رأي إلى رأي! "

وعن خالد بن سعد مولى أبي مسعود قال: دخل
أبو مسعود على حذيفة وهو مريض، فأسنده إليه،
فقال أبو مسعود: أوصنا، فقال حذيفة: " إن
الضلالة حقّ الضلالة أن تعرف ما كنت تنكّر
وتنكّر ما كنت تعرف،

وإيّاك والتلّون في الدين!! "⁽²⁾، وفي رواية: "

¹ () رواه مالك في ((الموطأ)) (917- الندوي) وهو
صحيح، وهو من الروايات العزيزة التي حفظتها
لنا رواية محمد بن الحسن الشيباني، ورواه
الدارمي (1/91) وغيره. ولهذا الأثر قصة انظر
((الشريعة)) للأجري ص (56)، و((الإبانة)) لابن
بطة (583) و« ترتيب المدارك » للقاضي عياض (1/170).

² () رواه نعيم بن حماد في ((الفتن)) (130) وابن
أبي شيبه (15/88) وابن بطة في
((الإبانة)) (25) و(571-573) والحاكم (4/467)
وأبو نعيم (1/272-273) وأبو عمرو الداني في

فإن رأى حلالاً كان يراه
 حراماً ... " ، وقال إبراهيم: " كانوا يَرَوْنَ
 التلَوْنَ فِي الدِّينِ مِنْ شَكِّ
 القلوب " (1) . ومن أوضح علامات هذا الشكِّ اتباعُ
 المرءِ الحقَّ مجرَّباً لا له متجرِّداً، وأن يُؤثِّرَ دليل
 الواقع على نصِّ الوحي، كما قال حذيفة: " إنَّ
 أخوف ما أخاف على هذه الأمة أن يُؤثِّروا ما
 يَرَوْنَ على ما يَعْلَمُونَ، وأن يَضِلُّوا وهم لا
 يشعرون " (2) ، وقد اشتهر عند كثير من الناس أن
 ابن حجاج سلفي بسبب أنه جرَّب السلفية زمنًا، فلما
 لم يجد فيها نهمته الثورية ورأى أنها لا تُصَفِّي ما بينه
 وبين حكامه من حسابات نفسية تركها باطناً ولم
 يُصرِّح بذلك ظاهراً، والله وحده الهادي؛ لأنَّه هو
 القائل: { وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ
 وَأُخْفَى } .

ومن طرقه التي كان يسلكها للتأثير على
 الجماهير التظاهر بالورع البارد إذا قيل له بأن فلاناً

((السنن الواردة في الفتن)) (26) وهو صحيح؛
 لأن له شاهداً عند نعيم ابن حماد أيضا (134) وأبي
 القاسم البغوي في ((الجعديات)) (3117).

(1) رواه ابن بطة في ((الإبانة)) (575).

(2) رواه هناد بن السري في ((الزهد)) (949) وأبو

نعيم (1/278).

يردُّ عليك! فيقول: " أقول كما يقول أبو ضمضم إذا أصبح: تصدَّقْتُ بعرضي على مَنْ ظلمني، رواه مسلم!! " كذا يقول ويردُّد.

وهذا مع أنه لم يَزُوه مسلم بل هو ضعيف لا يصحُّ رفعه^(١)، فهو من السماحة المصطنعة؛ لأن قائله يظهر الصوم عن أعراض المسلمين في الوقت الذي يفطر فيه على دمائهم!! فكم من آلاف من المسلمين قُتِلوا بفتواه كما ستراه في هذا الكتاب!؟.

وأما عن علمه فسبق ذكر شيء من إرجافات فقهه السياسي؛ حين استدللَّ ابن حاج بقصة وقوف النبيِّ ﷺ على جبل أبي قبيس على مشروعية المظاهرات!! وأغرب منه استدلاله بوصول النبيِّ ﷺ في صومه على مشروعية الإضراب عن الطعام؛ فقد قال في قصيدة له بعد أن تأكَّدنا من بعض أهله أنها له:

وأضربنا عن الطعام تعفُّفًا اقتداءً بسيد

الواصلينا!!!

قلت: وهذا - والله - من الدواهي!! ومنها إفتاؤه بالتفجير الجماعي في المحلات العامة، فلما سئل عن المسلمين الذين يُقتلون في ذلك قال: يُبَعَثُونَ

¹ (75) انظر ((إرواء الغليل)) (2366).

على نياتهم!!! ويعزو ذلك لابن تيمية! نعوذ بالله من
قلّة الحياء!



قيل لعلي بن حاج يوما: لقد مللنا الدروس السياسية، فهلاً علمتنا ديننا، وددنا لو بدأت بأبواب الطهارة والمياه، ولم تتكلم في السياسة ولو مرة واحدة، فقال: " أستطيع ذلك، ولكنني إذا ذكرت أن الحكومة تقطع الماء عن الناس في وقت ما لم أسكت عنها!! "

أذكر هذا لتعلم مصير كل سياسي في تقديره للعلم الشرعي، فلا أدري هل شعر أن الحكومة حين تقطع الماء الذي به حياة الأبدان، فهو - بسببها - يقطع عن الناس تعلم الدين الذي به حياة الجنان، فأى الفريقين أعظم جناية؟!

وليست جناية السياسة قاصرة على الأحكام العملية فحسب، بل تتعداها إلى العقيدة الإسلامية، فقد لقيه بعضهم بعد الإفراج عنه من السجن، فكلمه عن الأشاعرة الذين استولوا على دور التعليم، راجيا منه أن يكون عوناً له في الرد على أعداء التوحيد، ففاجأه بكلمة زهّدت فيه، تدل على انحرافه الخطير عن المنهج السوي، قال يومها: " أنا لو اشتغلت بالرد على الأشاعرة، فإن الحكومة تضحك من عينيها!! "

فتأمل هذا - رحمك الله - ولا تكن في التعصب للرجال من الهالكين، فالرجل دخل في صراع مع السياسيين، حتى ظن نفسه أنه خلق لإبكاء الحكومات!! فمن يبكي على أمة حُرِّمت عقيدتها وسلامة قلبها {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}؟

إنني أريد بهذه العناوين الأخيرة إشعار القاريء بخطورة مخالفة تلك الأصول الستة التي اختصرتها في افتتاحية هذا الكتاب، بالتمثيل لها من خلال الدعوة في الجزائر.

لقد عُمِّرت جبهة الإنقاذ الإسلامية ثلاث سنوات فقط، تهدم بها بنيان أوشك على التمام، وتصدَّع بها صفٌّ بعد التَّحام، وأُتِّهت فيها السلفية بعد أن وُضع لها القبول، وُزِع العلم وسيطر الطيش على العقول، وعشَّش التكفير في مساجد الجبهة وباض، واتحد الحزبيون مع المبتدعة حتى الطرقية وبني إباض، وأُتِّهم العلم، وحُرِّم الحلم، وتسمَّن فكر الخوارج، حتى عيبي الناصح والمعالج.

هذا والشيوخيون الأخبث في الداخل والخارج يرقبون مسرورين عملية الانتحار، يُحَرِّكون أحياناً بالتهيج السياسي استعجالاً لقطف الثمار، فرحين بعدو سهل الاستدراج؛ لأن عنف الجبهة أوجد لهم

المسوّغ القانوني لضرب المسلمين بلا احتجاج! وهي خطة ترقّبوها من سنوات عجاف لم يغاثوا فيها إلا بتسخير علي بن حاج، بل عجزوا عنها حتى في أيام الاستعمار الفرنسي، وقد قلنا للعلامة ابن باز - حفظه الله -: " إن الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر منعت صلاة الجمعة في بعض المدن! "، فقال متعجباً: " كيف يعطلّون الجمعة، وقد عجز عن ذلك فرنسا وبريطانيا واليهود؟! ".
 وكم قتلوا اليوم من طلبة العلم جريمتهم أنهم رفضوا مشاركتهم فيما هم فيه! وهذه هي بركة التحزب!^(١)

١ () وليبيان أثر العلم في تحصين الدعوة الإسلامية مما يكدر صفاءها أقول: ما من دعوة طيبة ظهرت إلا جُند لها من المبتدعة من يُعطّلها أو يشتمّها، ولقد اشتهر اليوم أن حامل لواء الإجهاض على الدعوة الإسلامية هم جماعة التكفير العائدين من أفغانستان - مع الأسف - والحق أن هؤلاء ما دخلوا قرية إلا أفسدوها، إلا أنهم ظلوا في الجزائر مدحورين مقهورين، ينقصون ولا يزيدون، والسر في ذلك أن هذا البلد حُصَّ بعناية الشيخ الألباني الذي كان علمه سداً في وجه التكفير كسدّ ذي القرنين على ياجوج وماجوج، ولم يخرجوا منه إلا يوم خرج علي بن حاج من السجن الأول، وإلا فكيف يُفسّر تحذيرهم لي ولغيري من التعرض للرد عليه، مع أنهم كفروه

نعم! لتذكروا كلمة ابن تيمية المبيّنة في الأصل الخامس من أن نكاية المبتدعة في المسلمين أشد وطأً من نكاية الكفار فيهم، ولا أدري ما سرّ تلقيب النبي ﷺ الخوارج بـ «كلاب النار»؟ لأنهم يجتهدون في المسلمين تكفيراً وتقتيلاً حتى يُكفّر بعضهم بعضاً، كما تجتهد الكلاب فيمن تنكره نباحاً وعضّاً حتى ترجع إلى أذناها فتعضّها؟ ويكون مصداقه ما جاء في

«الصحيحين» من أن النبي ﷺ قال فيهم: «يقتلون أهل الإسلام، ويَدْعُونَ أهل الأوثان»؟ أم لأنهم يُسْتَدْرَجُونَ بأبسط الحيل حتى يهيجوا كما أن الكلاب تنبح لأدنى استفزاز، حتى ربما دلّت عدوّها على مَحْبَباً صاحبها؟ ذكرني هذا بالمثل القائل: " وعلى نفسها تَجْنِي بَرَاقِش " (١).

بعد أن وضع أوراق اعتماد حزبه بالبرلمان أي قبل أن يُصرّح بتكفير الدولة!!

(١) قال الميداني في «مجمع الأمثال» رقم (2427): " كانت براقش كلبة لقوم من العرب، فأغبر عليهم، فهربوا ومعهم براقش، فاتبع القوم آثارهم بناح براقش، فهجموا عليهم فاصطلموهم، قال حمزة بن بيض:

لم تكن عن جناية لحقتني لا يساري ولا

يميني رَمْتِي

لذلك كله، ما يُخاف على المسلمين من الشيوعيين كما يُخاف عليهم من أنفسهم؛ فإن أولئك مهما أوتوا من تنظيم وقوة وإدارات وبسط نفوذ، فلن يضروهم إلا أذى، وأما جناية المسلمين على أنفسهم، فقد قال الله تعالى في قوم كانوا مواجهين الكفار الخُلص: { أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا قُلْتُمْ أَنَّا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ }، وكان النبي ﷺ يؤصّل هذا المنهج بتأكيده في كل خطبة قائلاً: « .. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.. »، فاللهم آمين. وقد بينتُ هنا من واقع الجزائر ما يشهد لما نحن بصدده. وأخيراً: رجائي من ذوي العلم والمنهج السلفي، أن يكتبوا عن تجربة بقية البلاد الإسلامية، فقد رُفعت للمنهج السلفي أعلام في اليمن وأفغانستان والسودان وإيران وسورية والأردن ومصر وتونس وغيرها، تدلُّ عليه وتؤكدده، لثُشِفِقُوا على المسلمين مما يصيبهم بأيديهم، ولتبيّنوا للشباب التائه اليوم واللاعب بالنار وجوب الرجوع إلى الطريق النبوي، فقد بان لذوي الحِجَى أكبر

بل جَناها أخ عليّ كريم وعلى نفسها

براقش تجني

برهان في واقع بلاد المسلمين على أنه لا يصلح
لهم غيره، ولكن أقلاما وأفواها غير سلفية سبقت
لتموّه وتحزّف الحق والواقع، فاستعينوا بالله
واصبروا وإن وُصِفتم بالمتبّطين أو المرجفين، فإن
غايتم رضى الله وحده.

يحاصر المسلمون اليوم حصاراً شديداً، لم يعرفوه حتى وقت المستعمرات الكافرة، والعالم كله تألب عليهم ورماهم عن قوس واحدة، لا يألوهم خبالاً ولا يرقب فيهم إلا ولا ذمة، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، الأمر الذي سبب لهم ردود فعل خطيرة، وصاروا لا يعيشون إلا على أنقاض الأحداث السياسية، نشاطهم يقوى بقوتها ويضعف بضعفها، وكأنهم هم

- أيضا - كُتب عليهم شقاء السياسيين، وانقسم المنقذون المخطئون مجموعتين:

∥∥ مجموعة دخلت العمل السياسي بلا تورع، فتميع منهجها، وتنازلت عن غير قليل من دينها، لأنها تعيش تحت ضغط الهزات السياسية العنيفة، فحَقَّ فيها ما حذر الله ﷻ منه نبيه ﷺ حين قال: {وإن كادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيتَنَا إِلَيْكَ لِنَفْتِرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَجِدُوكَ حَلِيلًا. وَلَوْ لَا أَن تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَادَفْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا}.

∥∥ ومجموعة تنزعها الأحداث السياسية، وتورؤها أَرَا لأنها وجدتها أدنا، وهي تُستدرج بالاستفزات

السياسية الماكرة، وهؤلاء حق فيهم ما حذر الله ﷻ منه نبيه ﷺ حين قال: { وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا }.

وحديثي هنا لا يتعرض مباشرة للأولى لأنه قد كُتِبَ عنها ما فيه غناء، ولكن الثانية هي التي أقصد؛ لأن فكرتها لم تعد حَكَراً على فئة معروفة من الناس بل ظهرت في هذا العصر الأخير مع الإخوان المسلمين، ثم لم يلبث هؤلاء أن تخلوا عنها متأثرين بفكرة المجموعة الأولى، ثم لبسها ورثة الخوارج: جماعة الهجرة والتكفير، وتداولوها مع شيوخهم القطبيين، ثم بمكر من هؤلاء أريد للسلفية أن تلبسها. وكم كنت أتردد عند كتابة هذه الكلمات رجاء أن تكون نصيب قلم أقدر عليها مني، وهم كثيرون، ولكن ذلك لم يحصل بالصورة الدقيقة والصريحة والمفصلة التي ينبغي أن تكون، إذ الشبهات فيها كثيرة جداً وجذورها عريقة في حقيقة الأمر، فلا تكفي فيها بُلْغَةُ الغريب، ثم استخرت الله في ذلك واستعنت به وحده فوقَّ لما يأتي:

المتأمل في أحوال المسلمين اليوم يجزم بأنهم قد استيقظوا بعد سُبات عميق، وأحسوا بضرورة العودة إلى أصلهم التليد العريق، وتذكروا

شخصيتهم الضائعة الممتهنة من قبَل من جعلتهم قُدوتها برهة من الزمن فلم ينصحوا لها، أقصد أن عاطفة إسلامية ما - كما يقولون اليوم - لا تزال في قلوب المسلمين، مما يبعث في النفوس السرور لأنها أول المبشرات، إلا أنه لا يجوز أن ندخل لَعَطًا إعلاميا لا يمت إلى الإسلام بصلة فنبرز هذه الصورة فوق حجمها، مستعملين المجهر السياسي الكذاب، مجارين أعداء الله في مكرهم ودهائهم وتزويرهم الحقائق، بل الحق والحق نقول، إن الله لا ينصر إلا المؤمنين فهو القائل: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} والمؤمنون مؤمنون ما لم يكذبوا ليتولاهم مولاهم القائل: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ}.

لذا فإن محاولة إفزاع العدو بإبراز هذه اليقظة الإسلامية الأولى في صورة المستيقظ النشيط، الذي لم يبق على عينيه غبش، وأنه قادر على أن يُبصر الأمور وبيصّر بها على حقيقتها، وأن يقدر لها أقاتها تقدير العالم البصير لن يعود على الدعوة الإسلامية إلا بالبوار؛ لأن ذلك يستعدي الأعداء الأقوياء على المسلمين الضعفاء الذين لا يتولاهم الله ما داموا مقيمين على هذا الكذب والهراء، ثم هو غش للمسلمين؛ لأنه ينفخ فيهم غرورا قد رأينا عاقبته

في بلاد الإسلام.

بل نقول: الحمد لله الذي أيقظنا، إلا أننا في أول الفطنة ما أحوجه إلى إرشاد، على عوج في المتابعة ما أحوجه إلى سداد، فنحن كصبي عطشان قد فرح به أبواه لنباهته فتركاه يروي عطشه بيده، لم يُؤمّن عليه أن يتناول السم الزعاف، أو سقيه ماءً زُلالاً دون روية في رعاية إذن لأوشك أن يَشْرَق. والذي نعتقده بصراحة تامة أن أكثر المرشدين اليوم على غير الجادة السلفية إذ أشعروا أمتهم هذه - التي لا تزال عليها غيبوبة المستيقظ من نومه - أن مشكلتها سياسية وهي لم ترفع بعدُ قدميها عن سرير النوم، فإذا بها تُدعى للعدو إلى سرير الملك، في بهرج لا يترك لها عقلاً تفكر به، ويا لها من جريمة! لأنها تحريف لها عن معرفة الداء، فكيف الاهتداء إلى الدواء؟! ويا لها من مصيبة!! لأنها صد عن سبيل الله المتمثلة في تعلم الكتاب والسنة وتعظيمهما والاحتفاء بمجالس أهلها، إلى تعلم السياسات العصرية والعكوف على مصادرها من إعلام مرئي ومسموع، وجرائد ومجلات: الصدق فيها ممنوع، حتى إنه ليمضي على من دثاره الكتاب والسنة، وشعاره الفيديو ومجلة البيان

والسنة، يومه بل أسبوعه بل ربما شهره لا يجد وقتا ولا شوقا إلى آية من الكتاب، واسأله - إن شئت - منذ كم لم يرفع الغبار عن الصحيحين على حين عدم غفلته عن جريدة اليوم بل وخبر الحين!! والأمر لله.

ولا تسارع إلى إنكار هذا لأنني ما جئتك بعلم حتى تناقشه وإنما هو خبر الواقع!

روى أبو نعيم في الحلية (١) بإسناده عن رجل من أشجع قال: " سمع الناس بالمدائن أن سلمان (أي الفارسي) في المسجد فأتوه فجعلوا يثوبون إليه حتى اجتمع إليه نحو من ألف، قال: فقام فجعل يقول: اجلسوا، اجلسوا، فلما جلس فتح سورة يوسف يقرؤها، فجعلوا يتصدعون ويذهبون حتى بقي في نحو من مائة، فغضب وقال: " الزخرف من القول أردتم؟ ثم قرأت كتاب الله عليكم ذهبتم؟! "

قلت: لعل اختيار سلمان لسورة يوسف دون غيرها لما فيها من معاني القناعة بقصص كتاب الله دون ما تصبو إليه النفوس من حكايات وأحاجي، وهو قول الله: { تَخُنُّ نَفْسٌ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ }، واقتداءً بالنبِيِّ حين سئل قصصاً غير قصص القرآن فتلى عليهم ما أنزل الله عليه من هذه

السورة^(١) ، وكذلك فعل عمر^(٢) حين رأى من أقبل
على كتاب فيه عجائب الأولين^(٢) ، فرضي الله عنهم
جميعاً؛ ما أشدَّ حرصهم على الهدى النبوي!

¹ () انظر هنا ص (196).
² () رواه ابن الضريس في ((فضائل القرآن)) (88)
والخطيب في ((الجامع)) (1490)، وهو في
((تاريخ عمر)) لابن الجوزي ص (145).



السياسة لغةً : " هي القيام على الشيء بما يُصلحه " (1).

قلت: ومنه قول أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: " تزوّجني الزبير وماله في الأرض ما ... فكنتُ أعلف فرسه، وأكفيه مؤنته، وأسوسه، وأدقُّ النوى لناضحه ... حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك خادماً فكفّنتني سياسةً الفرس، فكأنما أعتقني " (2)، ولذلك كتب ابن الجزار القيرواني في إصلاح شئون الصبيان والمحافظة على طبيعة أجسامهم وطبّها مؤلفاً أسماه ((سياسة الصبيان وتديبرهم)) ؛ لأن لفظة (السياسة) مشتقة من " السُّوس بالضم: الطبيعة والأصل والخلق والسجية " (3).

ومن هذا المعنى العام أخذ المعنى الخاص الآتي وهو: " من السوس، وهي الرياسة، وفي الحديث: « كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياءهم » (4) أي

1 () « لسان العرب » لابن منظور بتحقيق علي شيري (6/429).

2 () « الطبقات الكبرى » لابن سعد (8/182) وصحّحه الحافظ في « الإصابة » (4/224).

3 () « تاج العروس » للزبيدي (16/155).

4 () متفق عليه.

يتولى أمرهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية" (١).
 وأما المعنى الشرعي: " فالسياسة
 الشرعية هي تدبير الشئون العامة للدولة
 الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح ودفع
 المضار مما لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها
 الكلية، وإن لم يتفق وأقوال الأئمة
 المجتهدين" (٢).

قلت: فهي تُعنى بأحكام الإمارة والقضاء وأحوال
 الوزارات وتدوين الدواوين وإنفاذ الجيوش وغيرها
 مما تراه مفصلاً في مثل « غياث الأمم » للجويني،
 و« الأحكام السلطانية » للماوردي وكذا لأبي يعلى
 الفراء،

و« التراتيب الإدارية » لعبد الحي الكتاني وغيرهم ..
 ولا شك في وجوبها شرعاً وعقلاً، لأن أمور الناس لا
 تنضبط إلا بإمام عادل كان أو جائراً، قال ابن حبان
 البستي - رحمه الله -: " وأنشدني ابن زنجي
 البغدادي للأفوه الأودي:

لا يُصلح الناسَ فوضى لا سِراة لهم ولا سِراة
 إذا جهّالهم سادوا
 والبيت لا يُبتنى إلا بأعمدة ولا عماد إذا

١ () « النهاية » لابن الأثير (2/421).

٢ () « السياسة الشرعية » لعبد الوهاب خلاف ص (

لم تُرسَ أوتادُ
فإن تَجَمَّعَ أوتادُ وأعمدةُ وساكنُ أدركوا الأمر
الذي كادوا
تُهدَى الأمور بأهل الرأي ما صلحت فإن تَوَلَّتْ
فبالأشْرار تنقادُ

وذكر قبلها الحكمة المشهورة: **سلطان غشوم
خير من فتنة تدوم** ^(١). قال ابن تيمية: " يجب أن
يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين
بل لا قيام للدين والدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم
مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا
بد لهم عند الاجتماع من رأس ... إلى أن قال: لأنَّ
الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر، ولا يتم ذلك إلا بالقوة والإمارة، ولهذا روي:
(أن السلطان ظل الله في الأرض) ^(٢) ويقال:

(ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة بلا
سلطان) والتجربة تبين ذلك ^(٣) ، ولهذا كان السلف

¹ () « روضة العقلاء » ص (270).

² () هو في « صحيح سنن الترمذي » للألباني
مرفوعاً.

³ () هذه العبارة من الكلمات السلفية التي لو كان
شيء منها وحيًا لكانت هذه منه؛ ومن عاش أيام
الأمن والرخاء في الجزائر، ورأى الفتن التي
تموج بالناس اليوم كموج البحر أدرك مغبة
الخروج على الحكام؛ فقد ظهرت دولة في دولها

كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسلطان ... فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله؛ فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها

واستحزَّ القتل في المسلمين بيد عمياء، واستغل الشيوعيون الوضع للتخلص من بعض المخلصين، واندفع الشباب البريء إلى الهيجاء اندفاعاً مجنوناً بسبب فتاوى رُويَّضات هذا الزمن، وانتعش الكفر عند ذوي النعرة البربرية بسبب تسلط علي بن حاج لسانه عليهم بحق وبباطل! مع أن الله يقول في المشركين: { **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** }، ولعله لولم يدخل معهم في صراع حزبي لذكر فقه هذه الآية، ولكن (الكرسي ...)؟! وترى الواحد يمرّ بنقطة التفتيش العسكرية فلا يدري ما يقول؛ لأنها قد تكون من الحكومة وقد تكون من الثوار! كما لا يأمن عندها على أهله؛ فقد سُيِّت النساء المسلمات من قبل جماعته التي ربَّأها: (جماعة التكفير)، واغتُصبت الأموال باسم الغنائم، ومنعوا السلفيين من الدعوة بزعم " أننا في رهج الموت وأنتم لا تزالون في (حدِّنا)؟!!!"، وغلت الأسعار حتى تضاعفت عشرين مرة في كثير من الضروريات، وفُرِضت على الشعب ضرائب ثقيلة بسبب 4545 النكسة الاقتصادية، وأثقل منها الأرواش

حال أكثر الناس لابتغاء الرئاسة أو المال بها " (١) .
 ولا تستوحش من قول خلاف السابق: " .. وإن
 لم يتفق وأقوال الأئمة المجتهدين "؛ فإن المقصود
 به أن السياسة الشرعية ليست حكراً على الأئمة
 المتقدمين، بل لا بأس من أن يجتهد العالم المتبحر
 من أولي الأمر فيما يجدُّ للأمة من نوازل بالقيود
 السابقة، ولذلك قال: " فالسياسة الشرعية
 على هذا هي العمل بالمصالح المرسله؛ لأن
 المصلحة المرسله هي التي لم يقم من الشارع
 دليل على اعتبارها أو إلغائها " .

وهو الأمر الذي نقله ابن القيم عن ابن عقيل
 نقل المقر وهو قوله: " فإن أردت بقولك : (لا
 سياسة إلا ما وافق الشرع) أي لم يخالف ما نطق
 به الشرع فصحيح، وإن أردت ما نطق به الشرع

التي تفرضها عليه الجماعة الإسلامية المسلحة
 باسم الإنفاق في سبيل الله! ومَن لا يستجيب
 لهم من الأغنياء فالقتل موعده! وهدموا الجسور
 والمباني الهامة وقطعوا الطرق التي بذل فيها
 الشعب أنفس أمواله ... فاجتمع الجوع والخوف
 كما قال الله تعالى: { فَأَدَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسِ
 الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } . وهذه
 هي بركة التحزب!

١ () « السياسة الشرعية » ص (176-178) بتحقيق

فغلط وتغليط للصحابة؛ فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والمثل ما لا يجده عالم بالسير، ولو لم يكن إلا تحريق المصاحف كان رأياً اعتمدوا فيه على مصلحة ...⁽¹⁾

ولذلك قال ابن نجيم: " وظاهر كلامهم أن السياسة فعل شيء من الحاكم لمصلحة يراها، وإن لم يرد بهذا الفعل دليل جزئي"⁽²⁾.

لكن مع تقادم الزمن نزل بالناس حوادث لم يعرفوها من قبل، فاستفتى الولاة فقهاء التقليد، فأغلقوا عليهم باب الاجتهاد، وحزّموا على أنفسهم النظر فيما لم تذكره المذاهب، فاضطر الولاة إلى الاجتهاد فيما يعنُّ لهم من جديد بحق وبباطل، وزهدوا في علماء الشريعة؛ ظناً منهم قصور الشريعة عن فتح مغاليق فتن العصر، ثم تمادى بهم الأمر حتى أعرضوا عما أنزل الله من آيات بيّنات، وتحاكموا إلى الرأي إما جهلاً وإما ظلماً، وتجرأ أراذل الناس على الشرع حتى حُرّف كثيرٌ منه.

وأدهى وأمرّ منه أن قوماً من جهال المتديّنين في هذا الزمان أرادوا أن يُعالجوا هذا الانحراف فضاقت عليهم منهج النبيين وسبيل المؤمنين حتى

1 () « إعلام الموقعين » (4/372).

2 (47) « البحر الرائق » (5/11).

اعتمدوا النظم الغربية الكافرة للوصول إلى الحكم بما أنزل الله زعموا! كالولوع باللعبة الديمقراطية ودخول البرلمانات، والاتكاء على الغطاء للضغط على الحكومات؛ فتارة يدعون أن الأمر في ذلك مصلحة مرسله والشريعة مرنة! وتارة يدعون أنهم مضطرون إليها وقلوبهم لها كارهة!! فما زالت بهم هذه السياسة حتى استحسنوا الكذب والسباب، واستمروا الخيانة والمكر بالأحزاب، وجرى على لسان العوام أن لا سياسي إلا ذو كذب مرتاب. وهذه المسالك أشد من مخالفات الحكام؛ لأن هؤلاء لا يُقتدى بهم في غالب ديار الإسلام، أما الإسلاميون السياسيون فمحط نظر الخواص والعوام! فما أشد محنتهم للناس!!

وقد نبه ابن القيم على هذا الخلط في معاني السياسة فقال: " هذا موضع مزلة أقدام ومضلة أفهام، وهو مقام صنك ومعترك صعب، فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود وضيعوا الحقوق، وجرؤوا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد، وسدوا على أنفسهم طرقاً صحيحة من الطرق التي يُعرف بها المحق من المبطل، فعطلوها مع علمهم وعلم الناس بها أنها أدلة حق، ظناً منهم منافاتها لقواعد الشرع، والذي

أوجب لهم ذلك نوعٌ تقصير في معرفة الشريعة والتطبيق بين الواقع وبينها، فلما رأى ولاة الأمر ذلك وأن الناس لا يستقيم أمرهم إلا بشيء زائد على ما فهم هؤلاء من الشريعة فأحدثوا لهم قوانين سياسية ينتظم بها مصالح العالم، فتولد من تقصير أولئك في الشريعة وإحداث هؤلاء ما أحدثوه من أوضاع سياستهم شرُّ طويل وفساد عريض، وتفاقم الأمر حتى تعدَّ استدراكه، وأفرط فيه طائفة أخرى فسوّغت منه ما يُناقض حكم الله ورسوله ... ولا نقول إن السياسة العادلة مخالفة للشريعة الكاملة، بل هي جزء من أجزائها وباب من أبوابها، وتسميتها (سياسة) أمر اصطلاحى، وإلا فإذا كانت عَدْلًا فهي من الشرع^(١).

قلت: هذه المرونة المشروعة في سياسة الخلق يمكن التمثيل لها بما رواه الشعبي قال: قال زياد: " ما غلبني أمير المؤمنين (أي معاوية) بشيء من السياسة إلا ببابٍ واحدٍ: استعملتُ رجلاً فكثر خراجه، فخشيتُ أن أعاقبه، ففررتُ إلى معاوية، فكتبت إليه: إنَّ هذا أدب سوء لمن قبلي، فكتب إليّ: إنه ليس ينبغي لي ولا لك أن نشؤس الناس بسياسة واحدة؛ أن نلين جميعاً فتمرح الناس في المعصية،

أو نشتدّ جميعاً فنحمل الناسَ على المهالك، ولكن
تكون للشدة والفظاظة، وأكون للين والرّافة^(١).
قلتُ: هذه السياسة التي فاق بها معاوية ١ زياداً
هي التي مكّنته من أن يحكم أهل الشام أربعين
سنة في وُدِّ تامِّ كما ذكر أهل التاريخ.

¹ () رواه ابن أبي شيبة (92/11-93)، وانظر له
طريقين آخرين في « الفوائد والأخبار » لابن دريد
برقم (24)، و« لباب الآداب » لأسامة بن منقذ ص
(52).



قائمة:



المشكلة

هذه مجرد تنبيهات سريعة، وإلا فحديثي هنا منصبٌ على شروط مَنْ يتصدَّى للفتيا في النوازل السياسية، وأخصُّ من هذه الشروط شرطاً واحداً؛ لأنَّه الأهم، ولأنَّ جلَّ العاملين في هذا الميدان لا يراعونه، قال ابن القيم

- رحمه الله -⁽¹⁾: "العالم بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة فهو المجتهد في النوازل"⁽²⁾، فهذا النوع الذي يسوغ لهم الإفتاء ويسوغ استفتاؤهم ويتأدى بهم فرضُ الاجتهاد، وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»⁽³⁾.

¹ () «إعلام الموقعين» (4/212).

² () قال الشيخ بكر أبو زيد: "يراد بالنوازل: الوقائع والمسائل المستجدة والحادثة المشهورة بلسان العصر باسم النظريات والظواهر"، «فقه النوازل» (1/8).

قلت: ويقال لها في بعض المصادر (حوادث) جمع حادثة، كما سيأتي.

³ () رواه أبو داود وهو صحيح.

قلت: أي بلوغ درجة الاجتهاد كما قال الماوردي:
 " العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام"⁽¹⁾
 ، وقال الشاطبي: " بل إذا عرضت النوازل روجع
 بها أصولها فوجدت فيها، ولا يجدها من ليس
 بمجتهد، وإنما يجدها المجتهدون الموصوفون في
 علم أصول الفقه"⁽²⁾.

فتدبر هذا العلم! وتدبر هذه الدقة التي لو
 حرص الإسلاميون على تحقيقها لصانوا هذا
 الدين من عبث حدثاء الأسنان.

ويشبهه قول محمد الأمين الشنقيطي - رحمه
 الله - في شروط الإمام: " أن يكون ممن يصلح أن
 يكون قاضياً من قضاة المسلمين، مجتهداً يمكنه
 الاستغناء عن استفتاء غيره في الحوادث"⁽³⁾.
 وقد مثل ابن رجب لهذا بالإمام أحمد - رحمهما
 الله -؛ فقد بين وجه استحقاقه لمنصب الفتوى في
 الحوادث - أي النوازل - بأن وصفه ببلوغ النهاية في
 معرفته بالقرآن والسنة والآثار، فمن القرآن:
 ناسخه ومنسوخه، ومقدمه ومؤخره، وجمعه في
 تفسيره من أقوال الصحابة والتابعين الشيء
 الكبير. ومن السنة: حفظه لها، ومعرفته بصحتها

1 () « الأحكام السلطانية » ص (6).

2 () « الاعتصام » (1/361).

3 () « أضواء البيان » (1/67).

من سقيمها، ومعرفته بالثقات من المجروحين، وبطرق الحديث وعلله، ليس في المرفوع منه فحسب، بل وفي الموقوف منه! وبفقهه. وبعلم الأئمة: ذكر أنه عُرض عليه عامّة أقوالهم ... إلى أن قال: " ومعلوم أنّ مَنْ فَهَمَ عِلْمَ هَذِهِ الْعُلُومِ كُلِّهَا وَبَرَعَ فِيهَا، فَأَسْهَلُ شَيْءٍ عِنْدَهُ مَعْرِفَةُ الْحَوَادِثِ وَالْجَوَابِ عَنْهَا، عَلَى قِيَاسِ تِلْكَ الْأَصُولِ الْمَضْبُوتَةِ وَالْمَأْخُذِ الْمَعْرُوفَةِ، وَمِنْ هُنَا قَالَ عَنْهُ أَبُو ثَوْرٍ: كَانَ أَحْمَدُ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ كَانَتْ عِلْمَ الدُّنْيَا لَوْحٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، أَوْ كَمَا قَالَ ⁽¹⁾ .

قلت: فأَيُّ هؤلاء الذين ابتدعوا اليوم (فقه الواقع) - لِيُسْقِطُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ - تَرَوْنَهُ قَدْ بَلَغَ فِي الْعُلُومِ هَذِهِ الْغَايَةَ، حَتَّى جَعَلْتُمُوهُ فِي نَوَازِلِ السِّيَاسَةِ لَكُمْ آيَةٌ؟!

لقد كان أحمد - رحمه الله - يُفتي في الحوادث وينهى تلامذته عن ذلك؛ قال ابن رجب: " وأما عِلْمُ الْإِسْلَامِ - يَعْنِي الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ كَمَا فَسَّرَهُ هُوَ فِي كِتَابِهِ الْمَذْكُورِ ص (46) - فَكَانَ يُجِيبُ فِيهِ عَنِ الْحَوَادِثِ الْوَاقِعَةِ مِمَّا لَمْ يَسْبِقْ فِيهَا كَلَامٌ؛ لِلْحَاجَةِ إِلَى ذَلِكَ، مَعَ تَهْيِيهِ لِأَصْحَابِهِ أَنْ يَتَكَلَّمُوا

¹ () من كتابه المطبوع باسم ((الرّدُّ على من اتبع غير المذاهب ...)) ص (39-44).

في مسائل ليس لهم فيها إمام" (١) .
 ومن كلام ابن القيم السابق تعلم أن رجوع
 الشباب اليوم في النوازل السياسية إلى الحركيين
 والمتكوّنين على موائد المجلات ووسائل الإعلام
 والمتخرّجين من خلايا المخيمات - مهما زعموا أنهم
 متحرّرون من قيود غابر المذاهب أو متضلعون
 بأسرار ما يعاصرون من المذاهب - مصادمٌ لهذه
 النصوص التي أوردتها عن هؤلاء الأعلام، وأن
 المعتمّمين من مقلّدة المذاهب غير داخلين في قول
 ابن القيم: (الذين يسوغ استفتاؤهم ويتأدّي بهم
 فرض الاجتهاد ...) مهما (تَدَكَّرُوا)؛ لأنّ المقلّد غير
 المجتهد، بل المقلّد هو الجاهل! كما هو معلوم من
 كتب أصول الفقه؛ قال الخطيب البغدادي: " ...
 حتى يجد طريقاً إلى العلم بأحكام النوازل
 وتمييز الحقّ من الباطل، فهذا ما لا مندوحة
 للمفتي عنه، ولا يجوز له الإخلال بشيء منه
 (٢) " .

ولهذا كان من الأهمية بمكان أن يُميّز طالبُ
 العلم أهلَ الفتوى في هذا الميدان من غيرهم ممّن

1 ((المصدر السابق)) ص (48)، وانظر ((مناقب
 الإمام أحمد)) لابن الجوزي ص (231) و((صفة
 الفتوى)) لابن حمدان الحراني ص (30).

2 ((الفقيه والمتفقه)) (2/330).

تسوّروا المحراب، أو دخلوه من غير هذا الباب؛ فقد كان سلفنا الصالح على دراية تامّة بذلك؛ قال أبو حاتم الرازي - رحمه الله -:

" مذهبنا واختيارنا اتّباعُ رسول الله ﷺ وأصحابه والتّابعين ومَن بعدهم بإحسان ... ولزوم الكتاب والسنة والذبّ عن الأئمة المتّبعة لآثار السلف، واختيار ما اختاره أهلُ السنة من الأئمة في الأمصار، مثل مالك بن أنس في المدينة، والأوزاعي بالشّام، والليث بن سعد بمصر، وسفيان الثوري وحمّاد بن زيد بالعراق، مِن الحوادث ممّا لا يوجد فيه رواية عن النبي ﷺ والصحابة والتّابعين، وتزك رأي المُلبّسين المُمَوّهين المزخرفين الممخرفين الكذّابين!"^(١)

إذاً فقد بان لذي بصيرة الطّالب للحقّ من يسوغ استفتاؤه في هذا.

فمالكم - يا شباب الإسلام! - تتهافتون على السياسة، وتهوي إليها أفئدتكم، وتأتون مجالسها من كل فجٍّ عميق، كأنها لكم! ولعل رجالها لم يخلقوا بعد في أوساطكم؟! فأولى لكم: تعلّم ما في الكتاب والسنة مما تقدرون عليه ويجب عليكم

¹ () ذكره عنه اللالكائي في ((شرح أصول الاعتقاد)) (323).

أو يُستحب؛ لأنه أثبت لاستقامتكم وأضمن لوصولكم إلى ما قفزتم إليه الآن، قال الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا}.

ولما أضحى العملُ السياسي - الذي يؤمّه الشبابُ اليوم - مطيِّبَةً للولوع به إلى العنف المسمّى زوراً جهاداً، ولما كان هؤلاء - أنصافُ المتعلِّمين - يهجمون بلا تردّد ولا تحفُّظ على البحث في دقائق مسائل الجهاد، أجدني حينئذ حريصاً على نقل كلمة عظيمة لابن تيمية - رحمه الله - قالها في معرض كلامه عن الجهاد، فقال: " وفي الجملة فالبحث في هذه الدقائق من وظيفة خواص أهل العلم " (١).

وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: « سيأتي على الناس سنوات خدّاعات، يُصدّق فيها الكاذب، ويكذّب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرُّويضة »، قيل: وما الرويضة؟ قال:

« الرجل التافه يتكلم في أمر العامة » رواه ابن ماجه وهو صحيح.

قال أبو شامة: " وأكثر ما أُتي الناس في البدع

1 ((منهاج السنة)) (4/504).

بهذا السبب؛ يُظَنُّ في شخص أنه من أهل العلم والتقوى، وليس هو في نفس الأمر كذلك، فيَرمقون أقواله وأفعاله، فيَتَّبِعُونَهُ في ذلك، فتفسد أمورهم؛ ففي الحديث عن ثوبان ؓ أن النبي ﷺ قال: « إِنَّ مِمَّا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الْأَيْمَةَ الْمُضَلِّينَ » أخرجه ابن ماجه والترمذي وقال: هذا حديث صحيح، وفي « الصحيح » أن النبي ﷺ قال: « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، وَحَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جَهَالاً، فَسُئِلُوا فَأُفْتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا »، قال الإمام الطرطوشي - رحمه الله -: فتدبَّروا هذا الحديث؛ فإنه يدلُّ على أنه لا يُؤْتَى النَّاسُ قَطُّ مِنْ قِبَلِ عُلَمَائِهِمْ، وَإِنَّمَا يُؤْتَوْنَ مِنْ قِبَلِ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ عُلَمَاؤُهُمْ أَفْتَى مَنْ لَيْسَ بِعَالِمٍ، فَيُؤْتَى النَّاسُ مِنْ قِبَلِهِ، قال: وقد صرَّفَ عمر ؓ هذا المعنى تصرِيفاً فقال: (ما خان أمين قط، ولكن ائتمن غير أمين فخان)، قال: ونحن نقول: ما ابتدع عالم قط، ولكن استفتي من ليس بعالم فضلَّ وأضلَّ، وكذلك فعل ربيعة؛ قال مالك: بكى ربيعة يوماً بكاءً شديداً،

ف قيل له: أمصيبة نزلت بك؟ فقال: (لا! ولكن
استفتي من لا علم عنده وظهر في الإسلام
أمر عظيم)⁽¹⁾ ⁽²⁾.

قلت: وعلى هذا كان هدي السلف؛ قال هشام
بن عروة: " ما سمعتُ أبي يقول في شيء قطُّ
برأيه، قال: وربما سئل عن الشيء فيقول: هذا

¹ () رواه الفسوي في ((المعرفة والتاريخ)) ()
1/670) والخطيب في ((الفقيه والمتفقه)) ()
(1039).

² () ((الباعث على إنكار البدع والحوادث)) ص ()
(175_179).

قلت: لقد قلت لنائب علي بن حاج: الهاشمي
سحنوني في مسجد صلاح الدين بحي بلكور في
العاصمة - وهو يستعدُّ لأول مظاهرة لجبهته -: "
قد سألتنا العلماء: الشيخ الألباني والشيخ ابن باز
عن حكم المظاهرة، فمنعها، فمن أئمتكم في
هذا الشأن؟ فقال: " كما لكم علماء، فلنا علماء! "

قلتُ: من هم؟ قال: " عبد الرحمن عبد الخالق
ومحمد قطب!!".

فتأمل - أخي القارئ! - هذا الذي لا يُفترق بين
عالم وحالم! وبين فقيه ومفكر حائر!! فكيف لا
يبكي ربيعة - رحمة الله عليه -!؟

ومن ثمارهم تعرفونهم؛ فقد قُتل في هذه
المظاهرة مئات!!

وَمِنْ خَالصِ السُّلْطَانِ^(١) .
 وَقَالَ ابْنُ هَرْمَزٍ: "أَدْرَكْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، وَمَا فِيهَا
 إِلَّا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَالْأَمْرُ يَنْزِلُ فَيَنْظُرُ فِيهِ
 السُّلْطَانُ"^(٢) .

فَمَنْ هُوَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ لِذَلِكَ إِذْنٌ؟ قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي
 الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ} فَهُوَ لَيْسَ عَالِمًا فَقَطْ، بَلْ
 مَبْسُوطٌ لَهُ فِي الْعِلْمِ! قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "لَا يَزَالُ
 النَّاسُ صَالِحِينَ مَتَمَاسِكِينَ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ
 مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ أَكَابِرِهِمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ
 مِنْ أَصَاغِرِهِمْ هَلَكُوا"^(٣) .

¹ () رواه ابن عبد البر في ((الجامع)) (2059-
 الزهيري).

² () المصدر السابق (2061).

³ () أسنده ابن المبارك في ((الزهد)) (1/281)
 وعبد الرزاق (11/249، 257) وابن الأعرابي في
 ((معجمه)) (926) والطبراني (9/8589 - 8592)
 والخطيب في ((الفقيه والمتفقه)) (776) وابن
 عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (1059)
 و(1060- الزهيري) والهروي في ((ذم الكلام)) ق
 (138- ب)، وهو صحيح؛ لأنه جاء في إحدى هذه
 الطرق من رواية سفيان عن أبي إسحاق
 السبيعي، وهو أثبت الناس فيه، كما في
 ((تهذيب الكمال)) (22/109)، وتابعه جمْعٌ. وذكر
 ابن حجر في ((الفتح)) (13/301- 302) أنه رواه

وقال الشعبي - رحمه الله -: " ما جاءك من أصحاب محمد ﷺ فخذها، ودع عنك ما يقول هؤلاء الصعافقة "، قيل الصعافقة: الذين يدخلون السوق بلا رأس مال، أراد الذين لا علم لهم⁽⁴⁾. وعلى هذا كان أصحاب رسول الله ﷺ؛ ألا ترى كيف لم يختلفوا في تولية أبي بكر ﷺ إلا في جلسة واحدة تحت سقيفة، الأمر الذي لا تعرفه الديمقراطيات علما لرغم من أنها مدعومة بالحديد، واختاروا أبا بكر لأنه كان كما جاء وصفه في حديث أبي سعيد قال: " وكان أبو بكر أعلمنا " متفق عليه.

وقد كان رسول الله ﷺ لا يشاور في القضايا السياسية إلا أبا بكر وعمر ومن هم على مستواهما، وما قصة أسرى بدر عنكم ببعيد.

ومما يدل على أن أهل العلم المبرزين كان لهم مجلس خاص بهم لا يشاركون فيه غيرهم ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم لِمَ يدخل

قاسم بن أصبغ في ((مصنفه)) بسند صحيح عن عمر نحوه.

قلت: وهو عند اللالكائي في ((شرح أصول الاعتقاد)) (101).

4 () « شرح السنة » للبغوي (1/318).

هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: " إنه ممن قد علمتم ".

وإنما امتاز ابن عباس بالدخول على المجتهدين دون غيره من الشباب لتميزه عنهم بدعاء الرسول ﷺ: « اللهم فقّهه في الدين وعلمّه التأويل » رواه أحمد وهو صحيح. قال ابن القيم: " ودعا النبي ﷺ لعبدالله بن عباس أن يُفقّهه في الدين ويُعلّمه التأويل، والفرق بين الفقه والتأويل: أن الفقه هو فهم المعنى المراد، والتأويل إدراك الحقيقة التي يؤول إليها المعنى التي هي أخبث وأصله، وليس كل من فقه في الدين عرّف التأويل، فمعرفة التأويل يختص به الراسخون في العلم " (1).

قلت: تأمل هذا تفهم سبب عدم الاكتفاء في أمر السياسة بالعلم، بل لا بدّ من الرسوخ فيه، ومن عرّف من الشباب تأويل ابن عباس لسورة النصر - كما في تمام قصة عمر السابقة - عرّف هل يصلح لهذا الأمر أو لا؟

وروى البخاري عن ابن عباس قال: كنتُ أُقريء رجلاً من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب

1 () « إعلام الموقعين » (1/332) ط. دار الجيل.

الذين يغلبون على قريك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لا يَغُوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكنا، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها"، فقال عمر: "أما والله - إن شاء الله - لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة ...".

فما أعظم هذه المشورة! وما أقواه من مجتمع عرف مقادير الأشياء! وأين هذه التربية والنظر الحصيف من قوم يذيعون كل خبر عند العوام والخواص، خاصة منها الأخبار السياسية التي فتنت الناس اليوم، يتحدثون عنها في حماسة كبيرة كأنهم يستغيثون بالخلق من ظلم الخلق، لا تراه عليهم وهم يقررون التوحيد ويدفعون الشرك. وهل كان عمر يجمع الناس ويقول لهم: اجمعوا لي قصاصات الجرائد، وأنا أحللها لكم علانية، في شجاعة تامة، لا أخاف حاكما ولا طاغوتا؟!!

كلا! لا يتصور هذا في عمر الذي زجره النبي ﷺ زجرا شديدا عن تتبع صحائف أهل الكتاب، فعن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ

بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبي ﷺ فغضب قال:

« أُمَّتَهُوَّ كُون فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَابِ؟! ^(١) ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بِيضَاءَ نَقِيَّةٍ، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فَتَكْذِبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتَصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي » رواه أحمد وغيره وهو صحيح.

ثم ألا تذكرون قصة الشورى في اختيار الخليفة من بعد عمر؟ ألم يكن الصحابة أكثر من عشرة آلاف؟ فلم يزد الأمر على أن تشاور ستة من أعيانهم فقط. وشبابنا اليوم يريدون من كبار المشايخ أن يخرجوا من الكتب الصفراء ليشاركوا أمتهم أحزانها زعموا، يريدون منهم أن يكونوا تحت ضغط الاستفزات السياسية، ألا فهاكم كلمة حكيمة للشيخ ابن عثيمين - حفظه الله - لما سأله بعض المستعجلين في جرأة سخيصة: لماذا لا تردون على الحكام وتبينوا ذلك للناس؟

قال الشيخ في وقاره وحلمه: " .. ولكن النصح مبدول ... والله! أنا أعلمك يا أخ (فلان!) وأعلمتُ

¹ () " التَّهْوُّوكَ كَالْتَهْوُّورِ، وَهُوَ الْوُقُوعُ فِي الْأَمْرِ بِغَيْرِ رُوبَةٍ، الْمَتَهْوُّوكُ: الَّذِي يَقَعُ فِي كُلِّ أَمْرٍ. وَقِيلَ: هُوَ التَّحِيرُ، كَذَا فِي « النِّهَايَةِ » لِابْنِ الْأَثِيرِ (5/282).

الإخوان أن بيان ما نفعله مع الولاة فيه مفسدتان:
المفسدة الأولى: أن الإنسان يَخشى على نفسه من الرياء، فيبطل عمله.

المفسدة الثانية: أن الولاة لو لم يُطيعوا صار حجة على الولاة عند العامة فثاروا، وحصل مفسدة أكبر^(١).

فتأملوا هذا الجواب الحكيم فإنه مستوحى من جواب بعض السلف حيث طلب منه بعض الثائرين أن ينكر على الخليفة عثمان بن عفان ، ففي الصحيحين عن أسامة بن زيد أنه قيل له: ألا تدخل علي عثمان لتكلمه؟ فقال: " أترون أنني لا أكلمه إلا أسمعكم؟ والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه ". وفي رواية: " إنني أكلمه في السر ".

ومثله ما رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: " دخلتُ على حفصة ونسواتها تنطف، قلت: قد كان من أمر الناس ما تَرَيْن، فلم يُجعل لي من الأمر شيء، قالت: إلحق فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعُهُ حتى ذهب، فلما تفرَّق الناسُ خطب معاوية

¹ () من شريط « أسئلة حول لجنة الحقوق الشرعية » في موضعين منه.

قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحقُّ به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلأ أجبتة؟ قال عبد الله: فحللتُ حَبُوتِي وهممت أن أقول: أحقُّ بهذا الأمر منك مَنْ قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيتُ أن أقول كلمة تفرِّق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عني غير ذلك، فذكرتُ ما أعدَّ الله في الجنان، قال حبيب بحفظت وعصمت .

قلت: يظهر من هذه الرواية راحة عقل ابن عمر رضي الله عنهما وسياسته الرشيدة؛ حيث منَّعته مصلحة اجتماع الأمة على رجل واحد من ذكر مصلحته الخاصة، على الرغم من أن معاوية كان يقصده بكلمته تلك؛ كما في رواية عبد الرزاق بسند البخاري نفسه، قال الراوي: "يُعَرِّضُ بعبد الله بن عمر" (1)، ثم لا بدُّ من التنبيه على أنه جاء في « أمالي ابن الأنباري » زيادة بالسند الآتي، قال الراوي: حدَّثنا محمد ثنا أبو بكر ثنا موسى بن محمد الخياط (2) ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن هزيل بن شرحبيل قال: "خطب الناس معاوية فقال: لو بايع

1 () « المصنف » (5/465).

2 () ترجم له ابن عساكر في « تاريخ دمشق » عند حرف الميم.

الناسُ عبداً مجدِّعا لتبعثهم، ولو لم يبائعوني برضاهم ما أكرهتُّهم، فنزل، فقال له عمرو بن العاص: قد قلتَ قولاً ينبغي أن تأمَّله، فرجع إلى المنبر فقال ... " بنحوه ^(١) .

قلت: فيفهم من هذه الرواية أن معاوية قال كلمة تواضع في وقت اشتداد الفتن - أيام صفين كما نبه عليه الحافظ - الأمر الذي يتنافى مع سياسة الأمة بالحزم سدًّا لأبواب الشر، ولذلك لما نبهه عمرو بن العاص ^(٢) غير اللهجة، وهذا - بغض النظر عن قضية صفين - هو الذي تقتضيه السياسة؛ فقد نصَّ بعض الفقهاء على أن سلوك السياسة هو الأخذ بالحزم ^(٢)، وعند بعضهم أن السياسة شرعٌ مغلظ ^(٣)، والله أعلم.

أذكركم بهذا لتعلموا أن شيوخ السلفية لا يتخطون خطى السلف، فليعرف لهم قدرهم من للحق انتصف.

فيا شباب الإسلام! توعية الأمة ليست بحاجة إلى داعية متحمس ولكن إلى مجتهد متفرس. فهل آن لكم أن تفرقوا بينهما؟

¹ () « مجلس من أمالي ابن الأنباري » ص (25).

² () انظر « الإنصاف » للمرداوي (10/250).

³ () انظر « معين الحكام » لعلاء الدين الطرابلسي ص (164)، و« حاشية ابن عابدين » (4/15).

وأن تعرفوا أن فقه الواقع راجع إلى الذين شابت رؤوسهم مع نصوص الشارع، إنكم بجرأتكم هذه على أهل العلم واستصغاركم لهم واستخفافكم العملي بالوحيين وحملتهما، وتعظيمكم المدهش لحملة قصاصات الجرائد لنذير شر مستطير قال الله تعالى : { وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا }.

وتأملوا ما رواه البخاري عن ابن عباس " أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس (في وفاة رسول الله ﷺ)، فقال : اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فقال اجلس، فأبى أن يجلس، فتشهد أبو بكر ﷺ، فمال إليه الناس وتركوا عمر ". تركوا عمر - وما أدراك ما عمر! - لأنهم وجدوا أفضل وأعلم من عمر، وبرباطة جأش أبي بكر، وبحسن استماع الرعية، وبعدهم عن الحماسة التي لا تدعمها النصوص عُرف مصدر التلقي، فخدمت الفتنة في مهدها.

فلماذا زهدتم في المشايخ الكبار الذين أفنوا أعمارهم مع العلم تعلُّماً وتعليماً مع جَلَدٍ في الدعوة إلى الله أمثال الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين والشيخ الفوزان وغيرهم، ومِلْتَم إلى

(طلبة العلم !!) أول خطئهم التشبّع بما لم يعطوا حين عُتُوا بالتوجيه السياسي، وقد كفاهموه هؤلاء، لولا أنه قد قيل ويا بئس ما قيل: (علماؤنا .. عندهم تقصير في معرفة الواقع .. نحن نستكملهم) !!

وحتى الشيخ الألباني الذي ظل رَدْحًا من الزمن مَنَّهُما بما اتَّهم به إخوانه من المذكورين، رَقَّوهُ اليوم وأوصلوه بصف فقهاء الواقع، لكن على حذر شديد جدا؛ لأنه لا يزال عندهم محدِّثًا فقط، ولذا لم يبلغ رتبة فقيه الواقع

- عندهم - بفقهاء، ولكن بفتواه في قضية الخليج التي وقعت في الوقت المناسب على قلوب تهواها، لا لدليلها، ولكن لتهييجها السياسي. ومثل هذا حب بعض الإخوان المسلمين لابن تيمية والإشادة بفضله، لا باعتبار عقيدته وفقهه وجهاده العلمي؛ لأن هذا لا يهتمون به إن لم يقفوا في وجهه، لكن فقط لأنه وقف في صف الجهاد ضد التتار فتأمل هذا الولاء السياسي المحض، وقل لا حول ولا قوة إلا بالله.

ولو حضرت حلقات الشيخ ابن باز - حفظه الله - لبيكيت لنفرة الشباب

(الواعي !!) منها، وهو من هو علما وسمتا ووقارا، ثم هم يزدحمون على الدروس العاطفية

والسياسية التي تنفخ ولا تربى وإن ربت ففي حدود البنود الحزبية؛ ذلك لأنهم يجهلون أن الشيخ وأمثاله يقدمون دروسهم على ذلك النمط لأنه منهج عرفوه من سيرة الرسول ﷺ، أقصد ما قاله بعض السلف: " الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره " - كما يأتي بيانه قريبا فيما رواه البخاري -، وهؤلاء يقولون: (يقدم علما جافا) ويقصدون جفافه من تزويقات قُصاص هذا الزمان والكلمات المنمقة المؤنثة التي يبهرجون بها سترا لعورتهم العلمية، وتغريرا بالسذج إلى بدعتهم الحزبية، والحقيقة أنه هو العلم لو وجدوا له صبرا.

لقد عقد البخاري - رحمه الله - في « صحيحه » في " باب العلم قبل القول والعمل " (1) مقارنة بين ابن عباس وأبي ذر رضي الله عنهما يبين بها معنى (الرباني) في قوله تعالى: { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ } بين فيه أن أبا ذر ﷺ كان يذيع كل خبر يَعْلَمُه من رسول الله ﷺ خوف كتمان العلم، وقد لا يراعى في ذلك

1 () « الفتح » (1/193) وما بعدها من الطبعة الجديدة.

مستوى الناس أو قدرتهم على التحمل. وأما ابن عباس فخلاف ذلك.

قال - رحمه الله -: " وقال أبو ذر: لو وضعت الصَّمْصامة⁽¹⁾ على هذه - وأشار إلى قفاه - ثم ظننت أنني أنفذ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تُجيزوا علي لأتخذتها.

وقال ابن عباس: (كونوا ربانيين) حكماء فقهاء، ويقال الرباني: الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره " . اهـ من « صحيح البخاري » .

قال ابن حجر: " وهذا التعليق رُوينا موصولا في مسند الدارمي وغيره من طريق الأوزاعي: حدثني أبو كثير - يعني مالك بن مرثد - عن أبيه قال: أتيت أبا ذر وهو جالس عند الجمرة الوسطى وقد اجتمع الناس يستفتونه، فأتاه رجل فوقف عليه ثم قال: ألم تُنه؟ فرفع رأسه إليه، فقال: أرقب أنت علي؟ لو وضعت ... فذكره مثله. وروينا في الحلية من هذا الوجه، ويُن أن الذي خاطبه رجل من قريش، وأن الذي نهاه عن الفتيا عثمان⁽²⁾ .

1 () الصَّمْصامة: هي "السيف القاطع"، « لسان العرب » بتحقيق علي شيري (7/414).

2 () هو في ((الحلية)) لأبي نعيم (1/119)، وصححه ابن حجر في ((المطالب العالية)) (3051)، وزاد

وقد ذكر ابن حجر أيضا في موضع آخر فقال بعد ذكر الخلاف بين أبي ذر وجمهور الصحابة في كنز المال عن شداد بن أوس أنه قال: " كان أبو ذر يسمع من رسول الله ﷺ الحديث فيه الشدة ثم يخرج إلى قومه، ثم يرخص فيه النبي ﷺ فلا يسمع الرخصة، ويتعلق بالأمر الأول ."

وقال مالك: " اعلم أنه ليس يسلم الرجل حدّث بكل ما سمع، ولا يكون إماما أبدا وهو يحدث بكل ما سمع " رواه مسلم في مقدمة « صحيحه ».

قلت: ولعله السر في قول النبي ﷺ لأبي ذر: « يا أبا ذر، إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمّرَنَّ على اثنين، ولا تَوَلِّينَ مال یتیم » رواه مسلم. قال الذهبي: " وقد قال النبي ﷺ لأبي ذر - مع قوة أبي ذر في بدنه وشجاعته -: « يا أبا ذر! إني أراك ضعيفا ».

فهذا محمول على ضعف الرأي؛ فإنه لو ولي مال یتیم، لأنفقه كله في سبيل الخير، ولترك الیتیم فقيرا. فقد ذكرنا أنه كان لا يستجيز ادّخار النقدين. والذي يتأمّر على الناس، يريد أن يكون فيه حلم ومداراة، وأبو ذر ﷺ كانت فيه حدّة - كما ذكرناه - فنصح النبي ﷺ " (1).

الخلاصة

لما كان لا يُفتي في السياسة إلا العالم المجتهد،
كان لا يمارس السياسة إلا هو، قال الشاطبي -
رحمه الله -: " فإذا بلغ الإنسان مبلغاً فهمَ عن
الشارع فيه قَصْدَه في كل مسألة من مسائل
الشريعة، وفي كل باب من أبوابها، فقد
حصل له وصفٌ هو السبب في تنزُّله منزلة
الخليفة للنبي ﷺ في التعليم والفتيا والحكم
بما أراه الله " (1).

وقال الشافعي - رحمه الله -: " ولا يشاور إذا
نزل المشكل إلا أميناً عالماً بالكتاب والسنة
والآثار وأقاويل الناس والقياس ولسان
العرب " « مختصر المزني ».

قال ابن الصباغ في الشامل: " اعتبر الشافعي
أن يكون الإمام من أهل الاجتهاد؛ لأنه إذا لم يكن
من أهل الاجتهاد فلا قول له في الحادثة " (2).
وقال الشاطبي: " إنَّ العلماء نقلوا الاتفاق
على أنَّ الإمامة الكبرى لا تنعقد إلا لمن نال

1 () « الموافقات » (106/4-107).

2 () نقلًا عن « الاجتهاد » للسيوطي ص (62).

رتبة الاجتهاد والفتوى في علوم الشرع^(١) .
قلت: وهذا الاتفاق لا يضره وجود المخالف؛ لأنَّ
من خالف فقد شرط الاجتهاد فيمن يستفتيه الإمام
كما قال الشهرستاني: " ولكن يجب أن يكون معه
من يكون من أهل الاجتهاد فيراجعه في الأحكام^(٢) .
فعاد الأمر إلى اشتراط الاجتهاد سواء في
الإمام نفسه أو فيمن يرجع إليه الإمام من الفقهاء.
وقال ابن حمدان الحرّاني: " المجتهد المطلق
وهو الذي ذكرناه آنفا إذا استقلَّ إدراكه للأحكام
الشرعيّة من الأدلّة العامة والخاصة، وأحكام
الحوادث
منها...^(٣) .

1 () « الاعتصام » (2/126).

2 () « الملل » (1/160).

3 () « صفة الفتوى » (16).





من تدبر آيات الكتاب الكريم في كل حديث عن الخلفاء الشرعيين - ونحن نحب أن تكون الخلافة لفقهاء الشريعة ولأريب - يجد أن الله ما ذكر أحدا منهم إلا وصفه بالعالم المحيط بفنون الشريعة؛ فآدم ﷺ أول من ساس البشر، ميّزه الله عن الملائكة بالعلم حتى كانت الخلافة له دونهم، ومهما اختلف المفسرون في كلمة {خَلِيفَةٌ} التي في أول سورة البقرة، فإنه لا ينتفي عنها معنى السلطان، وهذا الذي أشار إليه ابن تيمية حين قال: " في الخلافة والسلطان وكيفية كونه ظلّ الله في الأرض، قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}، وقال الله: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}، وقوله: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} يعمّ آدم وبنيه، لكن الاسم متناول لآدم عينا، كقوله: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} ... " (1)، ولهذا قال القرطبي - رحمه الله -: " هذه الآية أصل في نصب

إمام وخليفة يُسمَع له ويطاع ... " (١).

¹ () « تفسير القرطبي » (1/264)، وانظر أضواء البيان (1/58).

قال الله تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ
الْخَوْفِ أَدَّأَوْا بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى
أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ
إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: 83].

هذه الآية في بيانها الواضح أصل في هذا الباب،
قال الشيخ عبد الرحمن السَّعدي: " هذا تأديب من
الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم
إذا جاءهم أمر من الأمور المهمَّة والمصالح العامة
ما يتعلَّق بالأمن وسرور المؤمنين أو بالخوف الذي
فيه مصيبة، عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة
ذلك الخبر، بل يردُّونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر
منهم أهل الرّأي والعلم والنّصح والعقل والرّزانة
الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدّها،
فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين
وسرورا لهم وتحريزا من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن
رأوا ما فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرتّه
تزيد على مصلحته لم يذيعوه، ولهذا قال: {لَعَلِمَهُ
الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} أي يستخرجونه بفكرهم
وآرائهم السّديدة وعلومهم الرّشيدة. وفي هذا دليل
لقاعدة أدبيّة وهي إذا حصل بحث في أمر من

الأمر ينبغي أن يُؤلَّى من هو أهل لذلك ويُجعل من أهله، ولا يُتقدَّم بين أيديهم فإنَّه أقرب إلى الصَّواب وأحرى للسلامة من الخطأ وفيه النَّهي عن العجلة والتَّسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر



إِنَّ الذي دعاني إلى عقد هذا الفصل هو أنني رأيت كثيراً من المغرضين يرمون الشيخ ابن باز والشيخ الألباني والشيخ ابن عثيمين بالإرجاء؛ لأن هؤلاء فسَّروا آية الحكم بغير ما أنزل الله على التفصيل المعروف عند السلف، ولم يُكفِّروا مطلقاً⁽¹⁾، ولأنهم يمنعون الخروج على الحكام الظلمة من المسلمين ما لم يروا كفراً بواحاً، بل ولو رأوا كفراً بواحاً منعه أيضاً إذا كانت المصلحة الشرعية والقدرة تتيان عن ذلك ... وأقول:

1- إِنَّ القول بالخروج السابق هو مذهب المرجئة؛ فقد روى ابن شاهين عن الثوري أنه قال: " اتَّقُوا هذه الأهواء المضلَّة! "، قيل له: بَيْنَ لَنَا رَحْمَتُ اللَّهِ! فقال سفيان: " أما المرجئة فيقولون ... "، وذكر شيئاً من أقوالهم، إلى أن قال: " وَهُمْ

¹ () انظر - إن شئت - هنا التعليق على منهج محمد قطب في هامش ص (109 - 122)؛ واقرأ لزاماً كتاب ((التحذير من فتنة التكفير)) للأئمة الثلاثة المذكورين أعلاه، في طبعته التي حقَّقها الأخ علي حسن الحلبي؛ فإنه نفيس.

يَرُونَ السيفَ على أهل القبلة! " (1).

وروى أيضاً أنه قيل لابن المبارك: ترى رأي الإرجاء؟ فقال: " **كيف أكون مرجئاً؛ فأنا لا أرى السيف؟! ..** " (2).

بل روى الصابوني بإسناده الصحيح إلى أحمد بن سعيد الرباطي أنه قال: قال لي عبد الله بن طاهر: " يا أحمد! إنكم تبغضون هؤلاء القوم (يعني المرجئة) جهلاً، وأنا أبغضهم عن معرفة؛ أولاً **إنهم لا يَرُونَ للسلطان طاعة ...** " (3).

قلت: ألا تدلّ هذه النصوص دلالة واضحة على أنهم هم المرجئة على الحقيقة، وأن أئمتنا المذكورين آنفاً براءً من ذلك. ولا عجب حينئذ أن ينشأ الإرجاء على أعقاب الخروج؛ قال قتادة: " **إنما حدث الإرجاء بعد فتنة ابن الأشعث** " (4).

1 () رواه في ((الكتاب اللطيف)) (15) واللالكائي في ((شرح أصول الاعتقاد)) (1834).

2 () رواه أيضاً في ((الكتاب اللطيف)) برقم (17).

3 () ((عقيدة السلف أصحاب الحديث)) (109).

4 () رواه عبد الله بن أحمد في ((السنة)) (644)

والخلال في ((السنة)) (1230) وابن الأعرابي في

((معجمه)) (714) وأبو القاسم البغوي في

((الجعديات)) (1061) وابن بطة في ((الإبانة))

(1235) واللالكائي في ((شرح أصول الاعتقاد))

ومن الأدلة على إرجائهم أيضاً:

2- ترك الاستثناء في الإيمان وما يتبعه،

وإن زعم بعضهم - بلسانه - أنه على مذهب السلف،
 ألا تراهم يقولون: (الشهيد حسن البنا .. الشهيد
 سيّد قطب ..)، ولو قيل لهم: إن كان وُصفهم
 بالشهادة واجباً حركياً ما لكم منه بدٌّ فاستثنوا
 بقولكم - على الأقل -: (إن شاء الله)؛ فقد عقد
 البخاري

في كتاب الجهاد من ((صحيحه)) باباً في ذلك
 فقال: " **باب لا يُقال فلان شهيد** "، وذكر الأدلة
 على ذلك، قلتُ: وقد طُلب منهم هذا مراراً
 فاستنكفوا؛ وقالوا إنما أنتم في الجهاد تطعنون،
 وللمخابرات العالمية مُسَخَّرُونَ!!

وهذا الاستنكاف عن الاستثناء هو أصل الإرجاء؛
 قال عبد الرحمن بن مهدي - رحمه الله -: " **أصل
 الإرجاء ترك الاستثناء** " (1).

(1841) وهو حسن؛ فإنَّ محمد بن الفضل الملقب
 بعارم قد تابعه أبو عامر العقدي.

¹ () رواه الخلال في ((السنة)) (1061)، والآجري
 في ((الشريعة)) ص (139)، وابن بطة في
 ((الإبانة)) (1188) وبنحوه رواه ابن شاهين في
 ((الكتاب اللطيف)) (16)، واللالكائي في
 ((شرح أصول الاعتقاد)) (1835)، وهذا الأثر لا
 يضرُّه الانقطاع الظاهر؛ لأنه قد جاء نحوه موصولاً

3- ثم عوداً على بدء فأقول: إن المرجئة الأولين
 أتوا من قِبَلِ تعظيمهم الإيمانَ واستهانتهم
 بالمعاصي؛ فاستبعدوا لذلك أن يحبط الإيمان
 بالذنوب، فقالوا: " لا يضرُّ مع الإيمان ذنب! "،
 فمن تمَّ كان ضلالهم. وأما هؤلاء

- اليوم - فأتوا من قِبَلِ تعظيمهم السياسة؛ وكل
 من كان معهم في حركتهم فهو صاحب الولاء، ولا
 يضرُّ مع الفقه الحركي ذنب، ولو كان هو
 الشرك برَبِّ العالمين!!! ألا ترى كيف يسقط
 أقطابهم والمُنْتَظَرُونَ لهم في العظام ولا
 يُحَرِّكُونَ ساكناً غيرَةً على الدين؟! إنما
 غيرتهم على حزبهم وحركتهم!! ألا ترى كيف
 يُقيمون الدنيا ولا يُقعدونها إن سمعوا الشيخ عبد
 العزيز والشيخ الألباني يقولان بترك المواجهة
 الدموية مع اليهود ريثما يتقوى المسلمون؟! وهي
 فتوى من مجتهدين حقيقةً. وأما إذا أخطأ
 مُحَرِّكُوهم، فإنَّ الواجب الحركي عندهم غضُّ
 الطرف عنهم مهما كانت شناعتهما، وما أكثر ما
 يُفْتُونَ في الدماء والأعراض والأموال فيُهدِرُونها!
 مع أنهم لو بلغوا درجة طلبية العلم لكان هذا أحسن

بالسند الصحيح عند الطبري في ((تهذيب الآثار))
 (1519)، ودُكر نحوه عن سفيان، انظر ((الحلية))
 لأبي نعيم (7/33) و((الأباطيل)) للجوزجاني (42).

الظنُّ بهم!

- فهذا علي بن حاج يُفتي بقتل آلاف من المسلمين وبتشريد بقيتهم ويُروِّع بلداً آمناً، ويقول ما يقول من الإشادة بالمذهب الديمقراطي وغير ذلك مما نقلته عنه قَبْلُ، مع ذلك فلا ينتقده - عندهم - إلا عميلٌ!!

- ويطعن من قَبْلُه سيِّدُ قطب في بعض أنبياء الله تعالى، ويطعن في جمع من الصحابة المشهود لهم بالجنة، ويرى السياسة الشرعية متمثلة في المذهب الاشتراكي الغالي، وغيرها من الدواهي التي بيَّنها الشيخ ربيع المدخلي في كتبه الأخيرة، وقد قال الألباني: " حامل لواء الجرح والتعديل في هذا العصر: الشيخ ربيع " ، وهذه شهادة من متخصص⁽¹⁾!

- ويجيء الترابي بدولة الإسلام المزعومة في السودان ليُنظِّم مؤتمرات لوحدة الأديان وليُشيد بدين القبوريين وليُشيدَّ عددا كبيرا من الكنائس ما كانت تحلم به أيُّ دولة علمانية من قبله.

- ويقوم للأفغان كيان في دولتهم، فلا يغيرون من

1 () من تسجيلات طيبة بالمدينة النبوية بعنوان: منهج الموازنات برقم: (86)، نقلاً عن ((المحجَّة البيضاء)) للشيخ ربيع المدخلي ص (15)، ط. الثالثة.

دين القبورية والخرافة شيئاً! بل يقتلون أهل التوحيد دفاعاً عن طواغيتها! وما مؤامرتهم على ولاية كثر الإسلامية عنا ببعيد! مع أن هذه القرية هي الوحيدة في أفغانستان التي أقيم للتوحيد فيها صرحه، وتقام فيها الصلاة أحسن إقامة وكذا الحدود الشرعية، ولا تُعرَف هناك بلدة تُحارب فيها المخدّرات مثلها ... فجاءت دولة (الإخوان) لا تألوهم خبالاً؛ حتى خربوها واغتالوا أميرها الشيخ السلفي: جميل الرحمن - رحمه الله - ... فجمعوا بين أكبر الكبائر على الإطلاق وهي: الشرك وقتل النفس بغير حقّ ...

كل هذا وغيره كثير جداً! ولا يضُرّ إيمانهم! ولا يُسقط إمامتهم!! بل الويل لمن يفكر في انتقادهم؛ لأنه يطعن في مصداقية الجهاد!! بل أمّلوا - مع هذه المخازي والبدع المكفّرة - أن تكون الدولة الإسلامية المنشودة هي التي في أفغانستان والسودان!! كما في شريط سلمان العودة: « لماذا يخافون

من الإسلام؟ ». وليس الأمر كذلك؛ لأن الله تعالى قال: { ليس بآمانيّكم

ولا آمانيّ أهل الكتاب من يعمل سوءاً يُجرّ به ولا يجذّ له من دون الله وليّاً ولا نصيراً } .

فلذلك عدّهم بعض أهل العلم من غلاة
 المرجئة؛ لأن المرجئة عظّموا الإيمان وهو أصل
 الدين، وأما هؤلاء فعظّموا جزءاً من جزئيات الدين؛
 ألا وهو السياسة، مع العلم بأن سياستهم هذه لا
 تعدو أن تكون مزيجاً من الاشتراكية والديمقراطية؛
 كما هو معلوم عند من اطّلع على كتب سيّد قطب
 وغيره ممن هو على شاكلته، بل قلّ باختصار: هي
 الفقه الحركي المبتدع، والمرجئة لم
 ينفوا تضرّر صاحب الإيمان بشرك يرتكبه، بل
 اعترفوا بأنه لا ينفع مع الكفر
 حسنة، وأما هؤلاء فهم شافعون لأئمتهم ولو قالوا
 بالكفر الصريح كما
 سبق!!!

4- هذا الأصل تبعه أصل آخر عند المرجئة، ألا
 وهو عدم بيان السنة للناس، مع ترك الرّدّ على
 المبتدعة؛ قال ابن تيمية - رحمه الله - بعد كلام له
 عن أهل التكفير: " وبإزاء هؤلاء المكفّرِين بالباطل
 أقوامٌ لا يَعْرِفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما
 يجب، أو يَعْرِفون بعضه ويجهلون بعضه، وما
 عرفوه منه قد لا يُبَيِّنونه للناس بل
 يكتُمونه⁽¹⁾، ولا ينهون عن البدع المخالفة

1 () كبعض (الإخوان المسلمين) الذين تربوا في

للكتاب والسنة⁽¹⁾، ولا يذمّون أهل البدع
 ويعاقبونهم⁽²⁾، بل لعلهم يذمّون الكلام في
 السنة وأصول الدين ذمًّا مطلقاً⁽³⁾ .. أو
 يُقَرُّون الجميع على مذاهبهم المختلفة⁽⁴⁾ ...
 وهذه الطريقة قد تغلب على كثير من

بيئة سلفية، لكن حزبيتهم تنهاهم عن بيان العقيدة
 السلفية وتأميرهم بالتمذهب وتنهاهم عن إطلاع
 الناس عما في المذاهب الأخرى من السنة؛ لأن
 ذلك يُفَرِّق الصف حسب فلسفتهم!

1 () انظر كلام حسن البنا في ((مذكرات الدعوة
 والداعية)) ص (64-65) حول ضرورة السكوت
 عن الخلاف المعروف في المسائل العقدية مثل
 حلقات أهل الطرق الصوفية والتوسل بالصالحين
 ودعاء المقبور ...! ليقول في آخرها: " وهذه
**المسائل اختلف فيها المسلمون مئات
 السنين، وما زالوا مختلفين! والله تبارك
 وتعالى يرضى منا بالحبّ والوحدة!!** "

2 () ك (الإخوان) الذين قالوا: نذمّ البدعة ولا نذمّ
 صاحبها! ونكره البدعة ولا نكره صاحبها!!

3 () ك (الإخوان) الذين قالوا: الكلام في السنة
 قشور! والكلام في أسماء الله الحسنى وصفاته
 فلسفة ومضيعة للوقت!!

4 () ك (الإخوان)؛ فإنك **بِحَسْبِهِمْ جَمِيعاً
 وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**؛ إذ فيهم الصوفي على اختلاف
 طرقهم، والأشعري والماتريدي والرافضي
 والجهمي والمعتزلي ... وسلوا علي بن حاج: لماذا

المرجئة وبعض المتفهمة والمتصوِّفة
والمتفلسفة ... وكلا هاتين الطريقتين (أي
المكفِّرة والمرجئة ومن معهم) منحرفة
خارجة عن الكتاب والسنة ^(١).

ولا يَخْتَلِفُ اِثْنَانُ أَنْ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْسِ الَّتِي
يُرْتَكِزُ عَلَيْهَا دِينُ الْحَرَكِيَّةِ؛ وَهَلْ تَمَّ أَحَدٌ يُنْكِرُ
مَقُولَتَهُمْ: (لِيَعْذِرَ بَعْضُنَا بَعْضًا فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ،
وَلِنَعْمَلَ فِيمَا اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ!!)، وَقَدْ بَيَّنَّتْ - فِي هَامِشٍ
قَرِيبٍ - مِنْ كَلَامٍ حَسَنٍ الْبِنَا أَنَّهُمْ يَعْنُونَ الْاِخْتِلَافَ
بِإِطْلَاقٍ! قَالُوا هَذَا؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ أَخَذُوا يُنْكِرُونَ عَلَى أَهْلِ
الْبِدْعِ لَضَيَّعُوا أَكْثَرَ مَتَبَوِّعِيهِمُ الَّذِينَ يَمُدُّونَهُمْ فِي
الْغَيِّ!

لم يُنْكِرْ عَلَى الطَّرْقِيِّينَ فِي مَدِينَةِ أَدْرَارٍ وَقَدْ نَزَلَ
بِسَاحَتِهِمْ لِلدَّعَايَةِ الْاِتِّخَايِيَّةِ، وَسَمِعَ مِنْهُمْ مَا يَمَسُّ
جَنَابَ التَّوْحِيدِ؟! وَكَذَا اجْتِمَاعُهُمْ بِالْإِبَاضِيَّةِ بِمَدِينَةِ
غَرْدَايَةِ؟! فَإِنَّ هِدَايَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ
الإِمَارَةِ الَّتِي صَرَفْتُمْ إِلَيْهَا وَجُوهَكُمْ؛ أَلَيْسَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: (())
(())
1 ((مجموع الفتاوى)) (12/467)، وانظر ((بدائع
التفسير)) لابن القيم (5/458).



ثم لم يقف هذا عند أهل البدع، بل تعدّاه إلى أهل الكفر؛ فقد سبق أن نقلتُ في ص (220) كلام (الإخوان) في رضاهم بأخوة النصارى لهم بل ومطالبتهم بذلك! كما نقلتُ كلام حسن البنا في ص (221)، والقرضاوي ص (222) في أنه لا خصومة دينية بيننا وبين اليهود!! فماذا بعد هذا؟! فهذه أربعة أصول وافقوا فيها المرجئة، فأَيُّ الناس أحقُّ بوصف الإرجاء؟! أليس يصدق فيهم قول القائل: رمتني بدائها وانسلت؟! والأمر لله.

عَرَفَ الْمُتَقَدِّمُونَ فِقْهَ الْوَاقِعِ بِاسْمِ () فِقْهِ
 الْنَفْسِ (١) ، وَبَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ فُرُوقٌ جَوْهَرِيَّةٌ
 تَتَجَلَّى مِنْ كَلِمَةِ ذَهَبِيَّةٍ لِابْنِ الْقِيمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - حَيْثُ
 يَقُولُ: " وَلَا يَتِمَّكَنُّ الْمُفْتَى وَلَا الْحَاكِمُ مِنَ الْفَتْوَى إِلَّا
 بِنَوْعَيْنِ مِنَ الْفَهْمِ:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط
 علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات
 حتى يحيط به علما.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع،
 وهو فهم حكم الله الذي حَكَمَ بِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَى
 لِسَانِ رَسُولِهِ فِي هَذَا الْوَاقِعِ، ثُمَّ يَطَّبَّقُ أَحَدُهُمَا عَلَى
 الْآخَرِ، فَمَنْ بَذَلَ جَهْدَهُ وَاسْتَفْرَغَ وَسْعَهُ فِي ذَلِكَ لَمْ
 يُعَدَمْ أَجْرَيْنِ أَوْ أَجْرًا، فَالْعَالِمُ مَنْ يَتَوَصَّلُ بِمَعْرِفَةِ
 الْوَاقِعِ وَالتَّفَقُّهِ فِيهِ إِلَى مَعْرِفَةِ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ،
 كَمَا تَوَصَّلَ شَاهِدُ يَوْسُفَ بِشَقِّ الْقَمِيصِ مِنْ دَبْرٍ إِلَى

1 () انظر « الطرق الحكمية » لابن القيم بتحقيق
 بشير عيون ص (4) و« المنحول » للغزالي ص ()
 462-464)، وبفقه النفس وصف الذهبي عمر بن
 عبد العزيز كما في « السير » (5/120).

ومن سلك غير هذا أوضاع على الناس حقوقهم،
ونسبه إلى الشريعة التي بعث الله بها
رسوله^(١).

ومن خلال هذه الأمثلة وشرح ابن القيم لها يتبين
لك أنه - رحمه الله - يتحدث عن الفراسة التي

تحريف فليصح.

¹ () قال ابن القيم في الطرق الحكيمة ص(7): "

وَشَرَحُ ذَلِكَ أَنَّهُ

...

...

...

...

...

...

...

...

...

...

...

« ... »

...

...

...

...

يُعَرِّجُ عَلَيْهِ - رحمه الله - قط، لأنه ليس عِلْمًا فكيف يكون فقهاً وهو مقدور لكل (حشاش) ونوكي؟! ثم إنني ما زدتُ ههنا على أن نقلتُ كلامه الذي في « إعلام الموقعين » - وهو الذي أخطأوا فهمه - بشرحه له هو نفسه في « الطرق الحكيمة ».

ولذلك صدر ابن القيم كتابه « الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية » بالحديث عن فِراسة الحاكم والقاضي، بل لقد جاء عنوانه في بعض المخطوطات: « الفِراسة المَرُضية في أحكام السياسة الشرعية » فتدبر! ومن كلام ابن القيم هذا أخذت تسمية كتابي، فوصفت القادر على هذا النوع من الفهم بوصفين هما: الاجتهاد والفِراسة⁽¹⁾.

لذا فإن الذي ننعاه على متفقي زماننا في واقع المسلمين ليس هو مجرد الاطلاع على مكايد الأعداء، فهذا شرٌّ لا بدَّ من معرفته، ولكن ننعي عليهم ما يأتي: أ - تأسيسهم الإصلاح على العمل السياسي، وهذا الخطأ وحده كاف لإسقاط منهجهم كله نظراً لمخالفته منهج الأنبياء صلى الله عليهم وسلم، فكيف وقد انضمَّ إليه ما سيأتي.

1 () وذلك لأن اسمه في الأصل كان: « السياسة بين فِراسة المجتهدين وتكيس المراهقين ».

ب - دخولهم في العمل السياسي وإفتاؤهم في قضاياهم وليسوا من أهله قال الله تعالى: { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ } .

ج - ومن ثم أفتياتهم على أهله: العلماء والأمراء، قال الله تعالى: { وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ } .

د - ومن ثم طعنهم في أهله، وهو انحراف واقع، ما له من دافع، لأن صدورهم أضيّق عن تحمّل خلافهم لهم، لو كان لخلافهم اعتبار، ولقد ساءني جدا أن أقرأ جواب سلمان العودة على سؤال مجلة « الإصلاح » الإماراتية عن قضية الخليج، حيث قال: " وأكّدت على أنهم ليسوا على مستوى مواجهة مثل هذه الأحداث الكبيرة، وكشفت كذلك على عدم وجود مرجعية علمية صحيحة وموثوقة للمسلمين بحيث أنها تحصر نطاق الخلاف وتستطيع أن تُقدّم لها حلاً جاهزاً صحيحاً وتحليلاً ناضجاً...!!"⁽¹⁾ .

يَعْلَمُ اللَّهُ أَنِّي كُنْتُ أَعْلَمُ مَا عِنْدَ سَلْمَانَ مِنْ مَزَالِقٍ مَهْلِكَةٍ، لَكِنِّي لَمْ أَتَصَوَّرُهُ يَوْمًا مَا بِهَذَا الْمَسْتَوَى وَالْجَرَأَةَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلَوْ أَخْبَرَنِي بِهِ أَحَدٌ لَكَذَّبْتُ أَوْ تَأَوَّلْتُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ جَازَ لِأَحَدٍ أَنْ يُسْقَطَ

جهود العلماء بل أن ينفي وجودهم لم يجز لسلمان أن يكون فريسته، لأنه يعيش بين ظهرائي هيئة كبار العلماء، التي كثيرا ما يُظهر توقيره لها، فهل هي عنده مرجعية علمية غير صحيحة؟! وهل فتاواها تحليلات غير ناضجة؟! وهل يُعَدُّ الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين غير موثوقين حتى يَعتبر وجودهم كالعدم؟! اللهم إن هذا لظلم عظيم!

هذا وليقل المتعصبون للرجال: لعله لا يقصد ذلك! أو لا بدَّ من قراءة السابق واللاحق! فقد تركنا لكم الوقت لذلك فهل أنتم فاعلون؟ وهذا المزلق انحراف شنيع؛ لأنه :

- إما طعن في العلماء، فقد صحَّ عن عبادة بن الصامت ؓ أن رسول الله ﷺ قال: « ليس من أمتي مَنْ لم يُجَلِّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويَعْرِف لعالمنا حقه » رواه أحمد وغيره وهو صحيح.

- وإما طعن في الأمراء، فلا يزال الأمر بهم يشتدُّ حتى ينكروا عليهم بطريقة الخوارج، التي أول علاماتها التشهير بأخطائهم على المنابر، ونهايتها التي لا مناص منها الخروج عليهم، وفي ذلك مخالفة صريحة للهدي النبوي في الإنكار عليهم، قال ابن أبي عاصم في « كتاب

السنة «: " باب كيف نصيحة الرعية للولاة " ،
 وأسند فيه عن شريح بن عبيد الحضرمي وغيره
 قال: جلد عياض بن غنم صاحبَ دار حين فتحت،
 فأغلظ له هشام بن حكيم القول حتى غضب
 عياض، ثم مكث ليالي فأتاه هشام بن حكيم فاعتذر
 إليه، ثم قال هشام لعياض: ألم تسمع النبي ﷺ يقول:
 « إن من أشد الناس عذاباً أشدهم عذاباً في الدنيا
 للناس »، فقال عياض بن غنم: " يا هشام بن حكيم
 قد سمعنا ما سمعت ورأينا ما رأيت، أو لم تسمع
 رسول الله ﷺ يقول: « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ
 لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ فَلَا يُبْدِ لَهُ عِلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذَ
 بِيَدِهِ فَيَخْلُو بِهِ، فَإِنْ قِيلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ
 قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ »، وإنك يا هشام لأنت
 الجريء إذ تجترىء على سلطان الله، فهلاً خشيت
 أن يقتلك السلطان فتكون قتيل سلطان الله تبارك
 وتعالى؟! " (1)

وحتى لا يعظم عليك أن نسبتُ مخالفتي هذا
 المنهج إلى مسلك الخوارج، فإنني أورد هنا ما رواه
 الترمذي وغيره عن زياد بن كُسيب العدوي قال:
 كنتُ مع أبي بكر تحت منبر ابن عامر، وهو يخطب

(1) انظر « ظلال الجنة في تخريج السنة » للألباني
 رقم (1096) وقد رواه أحمد واللفظ له والحاكم
 وهو صحيح.

وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق، فقال أبوبكرة: اسكت؛ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: « من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله »⁽¹⁾.

قال الذهبي: " أبو بلال هذا هو مرداس بن أدية، خارجي، ومن جهله عدّ ثياب الرجال الرقاق لباس الفساق!"⁽²⁾.

ومثله ما رواه سعيد بن جُمهان قال: أتيتُ عبد الله بن أبي أوفى وهو محجوب البصر، فسلمت عليه، قال لي: مَنْ أنت؟ فقلت: أنا سعيد ابن جمهان، قال: فما فعل والدك؟ قلت: قتلته الأزارقة⁽³⁾، قال: " لعن الله الأزارقة! لعن الله الأزارقة! حدّثنا رسول الله ﷺ أنهم « كلاب النار »، قال: قلت: الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها؟ قال: بلى الخوارج كلها، قال: قلت: فإن السلطان يظلم الناس ويفعل بهم، قال: فتناول يدي فغمزها بيده غمزة شديدة ثم قال: " ويحك يا ابن جمهان! عليك بالسواد الأعظم، عليك بالسواد

1 () صحيح سنن الترمذي « للأباني رقم (1812).

2 () « السير » (14/508)، وكذا في (3/20). قلت: وهكذا سمة الخوارج: جمعوا بين سوء الإنكار، والجهل بالمنكر نفسه؛ أي فساد العلم والعمل.

3 () وهم أتباع نافع بن الأزرق الخارجي ..

الأعظم، إن كان السلطان يسمع منك فأنته في بيته فأخبره بما تعلم، فإن قيل منك وإلا فدَعُهُ؛ فإنك لست بأعلم منه" (1).

فائدة: روى عبدالله بن أحمد بإسناده الصحيح إلى سعيد بن جمهان أنه قال: " كانت الخوارج تدعوني حتى كدتُ أن أدخل معهم، فرأت أخت أبي بلال في النوم أن أبا بلال كلب أهلب أسود، عيناه تذرفان، قال: فقالت: بأبي أنت يا أبا بلال! ما شأنك أراك هكذا؟ قال: جُعِلْنَا بعدكم كلاب النار، وكان أبو بلال من رؤوس الخوارج" (2).

وعلى كل حال فإن مجرد التحريض على السلطان المسلم - وإن كان فاسقا - صنعة الخوارج، قال ابن حجر في وصف بعض أنواع الخوارج:

" والقَعْدِيَّة الَّذِينَ يُزَيَّنُونَ الْخُرُوجَ عَلَى الْأئِمَّةِ وَلَا يَبَاشِرُونَ ذَلِكَ " (3)، وقال عبد الله بن محمد

1 () رواه أحمد (4/382-383) وحسنه الألباني في المصدر السابق ص (508).

2 () « كتاب السنة » رقم (1509)، وقد انقلب اسم أبي سعيد (جمهان) على محقق الكتاب محمد سعيد القحطاني إلى (جمهان)، والصواب ما أثبتته أعلاه، فليتنبه!

3 () « هدي الساري » ص (483) وانظر ((الإصابة)) عند ترجمة عمران بن حطان، و((غراس الأساس

الضعيف: " قَعَدُ الخَوارج هم أَخْبَثُ الخَوارج ^(٤) "

قلت: فأَيُّ الخطباء اليوم سَلِمَ من هذه اللوثة؟! ولاسيما منهم الذين يخطبون من الناس جمهرتهم والشهرة عندهم! فاللهم سلِّم!!

ولذلك قال الشيخ صالح السدلان فيهم: " .. فالبعض من الإخوان قد يفعل هذا بحسن نية معتقداً أن الخروج إنما يكون بالسلاح فقط، والحقيقة أن الخروج لا يقتصر على الخروج بقوة السلاح، أو التمرد بالأساليب المعروفة فقط، بل إن الخروج بالكلمة أشد من الخروج بالسلاح؛ لأن الخروج بالسلاح والعنف لا يُرَبِّيهِ إلا الكلمة فنقول للأخوة الذين يأخذهم الحماس، ونظن منهم الصلاح إن شاء الله تعالى عليهم أن يترثوا، وأن نقول لهم رويدا

((ص (372)، ثلاثتها لابن حجر؛ فإنك واجد في كل منها فائدة زائدة.

⁴ () رواه أبو داود في ((مسائل أحمد)) ص (271) بسند صحيح، قال الحافظ عبد الغني بن سعيد: " رجلان نبيلان لزمهما لقبان قبيحان: معاوية بن عبد الكريم الضال؛ وإنما ضلَّ في طريق مكة، وعبد الله بن محمد؛ وإنما كان ضعيفاً في جسمه لا في حديثه "، كما في ((تهذيب الكمال)) للمزني (16/99)، وقال النسائي: " شيخ صالح ثقة، والضعيف لقب لكثرة عبادته ".

فإن صلفكم وشدتكم تربى شيئاً في القلوب، تربى القلوب الطرية التي لا تعرف إلا الاندفاع، كما أنها تفتح أمام أصحاب الأغراض أبواباً ليتكلموا وليقولوا ما في أنفسهم إن حقا وإن باطلاً.

ولا شك أن الخروج بالكلمة واستغلال الأقلام بأي أسلوب كان أو استغلال الشريط أو المحاضرات والندوات في تحميس الناس على غير وجه شرعي أعتقد أن هذا أساس الخروج بالسلاح، وأحذر من ذلك أشد التحذير، وأقول لهؤلاء: عليكم بالنظر إلى النتائج وإلى من سبقهم في هذا المجال، لينظروا إلى الفتن التي تعيشها بعض المجتمعات الإسلامية ما سببها وما الخطوة التي أوصلتهم إلى ما هم فيه، فإذا عرفنا ذلك ندرك أن الخروج بالكلمة واستغلال وسائل الإعلام والاتصال للتنفير والتحميس والتشديد يُرَبِّي الفتن في القلوب⁽¹⁾.

قال عمر بن يزيد: سمعتُ الحسن - أي البصري - أيام يزيد بن المهلب قال: وأتاه رهطٌ فأمرهم أن يَلْزَمُوا بيوتهم ويُغْلِقُوا عليهم أبوابهم، ثم قال: " والله! لو أنَّ الناس إذا ابتُلُوا من قِبَل

1 () « مراجعات في فقه الواقع السياسي » د/ عبد الله الرفاعي ص (88 - 89).

سلطانهم صبروا، ما ليثوا أن يرفع الله ذلك عنهم؛ وذلك أنهم يَفْرَعُونَ إلى السيف فيوكّلُوا إليه! ووالله! ما جاؤوا بيوم خير قطاً!، ثم تلا: {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} ^(١).

هـ - جهلهم بالطريقة التي تُغربل بها الأخبار، وليس ثم إلا طريقة أهل الحديث، ألا ترى كيف يكتب السلف التاريخ ويُسندون؟ ذلك لأن الله قال: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا}. ولا شك أن أنباء وسائل الإعلام الكافرة أكذب من نبي الفاسق، وهؤلاء يعتمدونها لمعرفة الواقع! فلا يَسْلَمُونَ من شرّ البواقع؛ لأن هذه الوسائل قد سيطر عليها اليهود عليهم من الله الدِّلَّة، وخبر الكافر مردود باتفاق أهل الملة، ومن الغفلة بمكان أن يتصوّر المسلم عدوّه يُهدي إليه مخططاته من خلال نشرات علنية، كما فعل سفر الحوالي في نشرة الأخبار التي جمعها في كتاب أسماه « وعد كيسنجر »، وحسب نشرته علماً!

¹ () رواه ابن سعد (7/164) وابن أبي حاتم في « تفسيره » (3/ق 178- أ - المحمودية) والآجري في « الشريعة » (65- بترقيمي) وبينتُ هناك وجه تحسينه بما لا يتسع له المقام هنا.

وأضاع معها عمراً نفيساً بلا طائل، بل أضاع بها أعمار الغمر من الشباب؛ فقد جاءت تشرُّهُ نُشْرَةٌ تخيب بين طلبة العلم وأهله أصحاب الفضائل، فضلاً عمّا فيها من إغراء الأمراء بالعلماء مما يوقع بينهم وَحْشَةٌ، والتجربة تدلُّ على ذلك⁽¹⁾.

والحق أن الاطلاع على أسرار الكفار من إسرارهم لا من إعلانهم أمر مطلوب من ذوي الاجتهاد، وعلى هذا بَوَّب البخاري في « صححه » لقصة حاطب بن أبي بلتعة آفة الذكر بقوله: " باب من نظر في كتاب مَن يُحَدَّر على المسلمين ليستبين أمره "، فتدبّر الفرق يرحمك الله.

وقد انتقد الشيخُ الألباني قولَ ناصر العمر - وهو

(1) ومما يؤسف له أن يكتب عبد الله الدميحي كتاباً يقرر فيه مذهب الخوارج والروافض والمعتزلة في مسألة الخروج وسماه « الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة! » وأشد منه أسفاً أن يختصر آخر كتاب « غياث الأمم » ويقرر في حاشيته ذلك المذهب المشئوم كما في ص (73-93)، مضيفاً إليه التكفير بطريقة ذاك المذهب نفسه كما في حاشية

ص (40-71)، ثم يقوم سفر الحوالي بتوزيعه علينا - نحن معشر الحجاج - بأعداد هائلة! فهل يريد توسيع دائرة الخروج على الحكام من المملكة السعودية إلى غيرها؟ أم أنهم كتبوا على غلاف الكتاب: (**الطريق إلى الخلافة**) سهواً؟! !!

يعدّد مصادر (فقه الواقع) :- " المصادر السياسية والمصادر الإعلامية، وهي من أهم المصادر المعاصرة، سواء أكانت مسموعة أم مقروءة أم مرئية، من أبرزها الصحف والمجلات والدوريات، نشرات وكالات الأنباء العالمية، الإذاعات، التلفزيون، الأشرطة والوثائق وغير ذلك من الوسائل الإعلامية المعاصرة ". قال أحد الحضور للشيخ: ما رأيك في هذا المصدر؟

قال الشيخ الألباني: " مزالقي! كلنا يعلم أنهم لا ينشرون على العالم الإسلامي إلا ما يكدون به لهم، فكيف يكون هذا سببا لمعرفة الواقع؟! يجب أن يقال: ينبغي أن يكون هناك - يعني ماذا يسمّون؟ - مراسلين مثلا أو إخباريين أو إعلاميين: صحفيين إسلاميين، الذين يدرسون الواقع دراسة في حدود عقيدتهم ودينهم، ولا ينبغي أن نكون عالة كما أنت أشرت، كيف؟ هذا لا يلتقي مع هذا؛ الذي أشرت إليه لا يلتقي مع هذه المصادر الأخيرة التي أشرت إليها! "

فاعترض عليه ناصر العمر بأنه وضع ضوابط لذلك ومحاذير، وذكر منها:
- أولا: الالتزام بالأصول الشرعية والمنطلقات

العلمية والعقلية في وصف الواقع وتوقع النتائج ورؤية المستقبل.

- ثانيا: التثبت في نقل الأخبار وتلقيها، وذكر هذه القضية، وبيّنت هذا الأمر: حسن التعامل وتجنب المخاطر والمزالق، ذكرت أن الأخذ من هذه الأشياء لا بد من هذه الضوابط .

قال الشيخ: " لكن هذا لا يمكن (تضبيطه)، أنت وضعت ضوابط نظرية، لا تتم هذه إلا بالاختراع السابق، هذه (شغلة) الحكومة، وليس بفرد من الأفراد أو جماعة، كما نسمع أن إذاعة لندن ليست إذاعة حكومية، إنما هي الجمعية مثلا أم ماذا يسمونها؟ " فقل له: هي شركات خاصة.

قال الشيخ: " يجب أن يكون هناك إذا ما قامت ما تعهدت الدولة بالقيام بهذا الواجب الكفائي المساعد على فهم فقه الواقع، إذا لم تقم الدولة - وهي أولى وأحق وأقوى من يستطيع أن يقوم بهذا الواجب الكفائي - فيجب أن يكون هناك شركات مؤلفة من أشخاص من الإسلاميين الغيورين، وأن يوظفوا أشخاصا لنقل الأخبار، كما يفعل الكفار، وحينئذ لا نكون نحن عالة في تلقي الأخبار من أعدائنا وخصومنا، ثم نحاول أن نطبق القيد الذي ذكرته أنت. لا يستطيع أي إنسان إذا أراد أن

يتأكد من صحة بعض هذه الأخبار، ما يستطيع أن يتأكد من ذلك؛ لأن مصادرها أجنبية، تماما لو أردنا أن نتأكد من صحة بعض الأخبار في التوراة والإنجيل، ليس عندنا وسيلة لمعرفة الأخبار التي في التوراة والإنجيل: ما هو صحيح مما ليس بصحيح، إلا بمقابلتها بأخبار أهل صدق وثقة و... الخ، فإذا هؤلاء لم يكونوا موجودين ذهبت أدراج من يريد فقه الواقع معرفة حقيقية اعتمادا منه على الأخبار التي تردنا من بلاد الكفر والضلال والفسق والفجور، لا يمكن حينئذ تحقيق ما ألمحت إليه من الثبت، ولذلك (فقه الواقع) هذا الآن نظري، ولا يمكن أن يكون واقعا إلا بإيجاد شركة توظف أناسا لنقل الأخبار بطرق موثوقة ينطبق عليها تماما علم مصطلح الحديث.

قال العمر: إذا لم يوجد هذا يا شيخ، حتى يوجد هذا الأمر؟

قال الألباني: إيه! من الصعب تحقيقه.

قال العمر: ألا نستفيد يا شيخ من بعض ..

قال الألباني: يا شيخ! - بارك الله فيك - لكثرة الأخبار وكثرة المخبرين من الكفار، يضع الباحث بين هذه الأخبار وهذه، ما يستطيع أن يتحقق إلا ما

ندر جدا جدا " (١).

قلت: ولذلك تجد الهدهد وصف نبأه الذي أخبر به سليمان عليه الصلاة والسلام باليقين فقال: {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ يَنْبَأُ يَتَّبِعُهُ يَاقِينٌ}، مع ذلك ومع أن الله سخر لسليمان الجن والحيوان، فإنه لما كان الحيوان مصدرا قاصرا من مصادر التلقي، قال سليمان عليه الصلاة والسلام: {سَتَنْظُرُ أَصَدَقْتُ أُمَّ

١ () من أشرطة « سلسلة الهدى والنور » بعنوان: « فقه الواقع » مناقشة العلامة الألباني للأخ ناصر العمر سنة (1412 هـ).

قال الشيخ محمد بن عثيمين: " ثم إن (فقه الواقع) الذي يقال عنه: إنه (فقه الواقع) يستند على إيش؟ يستند على الصحف والمجلات والإذاعات، وما أكثر الترويج في الصحف والمجلات والإذاعات! **فوسائل الإعلام اليوم لا يمكن الاعتماد عليها**، وربما يكون هناك مخططات سابقة تغيرت الأحوال حتى أصبحت هذه المخططات غير سليمة، وإذا تأمل العاقل فيما جرى من الأحداث خلال عشرين سنة تبين له أن جميع التقديرات التي قُدرت أصبحت غير واقعية، لهذا نرى أن إشغال الشباب عن التفقه في دين الله عز وجل إلى التفقه في الواقع ومطاردة المجلات والصحف والإذاعات وما أشبه ذلك ... نرى أنه خطأ في المنهج ... "، من شريط مسجل باسم: ((لقاء أبي الحسن الماربي مع الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين)).

كُنْتُ مِنَ الْكَاذِبِينَ}، فلا إله إلا الله! ما أعظم هذا المنهج وما أعدله وما أدقه! فاحرص على هذه الدقة التي لست واجدها إلا عند السلفية، لأنها حققت منهج أهل الحديث بجدارة، وليس مجرد انتساب لهم مع تأثر بالغ بمناهج أخرى. وعلى هذا لا لوم على السلفية إذا كانت لا ترفع رأساً بهذه الأخبار التي ملأت أدمغة الشباب اليوم، ولا تطيب بها نفساً ولا تعول عليها، مع التنبيه علأنه قد يستفاد منها بعد تبين صدقها من كذبها، وثبني عليها أحكام بالقرائن التي تحتف بها، لكن تنبه

- أخي القارئ! - تنبه إلى قول الله تعالى: {وما يعقلها إلا العالمون}، أي لا يقدر عليها إلا من جمع الله له بين التضرع بعلم الكتاب والسنة حتى يصير مجتهداً، وبين قوة الفراسة وصدق التوسم كما سبق بيانه⁽¹⁾.

و - ومن ثم اعتمادهم الأخبار المشوهة

1 () وعلى هذا لا تستغرب أن تسمع سفر الحوالي في أيام فتنة الخليج يستدل - بما قرأه في إحدى المجلات الكافرة - من أن الأمريكان يتدربون في صحراء (نيفادا) - على أن ذلك يعني أنهم كانوا يريدون غزو الخليج العربي بدليل أن مناخ تلك الصحراء كمناخ هذا الخليج! وقرر من حينه أن قضية الخليج هي استعمار له!!

والمكذوبة، قال الله تعالى: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ}.

ص - ومن ثم نسبتهم للشريعة السمحة أحكاما جائرة استنبطوها

من الأخبار المشوّهة، قال ابن القيم - رحمه الله -:
" الحكم قسمان: إثبات وإلزام، فالإثبات يعتمد الصدق، والإلزام يعتمد العدل {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} " (1).

ح - تكهّنهم مستقبلاً لأحققة له، وقفّوهم سراب تخميناتٍ لا تختلف عن تخمينات القانونيين المعروفين باسم (الملاحظين السياسيين)؛ فيقال لأحدهم أيام قضية الخليج: ما هو (تكهّنكم!) لمستقبل جزيرة العرب مع وجود القوات الأجنبية؟ فيقول: " أرى أن وعد كيسنجر تحقّق!!"، ويقول: " إنه الاحتلال الذي قرأته من عشر سنوات في مجلة كذا الأمريكية!!".

ويقول آخر: " هذه آخر أيام تطبيق الشريعة الإسلامية، ولن تخرج هذه القوات حتى يطبّق القانون العالمي الجديد في الجزيرة!!".
ويقول آخر: " نحن تحت الاحتلال!!! " ...

1 () « الطرق الحكمية » ص (9).

تَحْكُمُ ليس عليه أثارة من علم إلا الرجم بالغيب،
 قد بان للذكيِّ والغبيِّ تكذيب الواقع لها، فعلامٌ
 يتغافل الأتباع عن محاسبة (شيوخهم) عليها؟!
 وإن هي إلا تخرُّصات تخيلوها إرهاصات.

والأدهى والأمرُّ أنهم لا يزالون يعتمدون عليهم،
 بل لا يَرْضون في السياسة وغيرها إلا بهم، رغم
 كثرة ترهاتهم! فما أشد العصبية العمياء للأشخاص
 على أهلها! وكان الواجب على هؤلاء أن يوظَّفوا
 في دعواتهم هؤلاء قولَ الله تعالى: {وَلَا تَسْتَفْتِ
 فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا}؛ لأنهم كما قال الله عز وجل: {إِنْ
 يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ
 مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى}.

ط - إغراقهم في السياسة إلى حدِّ تعليمها
 وإسنادها إلى عامة الناس، مع أن النبي ﷺ يقول: «
 مِنْ حَسَنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» رواه
 الترمذي وهو حسن.

ولم يقف الأمر عند هذا حتى سمعتُ سلمان
 العودة يُنمي هذا الخطأ إلى سلفنا الصالح، فقد
 قال: " أما في المجال السياسي فالأمر
 معروف: فقد أصبحت الأمة رضيت بألا تفكر
 ولا تنظر ولا تتأمل ولا تدرس المصالح
 والمفاسد، ولا تستخدم عقلها، ولا سمعها لترى

ولا بصرها لتسمع (هكذا)! لأنه كما يتردد وينقل الجميع أن الإنسان يستمتع برحلة ممتعة هادئة هانئة، وقد ترك الأمر لغيره، حتى دون أن يسأل أو يناقش، مع أن الله تعالى جعل الأمة كلها مسئولة، ولم يجعل المسئولية العلمية ولا السياسية ولا الدعوية على شخص واحد... وهذا خطأ؛ لأنه يختصر الأمة - كما ذكرث - في أفراد، والله تعالى قال: { وَأَمْزُهُمْ سُورَى بَيْنَهُمْ } وقال: { وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ }، مع أن الرسول عليه السلام مؤيد من السماء، فالمشاورة فيها تعزيز للعقول، وتنمية للمواهب، وجعل الجميع يشعرون بأن الأمر لهم، وهو شأنهم وقضيتهم، وهذه لكم أنتم وليست لي، وإذا وقع خطأ فتتحمّلونه جميعاً، لن يتحمّله العالم وحده ولا الحاكم وحده ولا الداعية وحده!! "

ويؤكد هذا الخطأ الفادح بقوله: " من الخطورة بمكان - أيها الأحبة! - أن تتمحور الصحوة الإسلامية حول أشخاص، أو أن تتمحور الأمة كلها على أشخاص سواء على الصعيد السياسي أو على الصعيد العلمي أو على الصعيد الدعوي " (1).

1 () شريط « حديث حول منهج السلف » رقم)

ولي على هذا الكلام الخطير ثمان ملاحظات:
 1 - جعل الفروض الكفائية فروضا عينية حين
 أنكر على الأمة - بلا استثناء - عدم المشاركة في
 السياسة والعلم والدعوة، والذي يدل على أنه
 ليس سبق لسان، وإنما هو منهج له أنه أكدّه
 بتكراره أولاً، وباستعمال أسلوب التأكيد ثانياً حين
 قال: " مع أن الله تعالى جعل الأمة كلها مسئولة ...
 "

قلت: وقد وجدتُ عند العلامة الشيخ عبد الله بن
 حميد - رئيس مجلس القضاء في وقته وكذا
 المجمع الفقهي رحمه الله - كلمةً مختصرة كافية
 في ردّه على كاتب في جريدة « القصيم » بتاريخ ()
 8/5/1381 هـ) حيث قال: " وأما قولكم : (لا بد
 أن يكون لنا كلمة في شئون ديننا، وأن الدين
 للجميع، وليس وقفاً على أحد دون الآخر) فهو كما
 تفضلتم، ولكن لم يقل أحد بذلك، ولا أظن أن
 يقال هذا"⁽¹⁾.

قلت: لو عاش الشيخ ابن حميد إلى زمننا هذا
 لوجد الكثير ممن تتابع على هذا الذي استغربه؛ فقد
 قال عبد الرحمن عبد الخالق: " .. وأنه لا بد لكل

مسلم أن يَنخرط في عمل سياسي ينصر الدين!!⁽¹⁾

لكن صدق الشيخ ابن حميد - رحمه الله! -؛ فإنه لا يُعلم أحد من العقلاء سبقه هو وسلمان وعبد الرحمن إلى هذا فضلاً عن أهل العلم! خاصة في هذه المجالات الثلاثة الخطيرة، التي أجمع أهل العلم على عدم فرضها على الأعيان، وإليك بيان ذلك في إلماعة سريعة؛ لأن مظانها لا تخفى على صغار طلبة العلم:

- أما السياسة: فقد بيَّنتُ أدلة حصر ممارستها في أولي الأمر: العلماء والأمراء، فلا أعيده.

- وأما العلم: فقد نصَّ الله تعالى بأنه لم يفرض طلبه إلا على طائفة من المسلمين، أما الآخرون فيكفيهم أن يَعلموا منه ما يقيمون به دينهم وديناهم، قال الله عز وجل: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا تَفَرَّ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ

¹ () من « المسلمون والعمل السياسي » ص (76)، ولا يُستغرب هذا الوضوح في الانحراف من عبد الرحمن، لكن الذي يُستغرب هو انطلاؤه على كثير من قراء كتابه هذا! ولقد كان صدوره أول شيء شدَّ به عليُّ بن حاج أزره! وأول شيء شجَّعه على إظهار ما كان يُخفيه عن السلفيين!! وأخذ يومها يلقي منه دروسه!!

لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا
إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}.

قال القرطبي: " وفي هذا إيجابُ التفقه في
الكتاب والسنة وأنه على الكفاية دون الأعيان
(١)"

- أما الدعوة: فقد أمر الله عز وجل بها
طائفةً، ولم يُلزم الجميع بها،

1 () « تفسير القرطبي » (8/186) ط: دار الكتب
العلمية.

فقال: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}، قال ابن كثير: "والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ... " (1)، ثم أشار إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الناس؛ كل بحسبه.

2 - إيغاله العوام فيها يورّطهم في ثلاث فتن هي:
 - أنه يُرَبِّي فيهم التجرؤ على الفتيا.
 - ويدفعهم إلى التجني على أهل العلم إذا لم يفهموا مسالكهم، وتَعْظَم الفتنة بهم في القضايا السياسية، بل يفتنون حتى دعواتهم، ألم ترهم في قضية الخليج كيف كانوا بفهوم العوام محصورين، وتحت ضغوط مطالبهم مأسورين؟
 - وتهيجهم على الأمراء، والجنوح بهم إلى التكفير، ومَن جرّب جماعة التكفير عرف كيف احتوى الجهال الدعوة، والأمر لله.

3 - دعوته الأمة إلى دراسة المصالح والمفاسد من أكبر مزالقه؛ لأن تبين المصلحة - التي فيها الأمن - من المفسدة - التي فيها الخوف - لا يقدر عليه إلا الراسخون في العلم: أهل الاستنباط،

1 () وإلى هذا جنح القرطبي في تفسيره (4/106) والشوكاني في « فتح القدير » (1/396).

العوام لإحداث أول مسيرة! تلك المسيرة المشئومة التي ذهب ضحيتها في عشية واحدة مئات الشباب في مقتبل العمر وبراءة المَحْيَا، حتى اضطر إلى أن يقول في الجمعة التي تلتها: " أنا لم أدعُ إلى مسيرة، ولكنني دعوتُ إلى الجلوس في ساحة كذا لنسمع مطالب الشعب!!! " (1)

قلتُ: سبحان الله! ليتَّه لم يجمع قَتْل أنفُسٍ وكذباً!!

كما تجد هذه الطريقة في الفرار من المسؤولية عند كلام سفر الحوالي الآتي عن أحداث الجزائر؛ حيث يقول: " القضية التي نتكلم عنها ليست مجرد فلان ولا فلان، إن كان من أولياء الله فالله وليّ المتقين، وسينصرهم ولو بعد حين، وإن كانوا غير ذلك فقد جاءهم بُعْجٌ إليهم بعض ذنوبهم ". فتأمل كيف يهَيِّج ويؤَيِّد ثم يتبرأ فيكِلُ الأمر إلى إيمان القوم، كأنه يقول حينئذ: {إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}!!

5 - كلام سلمان هذا كله دعوة إلى الديمقراطية بعينها، وهو ممن يُظهر الكفر بها،

(1) ومن شاء التأكّد فليطلب من هذه الجماعة شريطاً معروفاً باسم « شريط الزقازيق » شهر صفر لسنة 1409هـ، راجع قصة هذه المسيرة هنا ص (312).

وإلا كيف يدعو الأمة كلها إلى الشورى في السياسة؟! الأمر الذي يدلُّك على أن هؤلاء أرادوا أن يكونوا واقعيين، فإذا هم قد صاروا في يد الديمقراطية واقعيين!

6 - استدلاله بآيتي الشورى لتقرير هذا المعنى الديمقراطي في غاية السقوط، وقبيح جدا بالمسلم - بصفة كونه مسلما - أن يقع فيه، فكيف بطالب العلم؟! فكيف بمن قيل له: (فضيلة الشيخ؟!) فكيف بمن أريد له أن يُضَمَّ رقمُ هاتفه إلى أرقام أصحاب الفضيلة هيئة كبار العلماء؟!

ثم اعلم - أعاذك الله من الجهل - أن الشورى في الإسلام مختصة بالأئمة الأعلام، سواء أكان ذلك فيما بينهم، أم فيما بينهم وبين الحكام.

واعلم - أيضا - أنه لا مشورة فيما ثبت فيه نصٌّ من كتاب الله أو سنة خير الأنام عليه الصلاة والسلام، وإليك باختصار شديد أدلة هذين الحكمين:

قال البخاري في كتاب الأحكام من « صحيحه »: « باب بطانة الإمام وأهل مشورته، البطانة: الدُّخلاء »، وأُسند فيه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: « ما بعث الله من نبيٍّ ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتُحْضُّه عليه، وبطانة تأمره بالشر

وتحصّنه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى.»
 دلّ هذا الحديث مع تبويبه على أن أهل الشورى
 ليسوا الأمة كلها كما زعم سلمان! وإنما هم بطانة
 الإمام، خاصة وأن لهذا الحديث سبب ورود من
 طريق البخاري نفسه، لكن في غير « صحيحه »،
 وإنما رواه عنه تلميذه الترمذي⁽¹⁾ في « سننه »،
 وفيه قصة خروج النبي ﷺ وأبي بكر وعمر من بيوتهم
 بسبب الجوع، فكان إذن أبو بكر وعمر هم
 بطانة رسول الله ﷺ. ولذلك تدبّر - رحمك الله!
 - فقه ابن عباس حين فسّر قوله تعالى:
 {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} قال: " أبو بكر وعمر
 رضي الله عنهما "⁽²⁾.

ومن تدبّر سيرة الرسول ﷺ في النوازل أدرك بلا
 خفاء أنه ﷺ ما كان يشاور إلا أعيان أصحابه، من ذلك
 ما رواه مسلم في قصة بدر عن ابن عباس قال:
 فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر

1 () انظر « تحفة الأحوزي » (7/34).

2 () إسناده صحيح، رواه النحاس في « الناسخ
 والمنسوخ » (889) والحاكم (3/70) وصححه هو
 والذهبي.

تنبيه: وقع في « المستدرک » قولُ الحاكم:
 (أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد البغدادي ..) وهو
 تصحيف، وإنما الصواب: محمد بن محمد، كما
 ذكره على الصواب ابن كثير في تفسيره (1/630).

وعمر: « ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ » فقال أبو بكر: يا رسول الله! هم بنو العمّ والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار؛ فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: « ما ترى يا ابن الخطاب؟ » قلت: لا والله يا رسول الله! ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُمَكَّنَّا فنضرب أعناقهم، فُتُمَكَّنَ عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتُمَكَّنِّي من فلان (نسبيّاً

لعمر) فأضربَ عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوي رسول الله ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلتُ، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله! أخبرني من أيّ شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ، وإن لم أجد بكاءً تباكيْتُ لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: « أبكي للمذي عَرَضَ على أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عَرَضَ علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة » (شجرة قريبة من نبي الله ﷺ) وأنزل الله ﷻ: { ما كان لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْخَبَ فِي الْأَرْضِ } إلى قوله: { فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا } فأحلَّ الله الغنيمة لهم.

والشاهد من القصة واضح، أضف إلى ذلك أنها

من رواية ابن عباس مفسر آية الشورى كما سبق،
ولهذا بؤب لها الترمذي في « سننه » بقوله: " ⁽¹⁾
باب ما جاء في المشورة "

وللبخاري في كتاب الاعتصام من « صحيحه »
تبويب مائع، ذكر فيه أدلة ما نحن بصدده بشكل
جامع، أقصد تخصيص الشورى بجماعة من العلماء،
وتخصيصها بما لم يرد فيه نص من وحي السماء.

قال - رحمه الله - ⁽²⁾: " باب قول الله تعالى:
{ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } { وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ }
وأن المشاورة قبل العزم والتبين لقوله تعالى:
{ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ } "

قال ابن حجر: " ووقع في الأدب من رواية
طاوس عن ابن عباس في قوله تعالى: { وَشَاوِرْهُمْ
فِي الْأَمْرِ } قال: " في بعض الأمر " ، قيل: وهذا
تفسير لا تلاوة، ونقله بعضهم عن قراءة ابن مسعود
⁽³⁾"

وقال - رحمه الله -: " فإذا عزم الرسول ﷺ لم
يكن لبشر التقدم على الله ورسوله " .

1 () انظر « تحفة الأحوزي » (5/373) و« منهاج
السنة » لابن تيمية (8/390).

2 () « الفتح » (13/351).

3 () وانظر إن شئت « تفسير القرطبي » (4/161)
ط. دار الكتب العلمية.

قلت: أي صار وحيًا، ولذلك قال ابن حجر: " ويُستفاد من ذلك أن أمره ﷻ إذا ثبت لم يكن لأحد أن يخالفه ولا يتحيل في مخالفته " ، وكذا قال سفيان ابن عيينة⁽⁴⁾.

وقال - رحمه الله -: " وشاور النبي ﷺ أصحابه يوم أحد في المُقام والخروج، فلما لبس لأمته وعزم قالوا: أقم، فلم يَمِلْ إليهم بعد العزم وقال: « لا ينبغي لنبي يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله ». وشاور عليًّا وأسامة فيما رمى به أهل الإفك عائشة فسمع منهما حتى نزل القرآن، فجلد الرامين ولم يلتفت إلى تنازعهم ولكن حكم بما أمره الله، وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأئمة من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدّوه إلى غيره اقتداءً بالنبي ﷺ، ورأى أبو بكر قتال مَنْ مَنع الزكاة فقال عمر: كيف تقاتل وقد قال رسول الله ﷺ: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » فقال أبو بكر: " والله لأقاتلن مَنْ فرَّق بين ما جمع رسول الله ﷺ، ثم تابعه عمر، فلم يلتفت أبو بكر إلى

(4) « تفسير الطبري » (3/496).

مشورة إذ كان عنده حكم رسول الله ﷺ: «
 مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» .
 وكان القراءُ أصحابَ مشورة عمر، كهولاً كانوا أو
 شبانا " اهـ.

وهو يقصد بكلامه الأخير ما رواه هو في «
 صحيحه» موصولاً عن ابن عباس قال: " قدم عيينة
 بن حصن بن حذيفة بن بدر فنزل على ابن أخيه
 الحرّ ابن قيس بن حصن، وكان من النفر الذين
 يُدنيهم عمر، وكان القراءُ أصحابَ مجلس عمر
 ومشاورته كهولاً كانوا أو شبانا " .

وشرح ابن حجر كلمة (القراء) بقوله: " جمع
 قاريء، والمراد بهم العلماء بالقرآن والسنة
 العُباد " (١) .

وروى البيهقي بسند صححه ابن حجر عن ميمون
 بن مهران قال: " كان أبو بكر ﷺ إذا ورد عليه خصم
 نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي به قضى
 بينهم، فإن لم يجد في الكتاب نظر هل كانت من
 النبي ﷺ فيه سنة، فإن علمها قضى بها، وإن لم يعلم
 خرج فسأل المسلمين فقال: أتاني كذا وكذا،
 فنظرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ فلم
 أجد في ذلك شيئاً فهل تعلمون أنّ نبي الله ﷺ قضى

في ذلك بقضاء، فربما قام إليه الرهط، فقالوا: نعم
قضى فيه بكذا وكذا فيأخذ بقضاء رسول الله ﷺ - قال
جعفر: وحدثني غير ميمون أن أبا بكر ﷺ كان يقول
عند ذلك: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن
نبينا ﷺ - وإن أعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين
وعلماءهم فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم
على الأمر قضى به.

قال جعفر: وحدثني ميمون أن عمر بن الخطاب
ﷺ كان يفعل ذلك، فإن أعياه أن يجد في القرآن
والسنة نظر هل كان لأبي بكر ﷺ فيه قضاء، فإن وجد
أبا بكر ﷺ قد قضى فيه بقضاء قضى به، وإلا دعا
رؤوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم،
فإذا اجتمعوا على الأمر قضى بينهم⁽¹⁾.

ثم ذكر ابن حجر مشاورات عمر وعثمان لأهل
الحل⁽²⁾ والعقد.

ومن أقوى ما يُستدل به هنا ما وقع في وفاة
عمر ﷺ حين قيل له: "أوص يا أمير المؤمنين!
استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء
النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو
عنهم راضٍ، فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة

1 () « السنن الكبرى » (10/114-115).

2 () انظر « الفتح » (13/354).

وسعدا وعبد الرحمن .. " رواه البخاري ^(١) .
**وواضح جدا أن تلك الأمة العظيمة أمّرت
 عليها الخليفة عثمان ؓ بمشورة ستة منها
 فقط، فهل من معتبر؟**

شبهة

كل ما يستدل به هؤلاء الجمهوريون من
 الإسلاميين! أو من العلمانيين لإثبات ما دندن حوله
 سلمان، إما هي من مجملات النصوص والآثار التي
 أبهم فيها المستشارون، وإما هي غير ثابتة سنداً،
 وإما في الاستدلال بها تعسف، ومن هذه استشارة
 النبي ؓ أصحابه في الخروج إلى بدر، فعن أنس: "
 أن رسول الله ؓ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان،
 قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر
 فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا
 رسول الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نُخِيضها
 البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى
 برك الغماد لفعلنا، قال: فندب رسول الله ؓ الناس،
 فانطلقوا حتى نزلوا بدرا ... " رواه مسلم.

قلت: ليس في القصة أنه ؓ استشار عامة الناس
 ولذلك قال النووي:

" وفيه استشارة الأصحاب وأهل الرأي

والخبرة^(١).

وعلى فرض أنه يصلح دليلا لمدّعاهم فقد قال النووي: " قال العلماء: إنما قصد اختبار الأنصار لأنه لم يكن بايعهم على أن يخرجوا معه للمقتال وطلب العدو، وإنما بايعهم على أن يمنعوه ممن يقصده، فلما عرض للخروج لغير أبي

1 () « شرح مسلم » (12/124).

سفيان أراد أن يعلم أنهم يوافقون على ذلك فأجابوه أحسن جواب^(١).

7 - وفي نعي سلمان على الأمة عدم تدخلها في الشورى يقول: " وهذا خطأ؛ لأنه يختصر الأمة - كما ذكرت - في أفراد "، ثم نزع بآيتي الشورى، هذا كله يدل على إيجابه الشورى، ليس فقط على ولي الأمر، بل على الأمة كلها كما يظهر من سياقه. وهذا لو وافقناه عليه لأبطلنا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، ولأبطلنا الاستخلاف الذي وردت الأدلة بجوازه، منها ما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: " قيل لعمر: ألا تستخلف؟ قال: " إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني: أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني: رسول الله ﷺ، فأثنوا عليه، فقال:

" راغب وراهب، وددت أني نجوت منها كفافا لا لي ولا علي، لا أتحمّلها حياً وميتاً " .

وهذا من أقوى الأدلة على كون أبي بكر استخلف عمر من بعده ولم يترك الأمر شورى، فهل يجروا أحد على تخطئة أبي بكر، والمهاجرون والأنصار شهود لا ينكرون؟! بل

إن رسول الله ﷺ لو علم في الأمة اختلافا في تولية أبي بكر لعهد إليه من غير شوري، فعن عائشة قالت: دخل علي رسول الله ﷺ في اليوم الذي بُدِيَء فيه، فقال: « ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتابا »، ثم قال: « يا أبا الله والمؤمنون إلا أبا بكر » أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

قال شارح العقيدة الطحاوية: " والظاهر - والله أعلم - أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهدا لكتبه لأبي بكر، بل قد أراد كتابته ثم تركه، وقال: « يا أبا الله والمسلمون إلا أبا بكر »، فكان هذا أبلغ من مجرد العهد، فإن النبي ﷺ دلّ المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة، من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخباراً راضٍ بذلك، حامدٍ له، وعزم على أن يكتب بذلك عهداً، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب اكتفاءً بذلك⁽¹⁾.

قال أبو يعلى الفراء: " ويجوز للإمام أن يعهد إلى إمام بعده، ولا يحتاج في ذلك إلى شهادة أهل الحلّ والعقد، وذلك لأن أبا بكر عهد إلى

1 () « شرح العقيدة الطحاوية » (474) ط. المكتب الإسلامي.

عمر رضي الله عنهما، وعمر عهد إلى ستة من الصحابة ⁽¹⁾، ولم يَعتبروا في حال العهد شهادة أهل الحلّ والعقد ⁽¹⁾.

وقال الماوردي: " وأما انعقاد الإمامة بعهد مَنْ قبله فهو مما انعقد الإجماع على جوازه، ووقع الاتفاق على صحته لأمرين عمِلَ المسلمون بهما ولم يتناكروهما:

أحدهما: أن أبا بكر ⁽²⁾ عهد بها إلى عمر ⁽²⁾ فأثبت المسلمون إمامته بعهد.

والثاني: أن عمر ⁽²⁾ عهد بها إلى أهل الشورى فقبلت الجماعة دخولهم فيها، وهم أعيان العصر اعتقادا لصحة العهد بها، وخرج باقي الصحابة منها، وقال علي للعباس رضوان الله عليهما حين عاتبه على الدخول في الشورى: كان أمرا عظيما من أمور الإسلام لم أر لنفسي الخروج منه، فصار العهد بها إجماعا في انعقاد الإمامة ⁽²⁾.

فهل يبقى للقول بوجوب الشورى محل مع هذه الأدلة القوية؟ قال ابن القيم في فوائد قصة الحديدية: " ومنها استحباب مشورة الإمام رعيته وجيشه، استخراجا لوجه الرأي، واستطابة

1 () « الأحكام السلطانية » لأبي يعلى ص (25).

2 () « الأحكام السلطانية » للماوردي ص (11).

لنفوسهم، وأمنأ لعقبهم، وتعرفا لمصلحة يختص بعلمها بعضهم دون بعض، وامثالا لأمر الرب في قوله تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} وقد مدح سبحانه وتعالى عباده بقوله: {وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} (١).

8 - وأخيرا أقول: إن نسبة هذا المنهج إلى السلف تحت عنوان: (حديث حول منهج السلف) غير مقبولة، لما بينت ما بينهما من أرحام غير موصولة، ودعوتنا لهؤلاء الدعاة أن يعطوا القوس باريها، ويتركوا المطي لحاديها، ريثما يراجعون أنفسهم، ويتهيؤون لما يحسنون؛ فإن قيمة المرء ما يحسن. وفق الله الجميع للخير.

ولما كان هذا النوع من الفقه - أعني فقه الواقع - بهذه المثابة من التخبيط والتخليط، كان لعلمائنا نظرة خاصة فيه للمحاذير التي نبه عليها العلامة ربيع ابن هادي المدخلي - حفظه الله - حيث قال: " إن من أغرب ما يقع فيه المتحمسون لفقه الواقع أنهم يقدّمونه للناس وكأته أشرف العلوم وأهمها، ولقد غلا فيه بعضهم غلوا شديدا فجعل العلوم الشرعية من مقوماته، ونسج حوله من الهالات الكبيرة، بمالم يسبقه إليه الأولون

والآخرون، وهو في حقيقته لا يسمى علما ولا فقها، ولو كان علما أو فقها فأين المؤلفات فيه؟! وأين علماءه وفقهاؤه في السابق واللاحق؟! وأين مدارسه؟! لماذا لا يسمى علما ولا فقها إسلاميا؟ لأنه ذو أهداف سياسية خطيرة منها:

أ - إسقاط المنهج السلفي؛ لأن فقه الواقع لا يختلف عن مبدأ الصوفية في التفريق بين الشريعة والحقيقة؛ إذ هدفهم من ذلك إسقاط الشريعة.

ب - الاستيلاء على عقول الشباب والفصل بينهم وبين علماء المنهج السلفي، بعد تشويه صورتهم بالطعون الفاجرة.

ج - اعتماده على التجسس، فالإخوان المسلمون وإن كانت لهم شبكات تجسس واسعة على أهل الحديث والسلفيين إلا أنهم يعجزون تمام العجز عن اكتشاف أسرار الأعداء وإحباط خططهم، وواقعهم في مصر وسورية والعراق أكبر شاهد على ذلك.

د - أنه يعتمد على أخبار الصحف والمجلات التي تحترف الكذب، وعلى المذكرات السياسية التي يكتبها الشيوعيون واليهود والنصارى والعلمانيون والميكافيليون وغيرهم من شياطين السياسة

الماكرة، الذين من أكبر أهدافهم تضليل المسلمين ومخادعتهم واستدراجهم إلى بناء خطط فاشلة على المعلومات التي يقدمونها.

هـ - من أركان هذا الفقه المزعوم التحليلات السياسية الكاذبة الفاشلة، وقد أظهر الله كذبها وفشلها، ولا سيما في أزمة الخليج.

و- أنه يقوم على تحريف نصوص القرآن والسنة، ويقوم على تحريف كلام ابن القيم في فقه الواقع.

ص - قيامه على الجهل والهوى حيث ترى أهله يرمون من لا يهتم بهذا الفقه بالعلمنة الفكرية والعلمية، وهذا غلو فظيع قائم على الجهل بالفرق بين فروض الكفايات وفروض الأعيان، لو سلمنا جدلاً أن هذا الفقه الوهمي من فروض الكفايات⁽¹⁾.

¹ () ولا يزال الأمر بهؤلاء يتفاقم حتى يُغلو في السياسة إلى حد استصغار علوم الشرع في جنبها، حتى ولو كانت عقيدة التوحيد!! ووالله لقد مكثت أياماً وليالي باهتاً مهموماً لكلمة شنيعة قالها سلمان العودة في شريط « حول الأحداث الجديدة » رقم (78) وهي قوله: " .. فتأتي إلى خطيب فتجد كأنه قد أصم أذنيه ولم يسمع شيئاً، يتكلم عن موضوع بعيد بالمرّة؛ إما أن يتكلم تحت الأرض فيما يتعلق بأحوال الآخرة والقبر والموت، وإما أن يتكلم فوق السماء فيما يتعلق بأمور الجنة

ح - يرتكز هذا العلم المفتعل على المبالغات والتهويل، حيث جُعِلت علوم الشريعة والتاريخ من مقوماته، فأين جهاذة العلماء وعباقرتهم عن هذا العلم وعن التأليف والتدريس فيه والإشادة به والتخصص فيه وإنشاء الجامعات أو على الأقل

والنار والبعث والحساب وغيرها، كل هذه الأمور حق والكلام فيها حق، لكن ينبغي أن الإنسان يستغل فرصة كون النفوس متهيئة للوعظ والإرشاد والتوجيه، وأخذ الدروس والعبر من هذه الأحداث، ويُطمئن الناس على هذا الأمر؛ يكون مصدر طمانينة للناس، مصدر سكينه لنفوسهم، يُحيي المعاني الإيمانية في قلوبهم - كما ذكرْتُ - بين لهم المخاطر التي تهددهم، بحيث يكون الكلام متعلقا بالواقع. أما أن نعيش أحداث (هكذا) مؤلمة تُحرِّك قلوبنا جميعا، ثم نأتي للمتحدث أو الخطيب فنجده يتكلم في واد آخر، فهذا في الواقع

- يعني - ذهول (هكذا) وغيوبة لا يجوز أن يقع المؤمن أو العالم أو الداعية ضحيتها ... "؟!"

قلتُ: يالها من مصيبة !لا أعتقد أن بعد الاستهانة بالعقيدة مصيبة! رأيتم - يا شباب الإسلام!- فعل السياسة العصرية بأهلها؟! رأيتم هذه الصياغة التهكمية بمن يريدون تخليص

أقسام التخصص فيه؟!

ط - ولما كان هذا الفقه بهذه الصفات الذميمة لم ينشأ عنه إلا الخيال والدواهي من الآثار، فمن آثاره تفريق شباب الأمة وغرس الأحقاد والأخلاق الفاسدة في أنصاره، من بهت الأبرياء

الناس من النار؟! ألعقيدة أم فقه الواقع؟! مع أن المرء لو جهل واقعه لما حال ذلك بينه وبين الجنة، ولكنه لو جهل عقيدته فمن ذا الذي ينجيه من النار؟ فأَي الخطيبين أحق بالنعى إن كنتم تعلمون؟ قال الله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}**.
وإنه لعظيم جداً بكل مسلم أن يتصور أحداث الواقع - التي تؤرُّ الناس

أزاً - باعث طمانينة! ومصدر سكينه!! وسبباً لإحياء الإيمان في القلوب!!! ولا يجد ذلك في أركان الإيمان؟! وكان ابن القيم سمع ذلك من سلمان فأجابه بقوله: " وكذلك كانت خطبته

..... :
.....
.....
.....
.....
.....
..... :
.....

ومنهم ابن القيم، والسياسة الإسلامية العادلة،
فمرحبا بهما وعلى الرأس والعين، وإن جهلها
وتنكر لهما الإخوان المسلمون ... " (1)

المرحبا بهما وعلى الرأس والعين، وإن جهلها
وتنكر لهما الإخوان المسلمون ... " (1)

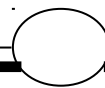
1 () « أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية »
ص (93-95).

لدة
 عة
 تي
 بالجزائر، وهم كثير من الشباب المحمسن
 يوجبون بلا هوادة التفقه في الواقع ويتعنون على
 غيرهم - خاصة من أهل العلم الكبار كالشيخ
 الألباني، والشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين -
 جهلهم بالواقع، وقد رأيت أنهم أحق بهذا النعي؛
 لأنهم نقلوا واقعا مشوها غير صحيح.

قال في شريط « كلمة حقّ في المسألة الجزائرية »: " خرج الاستعمار الفرنسيّ الأجنبي من الجزائر، ومع ذلك بقيت الجزائر تحكّم بغير الإسلام زماناً طويلاً حتى تململ الناس من تلك الأوضاع السيئة، وقامت حركات ومظاهرات صاخبة واضطرابات كثيرة في الأسواق والشوارع، وصارت مواجهات دامية، وقُتل المئات من الناس، بل أكثر من ذلك، وكانت الصحافة تعتم على مثل هذه الأمور، وكنت أذكر أننا نقرأ في صحيفتنا أنهم يسمونها (ثورة الخبز)، يعني أن الناس قاموا من أجل الخبز بحثاً عن لقمة العيش، وتجاهلوا الدافع الإسلامي القويّ وراء تلك المطالبات، وعلى إثرها أقرّت الجزائر بما يسمونه التعدّدية السياسية وأذعنت لمطالب الناس ."

النقد: في هذا الكلام خبط عجيب، لأنّه يحكم على ثورة (5 أكتوبر 1988 م) بأنّ دافعها إسلامي! فأقول:

- متى كان في الإسلام ثورات؟!
- متى كان الدافع أو الباعث الإسلامي أوالتيّة الحسنة كافية لغض الطرف عن الوسيلة

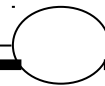


بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد؛ فإلى لجنة الدعوة والإرشاد في الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

وبعد؛ فقد تلقيت أصيلاً هذا اليوم الثلاثاء الموافق للثامن عشر من شهر جمادى الآخرة سنة (1412 هـ) رسالتكم المرسلة إليّ بواسطة (الفاكس) فقرأتها وعلمتُ ما فيها من الأسئلة المتعلقة بالانتخابات التي قُلتُم إنها ستجري عنكم يوم الخميس أي بعد غد^(١)، ورغبتُم مني التعجيل

¹ () الغريب أنهم دخلوا في العمل السياسي قبل هذا بثلاث سنوات! فلما بقي على الانتخاب يوم ونصف يوم سألوا الشيخ عن مصير أمة!! فهل هذا هو دين طالب الحق؟! ثم لما جاءهم الحق من الشيخ لم يرفعوا به رأساً؛ لأنهم استمروا فيما نهاهم عنه، كما تراه ههنا!



بإرسال أجوبتي عليها، فبادرت إلى كتابتها ليلة الأربعاء لإرسالها إليكم بـ (الفاكس) أيضاً صباح هذا اليوم - إن شاء الله - شاكرًا لكم حسن ظنكم بأخيكم وطيب ثنائكم عليه الذي لا يستحقه، سائلًا المولى سبحانه وتعالى لكم التوفيق في دعوتكم وإرشادكم.

وأما الجزاء
شرح العقيدة الطحاوية بتاريخ: ()
حدث على
25/12/1411 هـ).

قال بشر البشر في شريط ((جراح المسلمين في بداية الوجه (أ) :
 " ... وذلك لأنّ أوضاع الجزائر خافية على الكثير !! أيّها الأحبّة جذور الجبهة الإسلامية للإنقاذ تمتدّ إلى جمعية العلماء التي أسّسها العالم السلفيّ عبد الحميد بن باديس!! "

وقال : " وفي الجبهة - أيّها الأخ الكريم! - علماء! علماء!! فيها مجموعة طيبة من أهل العلم تأخذ الجبهة بأقوالهم وترجع إليهم في معرفة الأحكام الشرعيّة، وهذه ميزة فريدة تميّز بها الجبهة الإسلامية للإنقاذ عن كثير من الجماعات الإسلامية التي - مع الأسف - تخلو من العلماء!! "

النقد: هذا هراء على هراء، قد سبق أنّه نفخ في الهواء، وهو يقول هذا بعد أن مدح الشيخ أحمد سحنون، وهذا الأخير هو القائد الشرفي لا الحقيقي لـ (الجزّارة)، الذين استغلوا طيبة نفسه وكبر سنّه حتى كرهوا إليه السلفية، وما زالوا يراودونه حتى كان يأتي المدينة النبوية فيجمع الطلبة الجزائريّين قائلا لهم : "لا تنسوا شخصيتكم الجزائرية ومذهبكم المالكي وعقيدتكم الأشعرية ". والطلبة عندكم فاسألوهم إن

كانوا ينطقون. وهذا الرجل كان قد نهى رؤوس الجبهة عن تكوين حزبهم، وبعث إليهم تلميذه الحميم محمد سعيد يوم تأسست الجبهة، وقال بأن الوقت غير ملائم لتكوين هذا الحزب، فقام في وجهه بعض رؤوس الجبهة وحرّض الغوغاء عليه حتى كادوا يوقعون به لولا أنه أخرج من المسجد باكياً مشتوماً ... فإذا كنت تعتبر سحنوناً من العلماء، بل من أعضاء الجمعية كما قلت، فلماذا لم يأخذوا بفتواه وهم بنوا حزبهم على مشورة من العلماء كما زعمت؟!.

قال: " فمن العلماء الشيخ الأخضر الراوي وهو شيخ جليل كبير السن".

النقد: هذا الرجل أشعري مالكي متعصب، فأين

السلفية؟

السلفيُّ مَنْ جمع أمرين هما:

1- متابعة السلف - لا الأشاعرة المتأخرين - في إخلاص الدين لله تعالى؛ في ربوبيته وعبادته وأسمائه وصفاته. والأشاعرة قد سَطَّوْا على جملة من صفات الله ﷻ وأسمائه فسلبوه إياها، ثم حرّفوها عن معناها الذي أراده الله باسم التنزيه! والله يقول: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ}، هذا بعض ما عندهم!

2- تجريد المتابعة للرسول ﷺ، والمتعصّب للمذهب لا يتبع إلا المذهب! ولئن اتّبع المذهب بعد الاطلاع على

الدليل فهو لا يزيد على دليل مذهبه؛ أي أنه لا يتبع الدليل لكون الرسول ﷺ قاله، ولكن لكون صاحب المذهب قال به؛ بدليل أنه يهون عليه ترك العمل بالحديث إذا خالف المذهب! ويعتذر بكون إمامه قد اطلع على هذا الدليل، وله في تركه مسالك...!!
قال: " ومن علمائها الشيخ الطاهر آيت علجت، وهو عالم كبير القدر كبير العمر من علماء جمعية العلماء "

النقد: هذا الشيخ رجل فاضل لولا أشعرية فيه وتفويض! وهو - وإن كان بيني وبينه حسن جوار - فإنني لا أحابي في التوحيد أحداً. ثم إن عذري في إثارة هذا كعذر من جاء فيه المثل العربي القائل: " قال الجدار للوتد: لِمَ تَسْتُفِنِي؟ قال: سل من يَدُقُّني ". ومن طريف ما أذكره لك ما أخبرني به أحد أقربائه أنه أسمع كلام هذا المحاضر، فاستنكره الشيخ، وأنكر أن يكون يوماً ما قد انخرط مع جبهة الإنقاذ!. ولو أذن لنا هذا القريب أن نذكر اسمه لفعلنا، ولكن اتصل بالشيخ نفسه فهو خطيب بمسجد الغزالي بحي سيلبي - حيدرة - الجزائر، ومن وصل تفقهه للواقع إلى أمريكا وأبعد من أمريكا لا يعيبه طلب التحقق ببرقية يكتبها إلى هذا العنوان!
قال: " ومن علمائها الشيخ يخلق شرطي ومن علمائها الشيخ أحمد

الزّاوي ... وأعرف أنا الشيخ محيي الدين درويش .. " .
النقد: أما الرجل الأول فقد انتهى به الأمر في آخر أيامه إلى أن صار رأساً في التكفير، وكان لبياناته الأخيرة اليد الطولى في إراقة الدماء بشكل فظيع جداً، وكذا إضلال الشباب عن سواء السبيل! وعلى كل حال فقد سبق الحديث عنه. وأما الآخرون فهما من حزب (الجزائر)، وما أدراك ما (الجزائر)!، ولهما يدٌ معروفة في منع السلفيين قديما وحديثا من أيّ نشاط في مساجدهما وهما معروفان بانتقاصهما أهل الحديث وانتصارهما للكوثريّ وأبي غدّة ومنهجهما.
قال: " إني أوكد لك - يا أخي! - أنّ الجبهة الإسلامية للإنقاذ تعتبر من أعداء الرّافضة، لا أقول لك ليس فيها شيعيّ بل هي من أعداء الرّافضة ".
النقد: كسابقه في نقد سلمان. ثم هؤلاء الذين سمّاهم علماء لا يعرف عنهم أيّ استنكار على الشّيعية، بل كثيرا ما كانوا ينكرون علينا انتقادنا الشّيعية ويقولون: " عليكم مسحة سعوديّة! "، وهم يقصدون: سلفيّة! لأنهم تخرّجوا من جامعات السعودية!!
وقد اضطرني كلامه هذا إلى أن أخبر القاريء بأنّ للشيخ أحمد سحنون - الذي عدّه من علماء الجبهة - رثاء للرافضي الخميني، هذه هي صورته بتوقيعه، لا على أنه شيعي، ولكن بيانا للواقع لفقهاء الواقع!



هذه صورة رثاء أحمد سحنون
للخميني الرافضي

أما عائض القرنيّ فقد وقع في الخطأ الذي تواصلوا به جميعا وهو زعمهم أنّ جبهة الإنقاذ امتداد لجمعية العلماء الجزائريين! وقال في خطبة جمعة: " والذي نفسي بيده لقد خرج في الجزائر في يوم واحد سبعمائة ألف امرأة مسلمة متحجّبة يطالبن بتحكيم شرع الله . "

النقد: يا لها من مصيبة حين يهون عليك اسم الله فتقسم به على عدد وهميّ خياليّ، و تقسم على قضية خاسرة دنيا وأخرى، أفي المظاهرة الموروثة من الكفار والشّيوعيّين يبذل اسم الله الأعظم؟ ألم يقل الله: { وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا الشُّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }؟ بأمة انقرض ذكورها حتى خرج إناثها تفتخر - أيها الخطيب؟! - بألخروج من البيت تحكم المرأة بشرع الله؟ أليس في شرع الله قول الله عزّ وجلّ: { وَقَفَرْنَا فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى }؟! كان عليك أن تقول لهن: ابدأن بأنفسكنّ فحكمنّ الشرع، ثم طالبن غيركنّ بذلك بالطريق المشروع. أم أنّ السياسة الوضعيّة لم تترك لك

مجالاً - أيها الخطيب! - ولا لمن افتخرت به لتفكروا
في حدود الشرع؟



الأولى: كثيرا ما تلقى بعض المخلصين لدعوة الإسلام، المشاركون المسلمين أحزانهم إذا أبلغناهم حقيقة الدعوة بالجزائر، يصابون بيأس وصدمة حتى ينقذ في نفوس ضعاف الأخلاق منهم أن بياننا هذا تعويق لمسار الدعوة وتعطيل للجهاد، أو خرّجوه مخرج حسد الأقران حتى لا يُتَّهَموا بالعناد، خاصة وأنّ كلمتهم وكلمة دعواتهم التي بيننا مخالفتها للشرع والواقع قد طارت في الآفاق، ولا تتحمّل صدورهم تخطئتهم لأنّ ذلك إضعافٌ لمصداقيتهم السياسية وتشكيك في الدّعاية لهم بالفطنة وسعة الاطّلاع على أحوال المسلمين، فيقولون - إمّا مجاملة لنا أو بعد أن لم يكن بدّ من تصديق أخبارنا :- " على كل حال أتمت ترون أنّ وقت الجهاد لم يحن بعد، وغيركم يخالفكم في ذلك، والمسألة اجتهادية، فلا معنى لأن ينكر بعضكم على بعض لأنّ

من أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر، والعدوّ لا يرضى منكم إلا

بالخلاف ... "، وغيره من زخرف القول الذي يجهضون به النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر. وأحسن الظنّ بهم أنهم - مع إخلاصهم إن شاء الله - يعيشون اضطراباً في منهجهم الدّعويّ؛ أيّ إخلاص مع جهل بالطريق الإصلاحي الذي سلكه رسول الله ﷺ، وإلا فلو عرفوا شروط الجهاد، وضمّوا لإخلاصهم متابعة الرسول ﷺ بعد معرفتها لانكشف عنهم كثير من الغبش، ولكان عمدتهم خطوات الرسول ﷺ لا التخمينات والتجارب والنتائج المتخيّلة.

فنقول أولاً: كيف جعلتم دماء المسلمين ودعوة الإسلام في مختبر تجربة طلبة العلم؟ وبأيّ شرع سوّغتم لهم الاجتهاد؟ كلاً! لا يكون الاجتهاد في المقامرة بأرواح المسلمين والمغامرة بدعوة الإسلام.

ثم هاك ثانياً الجواب العلمي المفصّل: قال الشافعي - رحمه الله -: " ومن تكلف ما جهل وما لم تُثبته معرفته كانت موافقته للصّواب - إن وافقه من حيث لا يعرفه - غير محمودة والله أعلم، وكان بخطئه غير معذور، إذا ما نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصّواب " (١)، وقال ابن تيمية - رحمه الله -: " فإنّ من النّاس من يكون عنده نوع من الدين مع جهل عظيم، فهؤلاء يتكلم أحدهم بلا علم فيخطئ، ويخبر عن الأمور بخلاف ما هي عليه

1 () « الرّسالة » رقم (187).

خبراً غير مطابق، ومن تكلم في الدين بغير الاجتهاد المسوّغ له الكلام وأخطأ فأثمه كاذب آثم كما قاله النبي ﷺ في الحديث الذي في السنن عن بريدة عن النبي ﷺ أنه قال: «القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة، رجل قضى على جهل فهو في النار، ورجل عرف الحق وقضى بخلافه فهو في النار، ورجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة»⁽¹⁾ ثم قال في الرجل الأول: فهو الذي يجهل وإن لم يتعمّد خلاف الحق فهو في النار، بخلاف المجتهد الذي قال فيه النبي ﷺ:

((إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر⁽²⁾))، فهذا الذي جعل له أجراً مع خطئه؛ لأنه اجتهد فاتقى الله ما استطاع، بخلاف من قضى بما ليس له به علم وتكلم بدون الاجتهاد المسوّغ له الكلام، فإنّ هذا كما في الحديث عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» وفي رواية: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ، ومن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار»⁽³⁾،

1 () رواه أبو داود و ابن ماجه و هو صحيح.

2 () متفق عليه.

3 () انظر « ضعيف الجامع الصغير » (5748)، ()

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكنه يقبضه بقبض العلماء، فإذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهلاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »، وفي رواية للبخاري: « فأفتوا برأيهم ». وهذا بخلاف المجتهد الذي اتقى الله ما استطاع، وابتغى طلب العلم بحسب الإمكان، وتكلم ابتغاء وجه الله، وعلم رجحان دليل على دليل فقال بموجب الرّاجح، فهذا مطيع لله مأجور أجرين إن أصاب، وإن أخطأ أجراً واحداً ... والمقصود أن من تكلم بلا علم يسوغ وقال غير الحق فإنه يسمّى كاذباً ... ويطلق عليه الكذب، كما قال النبي ﷺ: « كذب أبو السنابل » ومثل هذا كثير⁽¹⁾.

قلت: جاء بالإسناد الصحيح بعد حديث: « القضاة ثلاثة ... » قول قتادة: فقلت لأبي العالية: " ما بال هذا الذي اجتهد رأيه في الحق فأخطأ؟ قال: لو شاء لم يجلس يقضي وهو لا يحسن يقضي "، وعند البغوي: " ذنبه ألا يكون قاضياً إذا لم يعلم

(5749).

¹ () « الرّدّ على الأحنائي » (9-11) نقلاً عن « منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف » (77-79) للشيخ ربيع المدخلي.

، قال البيهقي: " تفسير أبي العالية على من لم يحسن يقضي دليل على أن الخبر ورد فيمن اجتهد رأيه وهو من غير أهل الاجتهاد، فإن كان من أهل الاجتهاد فأخطأ فيما يسوغ فيه الاجتهاد رُفِعَ عنه خطؤه إن شاء الله بحكم النبي ﷺ في حديث عمرو بن العاص وأبي هريرة رضي الله عنهما وذلك يرد وبالله التوفيق . " يريد هنا حديث : « إذا اجتهد الحاكم ... » . وقال البغوي: " قوله :

« اجتهد فأخطأ فهو في النار » ، أراد به إذا كان اجتهداه على غير علم، فأما من كان من أهل الاجتهاد ففرضه الاجتهاد فيما يعنّ له من الحوادث، والخطأ فيه عنه موضوع⁽¹⁾ .

وبعد، فهل آن لإخواننا المجتهدين اليوم في السياسة - بغير الاجتهاد المسوّغ لهم ذلك - أن يعتبروا فيتأثّوا ويتنحّوا ويعطوا القوس باريها؟

فإن قالوا: هذا الكلام منصبّ على غيرنا لأننا لم نتكلم في واقع أمّة إلا بعد الإحاطة به، ألا ترون أن أخبارنا جديدة وأنّ متابعتنا لوسائل الإعلام

¹ () انظر هذه الروايات والأقوال في « أخبار القضاة » لوكيع (1/18)، و« سنن البيهقي » (10/117)، و« شرح السنة » للبغوي (10/93) ط. المكتب الإسلامي.

شديدة؟!.

قلنا: لئن زعمتم أنّ وسائل الإعلام مغنيتكم شيئا من الحق لقد أخطأتم مرّتين:

الأولى: هذا دليل غفلة شديدة إذ كيف يتصور مسلم أنّ عدوّه يأتيه نبأ يقين؟ وتتبعكم لأخباره متصورينه موضوعيا، وبنائوكم الأحكام عليه دليل على أنكم لا تفقهون من واقع عدوكم شيئا.

الثانية: لا يمحص الأخبار ويحكم عليها بما تستحق من صحّة أو ضعف إلا أهل الحديث أو من أمسك بغربالهم، وقد رأيناكم لا تفعلون شيئا من ذلك، بل أعماركم في تتبعها تضع، وتُدوّن فتاواكم فيها ويوم القيامة تشيع، قال سبحانه: {سُئِلْتُ بِمَا نَسَّهَآدَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ}، ثم أيضا قد دلت التجربة على أن خطاكم في نقل الواقع أكثر من إصابتكم، كما بيّنه لكم في رقعة واحدة من العالم الإسلامي فقط، فكيف لو تتبعناكم في غيرها وأنتم لا تتورعون عن الخوض في أخبار العالم بأسره! وقد قيل: " من ثمارهم تعرّفونهم "، وقد تبينا خطورة مسلككم هذا حين وجدناكم وراء كل فتنة، مغرّرين بأهلها بتسميتها جهادا، ونهايتها سحق الدعوة الإسلامية.

الشبهة الثانية: فإن قيل: إذا كان لا يفتي في

الأحكام السلطانية أو ما يسمّى بالقضايا السياسية إلا عالم متبحّر، فكيف يُعرف، وهل يَعرف نفسه أنّه كذلك؟

الجواب: كما اصطفى الله تعالى من البشر رجالا فجعلهم مرجع الناس فقال: {اللَّهُ يَصْطَفِي مَنِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ}، فإنّ الرسول - أيضا - قد اصطفى لنا قدوتنا في العلم والثقوى حين قال: « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثم الذين يَلُوتُهُمْ، ثم الذين يَلُونَهُمْ ... » متفق عليه.

ولا يزال أهل العلم من هؤلاء يزكّون من يجئ من بعدهم، وما أظنّ أنّ ما يسمّى بـ (الإجازة) يخفى عليكم؛ فإنّه لحفظ هذا الدين من أن يقول فيه مَنْ شاء ما شاء، قد درج أهل العلم على إجازة النابغين من تلامذتهم، إما إجازة خاصة، وإما عامة، إمّا في فنّ، وإمّا في أكثر، وقد قال الإمام مالك - رحمه

الله -: " ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أئبي أهل لذلك " (1)، وقال: " لا ينبغي لرجل أن يترى نفسه

1 () رواه أبونعيم (6/316) والخطيب في ((الفقيه والمتفقه)) (1041- العزازي) وهو صحيح، وروى نحوه ابن ناصر الدين في ((إتحاف السالك)) ص (58).

أهلاً لشيء حتى يسأل من كان أعلم منه^(١) .
وينبغي أن يراعى دقة التعبير في هذه الإجازات؛
فإن تزكية امرئ بالتقوى لا تغنيه كبير شيء في
التبليغ عن دين الله تعالى، كما أن تزكيته بالعلم
عموماً وبإجمال لا تغنيه كثيراً في فقه النوازل، وقد
قال ابن سيرين: " إن هذا العلم دين، فانظروا عمّن
تأخذون دينكم " رواه مسلم في مقدمة « الصحيح
».

قال ابن رشد في شروط من يتصدى للفتوى في
النوازل:

- " أن يراه الناس (أي العلماء كما سيأتي في كلام
الشاطبي) أهلاً لذلك.

- الثاني: أن يرى نفسه قد جمع شروط الاجتهاد.
فإذا اجتمعت فيه هذه الخصال مع العدالة والخير
والدين صحَّ استفتاؤه فيما ينزل من الأحكام ...
^(٢)

وأوضح هذا الشاطبيُّ بأبداع بيان حيث قال: " ^(٣)
والعالم إذا لم يشهد له العلماء فهو في

1 () رواه أبو نعيم (6/316) والبيهقي في ((المدخل
((825) والخطيب في ((الفقيه
والمتفقه)) (1042).

2 () ((البيان والتحصيل)) (17/339).

3 () قال الألباني ههنا بعد ما أشار إلى ((الاعتصام

الحكم باقٍ علينالأصل من عدم العلم حتى يشهد فيه غيره، ويعلم من نفسه ما شهد له به، وإلا فهو على يقين من عدم العلم أو على شك، فاختيار الإقدام في هاتين الحالتين على الإحجام لا يكون إلا باتباع الهوى؛ إذ كان ينبغي له أن يستفتي في نفسه غيره، ولم يفعل! وكان من حقه أن لا يقدم إلا أن يقدمه غيره، ولم يفعل! "

قال الألباني في المصدر السابق: " هذه نصيحة الإمام الشاطبي إلى (العالم) الذي بإمكانه أن يتقدم إلى الناس بشيء من العلم، ينصحه بأن لا يتقدم حتى يشهد له العلماء، خشية أن يكون من أهل الأهواء، فماذا كان ينصح - يا ثرى - لو رأى بعض هؤلاء المتعلقين بهذا العلم في زمننا هذا؟ لا شك أنه كان يقول له: (ليس هذا عُشك فادرجي)، فهل من معتبر؟! وإني - والله! - لأخشى على هذا البعض أن يشملهم قوله: ((ينزع عقول ذلك الزمان، ويخلف لها هباء من الناس، يحسب أكثرهم أنهم على

(((3/99): " تأملوا لم يقل: طالب العلم! "، كذا في ((الصحيحة)) (2/713- الاستدراك رقم 11).

شيء، وليسوا على شيء!!^(١) .
وقال ابن القيم - رحمه الله -: " من أفتى الناس
وليس بأهل للفتوى فهو آثم عاص، ومن أقرّه من
ولاة الأمور على ذلك فهو آثم عاص. وقال أبو الفرج
ابن الجوزي: ويلزم وليّ الأمر منعهم كما فعل بنو
أمية، وهؤلاء بمنزلة من يدلّ الركب وليس له علم
بالطريق، وبمنزلة من لا معرفة له بالطب وهو
يُطبُّ النَّاسَ، بل هؤلاء أسوأ حالا من هؤلاء كلهم.
وإذا تعيّن فعلى وليّ الأمر منع من لم يحسن
التّطبّب من مداواة المرضى، فكيف بمن لم يعرف
الكتاب والسنة ولم يتفقه في الدين. قال: وكان
شيخنا (أي ابن تيمية) شديد الإنكار على هؤلاء
فسمعتة يقول: قال لي بعض هؤلاء: أجمعت محتسبا
على الفتوى؟ فقلت له: يكون على الخبازين
والطبّاخين محتسب ولا يكون على الفتوى
محتسب؟! "^(٢) .

1 () وهذا الحديث صحّحه في ((صحيحته)) (1682).

2 () « إعلام الموقعين » (4/217).



وبعد هذا كله أدعو الدكتور سفر الحوالي وسلمان العودة ومن هو على منهجهما أن يدعوا الإفتاء في التوازل، وبتعبير أبين لبني عصرنا: أن يدعوا الإفتاء في القضايا السياسية لأهلها، وقد سمينا لكم في غضون هذا البحث بعضهم كالشيخ الألباني⁽¹⁾ والشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين والشيخ الفوزان⁽¹⁾ وغيرهم - حفظهم الله -؛ لأنه لا معنى

¹ () أرجو ألا نختلف في هذه الأسماء لأن ما يجمع بيننا من معتقد السلف أمتن من أن يذرى تحت أدرج رياح الحزبية، وأرجو أن يكونوا عندكم فقهاء يصلحون للفتوى فيما يسمّى اليوم بالقضايا المصيرية، أرجو أن نكون صادقين في هذا الوصف، وألا يغالط بعضنا بعضاً بأن يظهر توقيههم وبييت في نفسه أو حزبه ما لا يرضى ربنا من القول، كما فعل في هذه الأيام من ترجم للشيخ ابن باز - مع الله المسلمين بحياته - في مجلة سياسية، فإن من يقرأها لا يتصور الشيخ إلا شيخ زاوية أو تكيّة، يدخل عليه الناس فيكرمهم بالطعام والشراب ويخرجون! ويأتيه الطلبة فيسخو عليهم بما آتاه الله، أمّا (القضايا المصيرية)

- كما يقولون - فالشيخ عنها بمعزل حتى يخرج من غفلته!! هذا هو شيخ البركة! لا يعمل بفتياه إلا

وهو يحدث بكل ما سمع" ، رواه مسلم .
خاصة وليس لكم إجازة من قبل هيئة كبار
العلماء للتكلم في هذه القضايا، بل قد تهوكم عنها
صراحة وعلى رأسهم العلامة الشيخ عبد العزيز ابن
باز - حفظه الله - كما في هذا البيان الآتي، وقد
صوّرتة كما هو:

هذه صورة الوثيقة التي فيها بيان
هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية
السعودية في توقيف سفر الحوالي
وسلمان العودة

وأنصح إخواننا السلفيين ألا يوسّعوا الرقعة
ويبعدوا الشقّة، فتضيق صدورهم بالخلاف الفقهي
خاصة منه السياسي بين من سمّيت من العلماء
السلفيين؛ لأنّ الاختلاف سنّة الله في خلقه، وقد
كان مثله بين الصحابة فلم يضرّهم؛ لأنهم أحسنوا
استقباله فلم يطمع فيهم عدوّ. وأما أن يلقّبكم
المبتدعة اليوم بالبازيين وإخوانكم بالألبانيين، وفيكم
سمّاعون لهم، فلا عرّو أن تنتشر بينكم الفرقة،
فاحذروا رحمكم الله، فإنّه لا يزال هؤلاء المشايخ يزكّي
بعضهم بعضا بلسان صدق إن شاء الله، ومناقبهم قد
ملأت الآفاق. لكن قوما لم تهناً أفئدتهم
بمحببتهم، يسعون جاهدين لصرف وجوهكم
عنهم، وأنا أبين لكم أمارتهم، فإنكم تجدون من
يثير بعض الخلاف الفقهي بين الشيخين
الألباني وابن باز، وقد تكون مسألة القبض بعد
الرفع من الركوع! - فإنهم في مثلها لا يُقرّطون
مهما دقّت - فيسقطون إحدى الجهتين: إما
جهة الألباني بزعم الجهل بالفقه، وإما جهة ابن
باز بزعم الجهل بالحديث، وبقي أن يُجتدوا
للجهة الأخرى من الشباب من يتهمها بالجهل
بالواقع وعدم النضج السياسي! فيسقطون
الجميع ليخلو لهم وجه الناشئة، والله حسيبهم.

وآخرون يترَبِّصون بالعلماء رَيْبَ المَثُون، لا يدركون أن مستقبلهم بعدهم غير مأمون؛ لأن هؤلاء العلماء هم بقية السلف، يذهبون ويتركون أحزاب الشباب يتامى بين هُج وتلف، قد أنهكهم اختلاف الآراء، وتراجموا بها تراجم الصبيان بالحصباء، والله المستعان على ذلك اليوم.



أعقد هذا الفصل ليعلم أولئك الذين سمّيت في هذه الدعوة، بما ينبغي أن يشغلوا به هذه الثروة الهائلة من شباب دعوة الإسلام. وأنقل إليكم كلمات من غرر الحكم عن ابن القيم وعبد الرحمن السعدي - رحمهما الله - وأرجو أن تتأملوها جيّداً، بارك الله فيكم.

إصلاح الوقت لإصلاح الحال:

قال ابن القيم - رحمه الله - في فصل « كيف تُصْلِحُ حَالَكَ؟ »⁽¹⁾ : "هَلُمَّ إِلَى الدَّخُولِ عَلَى اللَّهِ وَمَجَاوِرَتِهِ فِي دَارِ السَّلَامِ بِلَا نَصَبٍ وَلَا تَعَبٍ وَلَا عَنَاءٍ، بَلْ مِنْ أَقْرَبِ الطَّرِيقِ وَأَسْهَلِهَا، وَذَلِكَ أَنْكَ فِي وَقْتٍ بَيْنَ وَقَتَيْنِ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ عَمْرُكَ، وَهُوَ وَقْتُكَ الْحَاضِرُ بَيْنَ مَا مَضَى وَمَا يَسْتَقْبِلُ، فَالَّذِي مَضَى تَصْلِحْهُ بِالتَّوْبَةِ وَالتَّدْمِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَذَلِكَ شَيْءٌ لَا تَعْبَ عَلَيْكَ فِيهِ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَعَانَاةٌ عَمَلٍ شَاقٌّ، إِنَّمَا هُوَ عَمَلُ الْقَلْبِ".

قلت: ما مضى من وقتك في معصية الله يمكنك استرجاعه، مهما قيل

¹ () « الفوائد » ص (115-116).

" الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك " ، وهي
 حكمة صحيحة إلا أن الله استثنى منها التائبين،
 فمهما ضيعوا من وقت في زنى، بل في قتل، بل
 في شرك، فإن من تاب منها استدرك وقته ليس
 صحيفة بيضاء فحسب، بل قد كتب عليها الحسنات
 بدل السيئات كأن وقته قد عُمر بها، والله لا يعجزه
 شيء وهو القائل: { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
 وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ
 الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ
 وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ
 سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } .

وقال: " وتمتنع فيما يُستقبل من الذنوب،
 وامتناعك ترك وراحة ليس هو عملا بالجوارح يشق
 عليك معاناته، وإنما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك
 وقلبك وسرك، فما مضى تصلحه بالتوبة، وما
 يستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية " .

قلت: وبهذا يتبين لك سر اقتران التوبة
 بالاستغفار في مثل قوله تعالى: { أَقْلًا يَتُوبُونَ إِلَى
 اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } .

فالاستغفار على معنى ترك ما مضى، والتوبة
 على معنى عدم الإصرار في المستقبل، وقد جمع

الله بينهما في آية واحدة فقال: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا
فَاجِسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَعْفَفُوا
لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا
عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}.

قال - رحمه الله -: " وليس للجوارح في هذين
نصبٌ ولا تعبٌ، ولكنَّ الشأن في عمرك، وهو
وقتكَ الذي بين الوقتين، فإن أضعته أضعت
سعادتك ونجاتك، وإن حفظته مع إصلاح الوقتين
الذين قبله وبعده بما ذُكر نجوت وفزت بالراحة
واللذة والتَّعيم "

قلت: وهذا يدلُّك على سرِّ اشتراط الله تعالى
الإصلاح مع التوبة التي إذا أُطلقت دخل فيها
الاستغفار، كقوله تعالى: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ
الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ
مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، وكقوله: {إِلَّا
الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ}، فالإصلاح حينئذ يكون على معنى إصلاح
الوقت الحاضر، وقد قيل:

ما مضى حُلْمٌ و المومَّل غيبٌ ولك

الساعة التي أنت فيها

وهذا يُبيِّن لك وجه ذكر (الإصلاح) بعد آيات

التوبة، والله أعلم.

قال - رحمه الله - : " وحفظه أشقّ من إصلاح ما قبله وما بعده، فإنّ حفظه أن تلزم نفسك بما هو أولى بها وأنفع لها، و أعظم تحصيلا لسعادتها، وفي هذا تفاوت الناس أعظم تفاوت، فهي والله أيامك الخالية التي تجمع فيها الرّاد لمعادك، إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار ... "

قلت: من تدبّر القرآن وجد دعوته لا تخرج عن هذه الأوقات الثلاثة، قال الله تعالى: {السر . كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ. أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ. وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ}، أي إنما أحكم الله كتابه وفصّله لتعبده في هذه الأوقات الثلاثة بما أمر.

فقوله: { أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ } لعبادة الوقت الحاضر؛ إذ التّوحيد أنفع وأصلح وأولى الطّاعات، وألزمها مصاحبةً لصاحبه.

وقوله: { وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ } للماضي.

وقوله: { ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ } للمستقبل^(١).

¹ () وهو أحد الأقوال التي فسّر بها الاستغفار والتّوبة اللذان في الآية كما حكاها الشّوكاني في « فتح القدير » (2/481)، وهذا التفصيل الذي ذكره ابن القيم في تقسيم الأوقات ليس نتاج فكر مجرّد! بل أخذه - رحمه الله - من هدي السلف؛

وسبب التركيز ههنا على التوحيد لإصلاح الحاضر
أمران:

الأول: أنه لا يجوز أن يخلو وقت من الاهتمام به،
وهو الجامع لتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد
الأسماء والصفات.

الثاني: أنه أصل كل عمل صالح؛ ألا ترى أن
الأعمال الصالحة من مكملاته الواجبة أو
المستحبة؟! ولذلك كان أول شيء دعا إليه الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام؛ لأن من رسخ التوحيد في
قلبه ظهرت بشاشته على سائر جوارحه، وأنبت
شجرته أطيب الثمار كما قال الله تعالى: { أَلَمْ تَرَ
كَيْفَ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ
أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ
حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَصْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ }.

وهذه الدعوة الثلاثية تكررت في السورة نفسها
عدة مرات، قال الله تعالى: { وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا
قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهِ غَيْرُهُ إِن
أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ } إلى أن قال: { وَيَا قَوْمِ
اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ }.

وقال: {وَإِلَى تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ }.

وقال: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } إلى أن قال: {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ }.

وعن أبي سعيد الخدري □ أن نبي الله □ قال: « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فذُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إني قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال لا! فقتله فكمل به مائة! ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فذُلَّ على رجل عالم، فقال: إني قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم! ومن يحول بينه وبين التوبة؟ فانطلق إلى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك؛ فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مُقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً

قطاً، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم - أي حَكَمًا - فقال: قيسوا ما بين الأرضين فألى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاसा فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة « متفق عليه.

في هذه القصة يظهر جلياً إصلاح هذا الرجل للأوقات الثلاثة، فبعد أن تاب من ماضيه، وعزم على التوبة في مستقبله، اشتغل بما يُصْلِح حاضره فوراً، ألا وهو الهجرة من دار الفساد ولم يترك لطول الأمل مجالاً، ولذلك لم تجد له الملائكة من عمل صالح إلا هجرته هذه، ولما كانت هي عبادة الوقت عُفِر له؛ لأنَّ التزامه بها دليل على الإخلاص للحق جلَّ وعلا، ومنه يظهر أنه كان موحِّداً.

وعن البراء قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ مَقْتَعٌ بالحديد، فقال: يا رسول الله! أقاتل أو أسلم؟ قال: « أسلم ثم قاتل »، فأسلم ثم قاتل فقتل! فقال رسول الله ﷺ: « عَمِلَ قليلاً وأجر كثيراً » متفق عليه.

وإنما ذكرت هذه القصة هنا لأمرين:

الأول: أنَّ النبي ﷺ لم يقبل منه الجهاد إلا بعد التوحيد، ولكن قَبِلَ منه جهاده قبل الصلاة.

الثاني: أنَّ بعض الناس يستدل به على التهوين من شأن الصلاة والعمل الصالح وأنه ليس شرطاً

في جهاد المسلمين، وهو صحيح لو أن وقت الصلاة كان دخل مع وقت القتال فقدّم القتال، وهذا ليس لهم عليه دليل، ويردّه بوضوح تشريع صلاة الخوف وقت المسايقة، وإنما كل ما في الأمر أن وقت عبادة الجهاد كان قد دخل، وأما وقت عبادة الصلاة فلم يجن بعد، فأمر أن يشغل وقته بعبادته المناسبة. ولما كان التوحيد عبادة كل وقت لم يأذن له النبي ﷺ في تأخيره، ولذلك كان من ثاقب فهم البخاري - رحمه الله - أن يؤب له بقوله: "باب: عمل صالح قبل القتال، وقال أبو الدرداء: إنما تقاتلون

بأعمالكم". فتدبر هذا تكن من الرّاشدين.

قال ابن القيم - رحمه الله -: "وله عليه (أي لله على العبد) في كل وقت من أوقاته عبودية تقدّمه إليه وتقرّبه منه، فإن شغّل وقته بعبودية الوقت تقدّم إلى ربّه، وإن شغله بهوى أو راحة أو بطالة تأخّر، فالعبد لا يزال في تقدّم أو تأخّر، لا وقوف في الطريق البتّة، قال تعالى: { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ } " (١)، وقال: " فإن لم يكن في تقدم فهو متأخر ولا بد؛ فالعبد سائر لا واقف، فإما إلى فوق، وإما إلى أسفل، وإما إلى

1 () « الفوائد » ص (187-188).

أمام، وإما إلى وراء ... ما هو إلا مراحل تُطَوَّى
أسرع طيًّا إلى الجنة أو إلى النار، فمسرّع ومبطن،
ومتقدم ومتأخر، وليس في الطريق واقف البتة،
وإنما يتخالفون في جهة المسير وفي السرعة
والبطء⁽¹⁾.

قلت: ويدل عليه قول النبي ﷺ: « كلُّ النَّاسِ
يَعْدُونَ؛ فَبَائِعُ نَفْسِهِ:
فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا » رواه مسلم، وفي رواية:
(يا كعب بن عجرة! الناس
غاديان ...)⁽²⁾.

قلت: كلُّهم يَعْدُونَ، فمن لم يبيع نفسه لله الذي
قال: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ بِآنَ لَهُمُ الْجَنَّةُ }، باعها للشيطان
المرصّد⁽³⁾؛ وذلك لأنَّ الله خلق للإنسان وقتاً، وأمره
بعبادات مناسبة لوقته فليست (الواجبات أكثر
من الأوقات) كما زعم حسن البنا⁽⁴⁾.

1 () « مدارج السالكين » (1/267).

2 () رواه عبد الرزاق (20719) وعبد بن حميد (1138) وأحمد (3/321) وابن حبان (7497)، وصححه ابن حجر في ((الأمالي المطلقة)) ص (214).

3 () أشار ابن تيمية إلى هذا المعنى، كما في ((مجموع الفتاوى)) (7/51) وابن القيم في ((الدواء الشافي)) ص (123-الريان).

4 () « مجموعة رسائل حسن البنا » في أواخر «

ومن لم يَعْمُرْ وقته بما أمر به افترسه الشيطان ولم يمهل، قال الله تعالى: {وَائْتَلُ عَلَيْهِمْ تَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ}، قال ابن القيم: "إنَّ الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه، ولهذا قال: {فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ} ولم يقل تَبِعَهُ؛ فَإِنَّ فِي مَعْنَى {أَتَّبَعَهُ} أدركه ولحقه، وهو أبلغ من تبعه لفظاً ومعنى" (٥).

قلت: تأمل حسن موضع الفاء بين {انْسَلَخَ مِنْهَا} و{أَتَّبَعَهُ} لأنها تفيد ترتيب الإتيان على الانسلاخ بلا مهلة و{لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ}.

هذا في حق من شغل وقت الطاعة بالمعصية أو على الأقل يقال: ترك الطاعة، بل وحتى في حق من شغل وقته بطاعة خالصة لله لكن لم يحن وقته

رسالة التعاليم « ص (30)، وهذه الكلمة التي فحواها اتهام الله بالظلم - كما ترى - قد جعلت من وصايا الإمام، وكثيراً ما تُوزَع في المحافل العامة. هذا وإن كنا نعلم أنهم يقصدون بها استنهاض الهمم للقيام بالواجبات الحركية! فنحن لا نعلم إلا الواجبات الشرعية بيسرها وسماحتها، والحمد لله المتفرّد بالحكم؛ وإلا فلو كان الأمر لهؤلاء لأرهقونا بواجبات ما أنزل الله بها من سلطان!

بعد، ولذلك كان الجهل بما يصلح الوقت من عبادة
يُحرم النفس زكاتها ورقبها في درجات الصّلاح، يدلّ
عليه آية وحديث:

- أما الآية فهي قول الله ﷻ: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا
الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ
يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا
رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ
قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى
وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا } فهؤلاء نُهوا عن القتال وأمروا
بعبادة الصبر، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فشغلتهم
عبادة الجهاد عن عبادة الصبر، ومن ثم لم يُحکموا
عبادة الصلاة والزكاة، فعوجلوا بعقوبة قلوبهم كما
صرّحت الآية.

وأما الحديث فهو ما رواه أحمد والبخاري عن أبي
سعيد بن المعلّى ﷺ قال: كنت أصلي، فمرّ بي
رسول الله ﷺ فدعاني فلم آتته حتى صليت، ثم أتته،
فقال: « ما منعك أن تأتي؟ ألم يقل الله: { يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ
لِمَا يُحْيِيكُمْ } ؟ » .

ما أبلغها من موعظة! عبد يؤخّر إجابة الرسول
مشتغلاً بصلاة النافلة يهدّد بنقصان حياة قلبه؟

فكيف لو كان في لهو ولعب؟ فكيف لو استدرك على الله حين يأمره بالصبر على عدوه أيام الاستضعاف فلا يستحيي أن يخالفه متظاهرا بحب الجهاد؟!^(١)

حكمة ذلك: لعل الحكمة في هذا كله ما أشار إليه الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - حين قال: " يرشد الله عباده من جهة العمل إلى قصر نظرهم على الحالة الحاضرة التي هم فيها ... وهذه القاعدة الجليلة دعا إليها القرآن في آيات عديدة، وهي من أعظم ما يدل على حكمة الله، ومن أعظم ما يرقى العالمين إلى كل خير ديني ودينيوي، فإنَّ العامل إذا اشتغل بعمله الذي هو وظيفة وقته، قصر فكره وظاهره وباطنه عليه فينجح، ويتم له الأمر بحسب حاله، وإن تشوّقت نفسه إلى أعمال أخرى لم يحن وقتها بعد، شُغل بها ثم استبعد حصولها ففترت عزمته، وانحلت همته، وصار نظره إلى الأعمال الأخرى قليلا، يُنقص من إتقان عمله الحاضر وجمّع الهمة عليه، ثم إذا جاءت وظيفة العمل الآخر جاءه وقد ضعفت همته وقلَّ نشاطه "^(٢).

¹ () راجع « منهاج السنة » لابن تيمية (5/254 ...).

² () « القواعد الحسان » ص (136) وقد أشار فيها إلى الآية الآتية.

قلت: ومنه قول الله عز وجل: { وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ
اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُوفِنَّ مِنَ
الصَّالِحِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا
وَهُمْ مُعْرِضُونَ . فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى
يَوْمٍ يَلْقَوْتَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا
يَكْذِبُونَ } .

وقال أيضا: " وربما كان الثاني متوقفاً على
الأول في حصوله أو تكميله، فيفوت الأول والثاني "

قلت: ومنه قوله تعالى: { وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ } أي تأمر بالقتال، قال: { فَإِذَا
أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَطَرَّ
الْمَعْشِيُّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ . فَأُولَى لَهُمْ . طَاعَةٌ
وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ . فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ
لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ . فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ
تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ
الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ } .

فتدبر كيف كان عاقبة السيئة السوآى؛ إذ
تولّوا عن القنائة بأمر الله لهم بالصلاة و
الزكاة، وطمحت نفوسهم إلى جهاد عدوهم
قبل أن يكتب عليهم، فلما كتب عليهم الجهاد

تولّوا، فأصابتهم لعنة الله لأنّ ذلك الطموح كان حماسة عجول، أو دفاع منتقم، أو استشفاء متغيّظ متحرّف لقتال متحيّز إلى نفسه، إلى غير ذلك مما ترشح به قلوب الحركات الإسلامية اليوم. ولذا ترى المسلمين اليوم - على وعيهم الكبير لما يدور حولهم ويُدبّر لهم فيما يقال - لا ينقطع سؤالهم عن سبب تأخر صلاح المشتغلين بالدعوة، وقد يكونون ذوي نشاط وتنظيم كبيرين، في حين يقرأون عن الصحابة سيرة شبيهة بالخيال في عالم الكمال، وهم لا يتنبّهون إلى هذه القاعدة الجليّة ألا وهي: اشتراك جُلّ الحركات الإسلامية في الاشتغال بما لا يعنّيهم في حاضرهم هذا، ألا وهو السياسة، والبحث عن قتال الأعداء، وهم لم يحاربوا أنفسهم العادية، فهل تراهم خلّصوا مجتمعاتهم بل وأنفسهم من الشركيات؟ وهل عرفوا ربهم كما عرفه السلف من غير تحريف للأسماء والصفات؟ وهل ترى مساجدهم مكتظة بأهلها في صلاة الفجر عند تنزل الملائكة من السموات؟ فإن الله يقول: {إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ ...}. وصدق رسول الله إذ يقول: « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنيهِ » رواه الترمذي وهو حسن. فلن يحسن

ثم قال: { وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنْبِيئًا }، فأخبر سبحانه أن ترك الاشتغال بمجاهدة العدو بالسيف وتعويضه بمجاهدة النفس في ذلك الوقت هو أشد ما يتبّت على هذا الدين، وإلا فقد قال الحسن - رحمه الله -: " من علامة إعراض الله عن عبده أن يجعل شغله فيما لا يعنيه " ⁽²⁾.

² () ((التمهيد)) لابن عبد البر (9/200) و« الرسالة المُعنية » لابن البناء ص (62).

العبادة الفضلى

سرّ المسألة يتمثل في معرفة العبادة الفضلى التي يركّز عليها وتستوعب وقت المرء، وحول هذا جدل معروف لست بصدده، وإنما أذكر ما أعتقده حقيقاً بالتحقيق ناقلاً عن ابن القيم - رحمه الله - قوله: " من لم يكن وقته لله وبالله فالموت خير له من الحياة، وإذا كان العبد وهو في الصلاة، ليس له من صلاته إلا ما عقل منها، فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله ولله " (1).

قلت: أما أن يكون الوقت لله فهو استنفاد العمر في العبادة على تنوعها حتى لا يكون للشيطان منه نصيب، ومن فعله فقد حقق قوله تعالى: {إِيَّاكَ تَعْبُدُ}.

وأما أن يكون الوقت بالله فهو ألا تشغل وقتك إلا بعبادة تناسبه، تستوحىها من الشرع الحنيف، ومن فعّله فقد حقق قوله: {وإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ}، قال ابن القيم: " أفضل العبادة: العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته " (2).

فأفضلها عند جهاد العدو جهاده، ولو آل ذلك إلى

1 () « الداء والدواء » ص (186) بتصرف يسير.
2 () « مدارج السالكين » (1/88) وتفصيل ما يأتي فمنه، إلا الأدلة.

ترك قيام الليل وصيام النهار، قال الله تعالى:
{فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ. عَلِمَ أَن سَيَكُونُ
مِنْكُمْ مَرَضَىٰ وَعَآخِرُونَ يَصْرِفُونَ فِي الْأَرْضِ
يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَعَآخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ}.

أكثر القراء - في زمن الوهن العلمي - يخطبون من فهارس الكتب الأخبار، خاصة إذا زينتها السياسة! فبعضهم لا يتمالك عندها حتى لعله لا يعلق بذهنه منها إلا هي! وبعضهم ينثني عن متابعة القراءة؛ لأنه انتقد له فيها متبوعه، وما أقل من ينتصر للحق قبل الرجال! فكل هؤلاء لا يستفيدون من الخير إن وُجد في كتابي هذا؛ لأن أخبار الناس عُرقت أو أنكرت لا غيرها { فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا }.

فأرجو حينئذ من القاريء إمعان النظر في الأصول والقواعد العلمية التي نقلتها عن أهل العلم، والتي منها:

1 - أنني بذلت نصحي للمتصدين للدعوة أنه بدلاً من أن يستجيبوا للاستفزات السياسية، ويضيعوا مواهبهم في المهاوشات الحزبية، فليعتوا بتعظيم الشريعة: تعلمًا وتعليمًا؛ حتى يُخرج الله منهم أو من أصلابهم علماء مجتهدين، يكونون على مستوى ما استعجلوه الآن، ليحققوا الأصل الذي من أجله ألفت هذا الكتاب، ألا وهو ألا يُفتي في النوازل السياسية إلا عالم مجتهد. وما تَعَوَّل سفلة من رجال القانون للتوغل في هذا

الميدان - بزعم أن الشريعة ليست حكراً على أحد -
إلا عدوان عظيم؛ جرّؤوا به نوابت من شباب
الإسلام على ولوج هذا الباب زاعمين أن الشريعة
أمرت كل مسلم بالاجتهاد في كل المستجدات!

2 - ومنها ما جعلته مدخلاً لكتابي، وهي:

- أن الطريق الذي ارتضاه لنا ربنا واحد.
- وأن هذا الطريق منضبط بفهم السلف الصالح
للكتاب والسنة.

- وأن المتمسك بالسنة في أمن من الهزيمة
والكفر.

- وأن الرد على المخالف من الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر.

- وأن نيل السؤدد منوط بالعلم.

- وأن تفصيل ذلك بسلوك سبيل التصفية
والتربية.

لا الثورات! وتعدد الجماعات! وتكفير المسلمين
والمسلمات!

3 - يَبْتَدَأُ أن الرِّجَّ بالشباب في خنقة التحزب هو
سبب الجناية على هذه الأصول، ومن حُرِّم الأصول
حُرِّم الوصول؛ قال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي
- رحمه الله -: " العلم .. العلم .. أيها الشباب!
لا يُلهيكم عنه سمسائر أحزاب ينفخ في

ميزاب! ولا داعية انتخاب في المجمع
صخاب! ولا يلفتتكم عنه معلل بسراب، ولا
حاو بجراب، ولا عاو في خراب ياتم بغراب^(١)،
ولا يفتنتكم عنه منزو في خنقة، ولا ملتو في
زنقة^(٢)، ولا جالس في ساباط^(٣) على بساط،
يحاكي فيكم سنة الله في الأسباط^(٤).

١ () لعله يريد قول الشاعر:

**وَمَنْ يَكُنِ الْغَرَابَ لَهُ دَلِيلًا يَمُرُّ بِهِ عَلَى
حَيْفِ الْكَلَابِ**

٢ () الزنقة: بالتحريك، هي السكة الضيقة، كما في
« لسان العرب » مادة: زنق، ولا يزال أهل
المغرب إلى اليوم يستعملونها كثيرا، لكن
بتسكين النون.

٣ () الساباط: " سقيفة تحتها ممر نافذ " « المصباح
المنير » مادة: سبط.

٤ () سنة الله في الأسباط هي التفرق، قال تعالى:
{ **وَقَطَعْنَا لَهُمْ آيَاتِي عَشْرَةَ أَسْبَابًا أَمَمًا** } .
وما أصدق هذه الأوصاف التي ذكرها الشيخ على
التحزب! لذا لم يكن هذا السجع كسجع الكهان؛
لأن الكهان يكذبون، وهذا حق مثلما أنكم
تنطقون؛ فإنه وإن بدا التحزب واصلا جامعا، فإنه
لا يلبث أن يكون ممزقا قاطعا. وإن بدا أنه يحيي
في الناس الغيرة على المحارم، فإن حقيقته أنه
يحيي فيهم الغيرة على (محرّم الحزب) ويقتل
فيهم الغيرة على محارم الله؛ ألا ترى الواحد
منهم إذا انقذ قطب حزبه كيف يفارق، وتحى

فكل واحد من هؤلاء مشعوذ خلّاب! وساحر كذاب! إنكم إن أطعتم هؤلاء الغواة، وانصعتم إلى هؤلاء الغواة، خسرتم أنفسكم وخسركم وطنكم، وستندمون يوم يَجْنِي الزارعون ما حصدوا، ولا ساعة ندم⁽⁵⁾.

4 - كما بيّنتُ أن تضييع الدعوة إلى الدين الحق وتنكّب طريق الأنبياء سببه تفسير أكثر الدعاة اليوم الدين تفسيراً سياسياً وخصّص الدعوة في السبيل السياسية أو التركيز عليها؛ يُخَيَّل إليهم من سحرها أنها تسعى!! مع أنها تزيدهم كل يوم نكسة، وترجع

فيه معاني البراءة؟! وإذا جاءه الطاعن في الصحابة فلا بأس أن يعانق، ويذكر معه معاذير الولاة؟! بل لا يمانع من التقارب مع الطاعن في صفات ربه بخنجر التأويل والتحريف، أو بتسليط سيف التكذيب والتكليف. وهكذا يجمع الحزب ما صفا وكدر من المعتقد، كما يجمع الميزاب من الماء ما صلح وفسد، كما أن التحزب تغرير بسراب الأمانى، وحسبك أنه حرب على العلم؛ كما يظهر من أول كلام الشيخ. ثم إنني حين كنت أعدّ الكتاب للطبع جاءني الخبر المتواتر بأن الثوار عندنا وصل بهم الحد إلى منع التعليم الشرعي؛ فأقفلوا المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر زمناً؛ لأنه مؤسسة من مؤسسات دولة الطاغوت!! فاللهم رحماك.

(5) « آثاره » (2/350-351).

بهم القهقري، وهذا أيضا من إفرازات الحزبية، التي كثيراً ما تخذع، حتى يظن الظأنُّ أن الطرق مسدودة إلا بمخالفة الأنبياء!!!

5 - لذا بذلت وسعي في ربط هذه الأمة بعلمائها: علماء الكتاب والسنة لا علماء ضرائر كتب العلم: الجرائد ...

ولعل القاريء يلاحظ أنه ليس لقلمي في هذا المؤلف سوى النقول عنهم؛ أبيض هذا كي لا يقال: كيف تكتب في السياسة ولست من أهل الاجتهاد؟! هذا، وشباب الدعوة مع هذه المؤلفات في أمر عجب! فمنهم من أقعده العجز عن طلب معالي الأمور، وطمع في دخول حمى غيره، فزعم أن باب الاجتهاد قد أقفل! فالكل إدًا يتكلم في السياسة؛ لأنهم في مستوى واحد!!!

ومنهم من يعبد الله على حرف، فلا يرضى بانتقاد المخلين بمنهج الأنبياء؛ حتى ينظر لعلمهم يصلون إلى الحكم! أما نحن، فلو رأيناهم يتقلّبون في كل بلاد الله، يطيطرون من مُلك إلى ملك لقلنا كما أمر الله نبيه ﷺ أن يقول: {وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ}.

ومنهم الهالك في باطن الإثم، فيرى أن هذه الكتابة في زمن الجهاد تشيط! ولا يكتب فيها إلا

(عميل كُئِنِ عَلَى عَيْنِ تَخْطِيطٍ!!
ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا
قومهم، كلما صاح باطل لم يُسْمَعْ لهم حسٌّ، وإذا
نطق فيه حقُّ بحقِّ قاموا ولم يقعدوا، وضجوا ولم
يسكتوا: ليس ذا الوقت! وليس ذا الأسلوب! هذا
تنفير! ما الفائدة من هذه الكتابات والفتنة قد غلت
مراجلتها، وأضرمت نارها!!!
وهؤلاء يتظاهرون بالرجوع إلى المنهج الحق كلما
طاردتهم الأدلة أو غالبتهم مطارق الأنظمة، ولا
يُؤْتَمَنُونَ؛ لأنهم {كُلَّمَا رُزُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا
فِيهَا}، ومن أبرز أماراتهم قولهم: لماذا لا يتردُّ على
الحكومة كما ردَّ على إخوانه؟!
ومنهم .. ومنهم .. ولله في خلقه شؤون.



الله وحده يعلم أنني ما كتبت ما كتبت تتبعا
 للعورات، ولا تفكها بالسوءات، ولا طلبا للنزال، ولا
 حبا في الجدل، ولا نصرة لأنظمة الباطل، ولا
 خذلاناً للقائمين في وجه الصائل، ولكنني رأيت
 شباب الإسلام في زهرة عمره، وقوة نشاطه، أقبل
 على العلم، وربما ضاقت عليه دياره حتى هان عليه
 مفارقتها، (كالنحلة ترحل إلى المكان السحيق،
 لترجع إلى خليتها بالرحيق)، وكلما لاحت على
 محياه مخايل النجاة مُدَّت إليه يدٌ عجلت لتقطع عنه
 الطريق، بإشغاله بالسياسة العصرية التي أضحت
 حيلة كل محتال، وجليه كل بطال، يلقط فُتات
 الأخبار، من موائد إعلام الكفار، يبلعها بلا هضم، ثم
 يتقيؤها على أنه المحلل الفهم، فتارة يطبع عاطفة
 غير معصومة، وتارة يتبع مصلحة موهومة، فتأسى
 به منهم من صارت السياسة عنده غراماً، فقلت لا
 بد من تخيب الزوج على زوجها وإلا كانت الفتنة
 لزاماً، بتبيان منهج السلف عليهم من الله رضاه، بما
 لا مطمع في طرُق حماه، وربط الأمة بعلمائها،
 عصمة لها من أن يسوقها الرويضة سوق النعاج
 إلى حتفها.

فيا طلبة العلم! اصبروا على طلب العلم كتاباً

وسنةً؛ فإنكم على خير! ولا تستبطنوا الوصول فقد
جدّ بكم السير، ولا تحقروا ما أنتم عليه؛ فإنه الجهاد
الأكبر! قال ابن القيم - رحمه الله - : " فقوام الدين
بالعلم والجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين: